

النشرة اليوميةمارس 2008

النص البشري في سوائه وإضطرابه

... قراءة من منظور تطوري

بروفيسور يجيى الرخاوي

مقالات مارس 2008المجلد 2 ، عدد 7 - مارس 2008

إصدارات شبكة العلوم النفسية العربية



النص البشري في سوائه وإضطرابه

... قراءة من منظور تطوري

برونيسلور يحيى الرخاوي

مقالات مارس 2008

الفهرس

- السبت 01-03-2008:
 1424 183- تحثّر الوعى الوطنى (والثقافة)
 الأحد 02-03-2008:
 1427 184- عودة إلى ملف الإدمان: الإدمان، ومنظومة
 القيم
 الإثنين 03-03-2008:
 1436 185- ظاهرة الإدمان: خلفيّة وتساؤلات!
 الثلاثاء 04-03-2008:
 1441 186- فتح ملف الإدمان (3)
 الأربعاء 05-03-2008:
 1446 187- فتح ملف الإدمان (4)
 الخميس 06-03-2008:
 1451 188- قراءة في أحلام فترة النقاهاة* (حلم 39)،
 (حلم 40)
 الجمعة 07-03-2008:
 1454 189- حوار/ برييد الجمعة
 السبت 08-03-2008:
 1472 190- الحلول الذاتية: "نعمل إيه؟"
 "نعمل جمعية!!"
 الأحد 09-03-2008:
 1474 191- خلاصة مقدمة ملف الإدمان (5)
 الإثنين 10-03-2008:
 1483 192- نفْسنة الحياة المعاصرة، بين العلم والثقافة
 الثلاثاء 11-03-2008:
 1489 193- الحق في الفَرْح والفَرْحة "العبه الضحك"
 (1 من 2)
 الأربعاء 12-03-2008:
 1497 194- الحق في الفرحة حتى لو... "العبه الضحك"
 (2 من 2)
 الخميس 13-03-2008:
 1505 195- قراءة في أحلام فترة النقاهاة نقدً على نقد!!
 الجمعة 14-03-2008:
 1520 196- حوار/ برييد الجمعة

- السبت 15-03-2008:
- 1536 197-السياسة واللغة الشبابية والتراث
الشعبي [1 من 3]
- الأحد 16-03-2008:
- 1539 198- الإشراف على العلاج النفسى (4)
- الإثنين 17-03-2008:
- 1548 199- سراللعبة: لعبة جديدة
- الثلاثاء 18-03-2008:
- 1559 200- أنا مستحيل أقبل أتغير...، إلالو....
- الإربعاء 19-03-2008:
- 1566 201- عن الإبداع والعدوان الفروض الأساسية
(1 من 3)
- الخميس 20-03-2008:
- 1583 202- قراءة في أحلام فترة النقاها
- الجمعة 21-03-2008:
- 1587 203- حوار بريد الجمعة
- السبت 22-03-2008:
- 1608 204- امتداد حوار/ بريد الجمعة
- الأحد 23-03-2008:
- 1618 205- لماذا الحديث عن الإبداع والعدوان
(2 من 3)
- الإثنين 24-03-2008:
- 1636 206- مدارس ونظريات وافتراضات أساسية
- الثلاثاء 25-03-2008:
- 1648 207- عن الإبداع التواصلى والإبداع الخالقى
- الإربعاء 26-03-2008:
- 1659 208- لغة الجنس، والجنس كلغة
- الخميس 27-03-2008:
- 1670 209- قراءة في أحلام فترة النقاها
- الجمعة 28-03-2008:
- 1676 210- حوار بريد الجمعة
- السبت 29-03-2008:
- 1690 211- فرسان العصمر
- الأحد 30-03-2008:
- 1694 212- الإشراف على العلاج النفسى (5)
- الإثنين 31-03-2008:
- 1704 213- قصة قديمة (ليست كذلك)

183- تختار الوعي الوطنى (والثقافة)

تختار الوعي الوطنى (والثقافة)

أما قبل: ما معنى كلمة يتختر؟

الأسهل أن نتذكر الكلمة العامية التى تستعملها الأم الفلاحة وهى تلوم ابنتها أنها لا تعرف كيف "تغلى اللبن"، إذا استعملت ناراً هادئة، أو طريقة خاطئة، حتى تجعل اللبن يقطع، أو "يجبن". الذى رأى هذا المنظر يعرف أن اللبن السائل (خاصة إذا كان دسماً. من ثدى الجاموسة مباشرة) المتماسك القوام، الخضر النكهة، الملى بالحنان والوعد، قد انقلب إلى قطع متعددة متناثرة لا تصلح لا للشرب، ولا لأى شئ آخر، الذى خبر ذلك يعرف معنى أن "اللبن جبن". أحياناً تكون هذه الفلاحة أكثر حدة وهى تقول لابنتها: "الله يجيبك" والله ما انت نافعة، شوف اللبن قطع منك ازاي؟

تذكرت هذه الظاهرة وأنا أبحث عن أى شبيكية ضامة تجمع الناس، ناس هذا البلد الكريم، إلى بعضهم البعض، هذه الظاهرة هى التى دفعتنى لاستعمال هذه الكلمة، أكثر من استعارتها من الدم حين يتختر (يتجلط).

كان ينبغى أن أؤكد للقارئ ابتداءً هذا المعنى الذى استلهمته من العامية المصرية "جبن، أو قطع" لأن المعنى بالفصحى لكلمة ختر هو "تخن وغلظ"، صحيح أن الوعي القومى عندنا تخن وغلظ حتى البلادة، إلا من الفقايح التى تظهر على سطحه، والتى قد تدل على فساده، ولكن الذى أعنيه أكثر هو أن الوعي القومى قد "جبن، وقطع" والذى كان قد كان.

اللبن حين "يتقطع" لا يعود لبناً نافعا لأى شئ، والوعى إذا تختر لا يعود وعياً قادراً على أى شئ.

كيف يتكون الوعي العام وكيف ينمو ويتطور؟ كنت دائماً أكرر توصيفاً للمثقف والثقافة، أحدثه بين الحين والحين، حين اعتبر أن المثقف (من غير صفوة المجلس الأعلى للثقافة) هو الذى يمثل جُماع وعى ناسه، وهو الذى - المفروض يعنى - يدفعهم إلى أحسن الممكن وما بعده، حتى لو كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، تَرَى ماذا أعنى بتعبير "جُماع وعى ناسه"،

هل لهذه المجموعات - الكتل المتناثرة - الآن وعى خاص يجمعهم إلى بعضهم البعض؟

الإجابة هي "نعم طبعاً"، لكل جماعة وعى يجمعهم، فثقافتهم.

طيب!!، فهل يوجد وعى عام يجمع ناسنا إلى بعضهم البعض وإلى وطنهم؟

الإجابة هذه المرة هي بالنفى؟

ليس معنى ذلك أنه انعدم هذا الوعي المشترك، فهو يقفز رغماً عنا ليثبت وجوده بين الخين والخين، مثلاً: في الحرب قبل أن تجُهِض، وفي كأس الأمم الأفريقية حتى يهرب الحضري وتهرب معه نوبة يقظة الوعي تسكيناً.

وغير ذلك من مثل ذلك.

ماذا يتبقى بعد فورات الكرة، وانتفاضات القتال أو الحجارة أو الجوع؟ ماذا يجمع الناس، ناسنا نحو ماذا؟ حول ماذا؟

دعك من حكاية المشروع القومي الغائب وصحف المعارضة الصارخة ألماً أو سخرية أو سخطاً، ماذا يجمع الناس حول ماذا؟

أصبحنا الآن نعيش مئات الثقافات (إن لم يكن أكثر) وكل ثقافة لها عشرات التنويعات والتشكيلات لوعيتها الخاص؟

عندنا ثقافة الميكروباس، وثقافة الإدمان، وثقافة الروشنة، وثقافة الحجاب (وإن تعددت بداخلها ثقافات فرعية كثيرة) الوعي العام "جبّين"، قطع، تحنّر، أصبح قطعاً غليظاً مفتتة لا يجمعها إلا جدار إناء هش. خذ عندك من بعد آخر:

ثقافة الساحل الشمالى، وهي تختلف عن ثقافة العين السخنة، وثقافة المنتجات الجديدة، وثقافة المدن المستوردة البعيدة (هل لاحظت الإعلان بالانجليزية عن مدينة "كذا" في ضواحي القاهرة مثلاً: وهو يحمل كلمات تقول "عذراً ليست لكل أحد" Sorry, not for everyone، هذا تنبيه ألا تقترب بثقافتك المجهولة الهوية من الثقافة الخاصة جداً لهذا المجتمع، وذلك في مقابل ثقافة عزبة القصرين وثقافة حارة السكر والليمون، وثقافة قرية تفهنا العرّب... أو كوم يعقوب.

على مستوى التعليم خذ عندك: ثقافة مدارس اللغات (وداخلها أيضاً ثقافات متعددة) وثقافة مدارس التجهيل، وثقافة مدارس الغش الجماعى، وثقافة الجامعات الرسمية، وثقافة الجامعات الخاصة، إلخ..... إلخ

كيف يمكن أن يتجمع من كل هذا ثقافة واحدة موحدة؟ وعى عام؟

كيف يتخلق من هذا وذاك ما يسمى وطننا حاضراً، وليس مجرد تاريخ؟

ما الذى يجمع كل هذه التنوعات من الثقافة والوعى فى واحد ضام يسمى "الوعى العام"، وهو غير المشروع القومى، غير الوطنية الهتافية الغنائية، وغير ادعاء المواطنة، ما الذى يجمعنا وقد تخثر الوعى إلى كل هذه القطع المتباعدة؟

الإعلام التشتيى؟، الأحزاب الوهمية؟، مظاهرات الجوعى؟، نار الغلاء؟، ظلام اليأس؟ **الأمل العنيد المشترك؟** الدين الرسمى؟ الدين الشعبى؟، أحزاب المعارضة؟ ربنا؟

الأحد 2008-03-02

184- عودة إلى ملف الإدمان: الإدمان، ومنظومة القيم

لا أعرف مدى أحييتي في هذا التنقل السريع بين ما يحضرنى لهذه النشرة من موضوعات ومسائل ومشاكل، هذه البدايات التي لا تكتمل أبداً، هل هي فرضت نفسها على هذه النشرة فأصبحت مما يميزها (أو يعيبها)؟ لو أنني ألزمت نفسي بإكمال أى موضوع مما بدأت، إذن لوجدت نفسي أكتب كتاباً وليس نشرة يومية، خذ مثلاً موضوع "بعض وصف مصر" وهو الذى ظهر بعد أسبوعين من بداية النشرة (15- 9 - 2007) وخمس حلقات، (بعض وصف مصر "1")، (بعض وصف مصر "2")، (بعض وصف مصر "3")، (من ملف القيم والأخلاق في مصر بحث علمي شعبي "2")، أعتقد أنه يحتاج الف صفحة ليكتمل بعضه، ثم خذ آخر ما نشرت هنا عن العلاج عامة والعلاج النفسى خاصة تمهيد للدخول تفصيلاً إلى "علاج المواجهة الماوية المسئولية" مثلاً وقد شغل حوالى نصف نشرات الشهر الماضى.

ما العمل؟

ظُهر هذا اليوم (3/1) كنت أسجل في الفضائية المصرية على الهواء عن إشكالية الإدمان (برنامج "سدتي" موجود على الموقع حالياً)، وموقف الأم من ابنها أو زوجها المدمن، ودار حوار وقلت كلاماً ورددت على مداخلات هاتفية عادية ساذجة، ثم أثناء عودتى خيل لى أن ما قلته يستأهل أن يكون مادة للنشرة التى أعدها لتصدر غداً، وطلبت من سكرتارى تفريغ الحلقة، لكننى راجعت نفسي حيث أن الحلقة تنزل في نفس الوقت بالصوت والصورة في الموقع، فلماذا أقليمها كتابة أيضاً؟ أنى كنت بدأت فتح ملف الإدمان في نشرتي (س&ج عن الإدمان)، (الأسرة والثقافة والطب النفسى والإدمان)، وأن هذه البداية شملت كثيراً مما قلته في حلقة اليوم.

دفعنى هذا كله إلا أن أعود إلى ملف الإدمان هكذا، ولأيام القادمة

الجزء الثانى من الأسئلة الشائعة وإجاباتها المحدودة :

س، ج عن الإدمان (2)

س: هل لمنظومة القيم السائدة، علاقة بانتشار ظاهرة الإدمان هكذا؟

ج: طبعاً.

ولكن عندك، نلاحظ أن الإدمان أصبح - وربما كان هكذا عبر التاريخ - عالمي الانتشار لا يفرق بين مكان وآخر، ولا يفرق بين مستوى اجتماعي أو مادي وآخر، ولا يفرق بين نظام قيمى وآخر، الإدمان قد ينتج من فرط الحرية، كما أنه قد ينتج من فقر الحرية، الإدمان قد يرتبط بوفرة المال، كما قد يرتبط بالفقر "الدكر"، ولكل مواؤه وعمومه، فإذا نحن نبهنا إلى قيمة بذاتها، وربطنا بينها وبين الإدمان فعلياً أن ننتبه إلى ألا يكون هذا الربط خطياً مسطحاً، وأيضاً أن نتجنب التعميم أو الثبات.

س: مثل ماذا في مصر على وجه المثال؟

ج: خذ مثلاً قيمة الاستسهال والمباشرة والرشاوى الكلامية، إننا نروج - ربما بحسن نية - لقيم ومفاهيم لا تتفق مع مرحلة تحضرنا المأمول، ولا هي تناسب إمكانياتنا المادية، ثم هي تمثل من وجهة نظري بعض الأرضية التي تتعرض فيها ظاهرة الإدمان.

كثير من تجليات هاتين القيمتين يقع في أكثر من مجال، بعضها في مجال التربية، وبعضها يقع في مجال السياسة، ومنها ما يقع في مجال الطب، وأحياناً الاقتصاد أو القانون .

ففي مجال التربية نحن نروج لهاتين القيمتين الأساسيتين الاستسهال والمباشرة:

أما عن الاستسهال، فمثلاً:

لقد عودنا أبناءنا وبناتنا- فتعودنا معهم- أن الامتحانات ينبغي أن تكون سهلة، حتى يصبح تقدير 100% هو من حق الطالب النجيب (وغير النجيب إذا أمكن !!)، وهذا مبدأ خاطئ تربويًا من أساسه، فحتى أبلغ النبغاء لابد أن يتعلم ما هو الممكن، وما هي نسبة الخطأ الضرورية في أى أداء مهما بلغت درجته، وما هو الخطأ المحتمل، وما هو الخطأ بالصدفة، وما هو الخطأ بالإهمال، وكل هذا من قوانين الحياة الطبيعية قبل أن تكون من مبادئ التربية السليمة.

هذا هو الواقع، أما غير ذلك فهو دعوة ضمنية لتنشئة أولادنا على استحالة الخطأ، وعلى تقديس الحلم، وعلى لوم الآخرين، وفي كل هذا ما فيه من استسهال ظاهر

وأما عن المباشرة:

فقد دأبنا على أن يكون الامتحان لقياس كم المعلومات **الخشورة في مخزن الذاكرة**، وليس لقياس القدرة على التصرف إزاء المشكلات، يحدث ذلك حتى في امتحان اللغات، فأصبحت الرواية المقررة- في الثانوية العامة مثلاً- هي بمثابة النصوص، تحفظ وتسكب على الورق، ولم تعد رواية تقرأ قراءة نقدية، تسمح بالتلقى المتجدد، وإعادة الصياغة من واقع الحوار،

فلماذا هي رواية وليست تاريخاً يستعاد، أو نصاً يحفظ إذن؟

وحتى مواضيع الإنشاء أصبحت بعضها - إن لم يكن أغلبها - تحفظ عن ظهر قلب، وكما كنت أعجب لبعض الطلبة الذين التحقوا بكلية الطب وهم لا يعرفون نطق جملة واحدة باللغة العربية الفصحى، ناهيك عن الإنجليزية، وهم يخبرون أنهم حصلوا على 40 على 40 في الإنجليزي!! تقدير أشك أن مسز تاتشر شخصياً يمكنها أن تحصل عليه.

س: ولكن ما علاقة هذا وذاك بتعاطى المخدرات؟

ج: إذا نظرنا في الأمر بأمانة متأنية فلا بد أن نلاحظ أن تعاطى المخدرات ليس إلا الصورة المبالغه والخطيرة لهاتين القيمتين الاستسهال، والمباشرة

فما أسهل الحصول على اللذة الخسية من تغييب الوعى بالكيمياء.

كما لا يوجد طريق أكثر مباشرة للتخلص من الألم والوحدة مثل طريق تعقيم الوعى وتنويم مراكز المواجهة واليقظة.

إذن فتعاطى المخدرات ليس ظاهرة من فراغ، وهوليس مجرد سوء خلق، أو وفرة مادة، وإنما هو تجسيد مرضى لقيم سائده نغذيها دون أن ندري.

س: فكيف تتجلى هذه القيم نفسها في مجالات أخرى، كالسياسة مثلاً؟

ج: عندك حق، هي تتجلى في السياسة عندنا وجه خاص، ثم إنها تصبح خطراً أكبر إذا صدرت عن مسئولين أضيفت إليها - وهو ما يحدث عادة-، قيمتا: المبالغة والتعميم.

في السياسة، عودنا الحكم الشمولى، كما أضافت الأخلاق القبيلية، أن نعلى من قيمة الإجماع، وأن نخرم النسب الشديدة الارتفاع في نجاح المرشح الفائز في أى من الانتخابات، وهذا يمثل قيمة المبالغة، مع أن السياسى الخفيف في البلد الديمقراطى العريق لا بد أن يحجل إذا حصل هو أو حزبه على نسبة تفوق الستين في المائة (مثلاً)

ويرتبط بهذه المبالغة والميل إلى الإجماع والفرحة به قيمة التعميم، فنحن لا نستطيع أن نتحمل منظر الكسور العشرية، أو موضوعية النسبية، ومن ثم نحن نميل إلى التعامل بقيمة "الكل أو لا شئ"، التى تضطرنا عادة إلى "الاستقطاب".

س: ولكن ما علاقة ذلك بالإدمان؟

ج: علاقة تعاطى المخدرات بكل هذا واضحة، فتعاطى المخدرات يؤكد أن وعينا قد تعود - صغاراً وكباراً - على هذه الصورة المطلقة من التأكيد المطلق، والحسم النهائى، تعود على منطق: "إما...أو"، على رؤية الأسود أو الأبيض،

بلا ظلال وسطى، ولتداخل، فوقع وعينا في مأزق، فإما إفاقية مؤلة ورؤية شديدة الوضوح لمعظم الأمور - أو كلها - (وهو أمر مستحيل للوعي البشرى اليقظ)، وإلا فالنوم الزؤام والانسحاب التمام. (= غيبوبة التخدير).

الشباب (أو غيره) يجد نفسه - خاصة عند الضيق غير المفشّر- أمام وسيلة كيميائية تحقق له مثل ذلك اليقين على أحد الجانبين، فتعاطى مخدر ما هو إلا وسيلة سريعة ومطلقة أحيانا للقضاء على اختلافات الغموض أو ألم المواجهة، وليترتب على ذلك ما يترتب بعد ذلك..

س: ولكن الأطباء يتعاملون بمثل ذلك حين يروجون للسعادة ضد أى اكتئاب وللراحة والرفاهية ضد أى قلق، لماذا إذن ذلك وهم الذين يعالجون الإدمان؟

ج: شكرا أنك قلت بعضهم، (مع أن هذا صار ينطبق على أغلبنا)، هذا يدعو إلى الحديث عن قيمتين مساعدتين في هذا المجال، هما قيمتا: **الميكنة والتسكين** في مجال الطب، والطب النفسى خاصة، دوننا ننظر ماذا يجرى:

فقد حل الطب الآلاتى (والتكنولوجى) والتسكينى، محل فن التعصيب وفن التطبيب وفن اللأم عامة، وأصبح المريض يأتى إلى الطبيب ليرتاح أساسا، لا للعلاج، وكثيرا ما طلبت من بعض مرضى الذين يصرون على أن يعلمون مهنتى، حين يوجهون إلى اللوم والتقريع قائلين: إنت مفروض تريحنا يا دكتور، كثيرا ما أطلب منهم أن يعيدوا قراءة اللافتة على الباب أو على الروشنة ليتأكدوا أن اللقب الذى يسبق إسمى هو **الدكتور (الطبيب) فلان وليس "المريحاتى" فلان**، وبالتالى فإن وظيفتى هى العلاج وليس التريح فحسب.

الأطباء عامة، وخاصة في العالم المتقدم حيث القانون يلاحقهم، والشركات تبرمجهم، يقعون فريسة عملية غسيل مخ منتظم بغضل الدعاية المفرطة من ناحية، والخوف من الخطأ من ناحية أخرى. ينتهى الحال في التطبيب النفسى، مثلا: إلى أن يكون غاية المراد هو أن تطل تلك الابتسامة المسطحة الغامضة (الأقرب للبلادة) على وجه المريض، مثلما بدت على وجه الحسنة التى تعاطت هذا الدواء أو ذاك، تلك الحسنة المرسومة على غلاف إحدى المجلات العلمية العالمية مع اسم الدواء اللذيذ!!!.

بناء على ذلك أصبحت من أولويات ممارسة الطب هناك - في البلاد المتقدمة - هى أن يحمى الطبيب نفسه بعمل أكبر قدر من الاحتياطات، وتسجيل كتابات دفاعية لا لزوم لها، ثم إعطاء أكبر قدر من السعادة الكيميائية حتى يحقق الابتسام بعد العبوس ويتمتع هو أيضا بنوم عميق .

نعم علمونا وعلموا مرضانا (وغير مرضانا) أن هذا الوجه الباسم هو غاية المراد من رب العباد، وعلى ذلك فالغرض من التداوى لا بد وأن يكون هو الحصول على موفور **الصحة الياسمة** بأن نحقق للمريض "نوما في العسل"، وعسل العصر الحديث هو حبوب كذا، وكيمياء كيت

فينقلب مفهوم الإنسان بفضل هذا الطب الحديث إلى ماكينة ينقصها زيت كذا، وشحم كيت، وبالتالي هي تحتاج للتلميع بالطريقة الفلانية، والتسكين بالعقار العلاني، وكلها كيمياء في كيمياء .

س: ولكن ما علاقة ذلك بظاهرة الإدمان؟

ج: إن هذه الصورة للطب التسكينى، الميكنى، ليست سوى الوجه الطبي لظاهرة الكيماويات الإدمانية، حتى أن كثيرا من الأبحاث الأمينية أظهرت أن نسبة من المتعاطين للمخدرات إنما يفعلون ذلك كوسيلة من وسائل العلاج الذاتى، حتى أن انتقاء المتعاطى لنوع بذاته من المخدر قد يرتبط بنوع الاضطراب النفسى الذى يعانىه المريض/المدمن بشكل أو بآخر (إشمعى الطبيب، وهل يفعل الطبيب غير ذلك؟ وأسأل مجرب ..إلخ) .

س: لكن مجتمعات غير مجتمعاتها قيم مختلفة، هي تعاني من نفس الظاهرة؟

ج: هذه حقيقة وقد أشرنا إليها في ردّ سابق، فالمسألة ليس في هذه القيمة أو تلك، ولكن في طبيعة الربط بين السبب والنتيجة، فالمجتمع الغربى الشمالى عامة (بشقه السوفييتى وتوابعه قديما وحديثا، أو بنموذجه اليابانى الحديث وما أشبه) لا يعاني من الاستسهال، بل يستغرق الواحد منهم في عمله وواجبه كما ينبغي طول الوقت، وهو مجتمع لا يعرف المباشرة بالمعنى السطحى السهل الذى أشرنا إليه بالنسبة لمجتمعنا، فكل شئ بالخساب المتمد وحساب الجدوى، وهو أيضا مجتمع تعلم كيف يتحمل الغموض، ولا يسير على مبدأ: الكل أو لا شئ كما تدعى أننا نفعل يعنى عكس ما عندنا، كذلك هو يعتبر الفائز في الانتخابات عندهم بسبع وخمسين في المائة (مثلا) قد انتصر انتصارا ساحقا، وكل هذا أيضا خلاف ما ذكرت عندنا، صحيح أننا نتبعهم في تقديس قيم صدوروا إلينا مثل "مجتمع الرفاهية" وارتباطه واضح بقيمتى التسكين والميكنة، إلا أن الاختلافات الواسعة السالفة الذكر في القيم الأربع الأولى: الاستسهال، والمباشرة، والمبالغة، والتعميم، تحتاج منا إلى تساؤل عن القيم التى تسود عندهم فتغذى ظاهرة الإدمان بشكل مختلف، مع أن النتيجة واحدة

إن هذا يجعلنا نكرر أن تواتر الظاهرة بنفس النسبة لا يعنى بالضرورة وحدة الأسباب، ولا وحدة المسار، ولا تشابه المضاعفات. وهذا ما يجعلنا نحذر ونحن نستورد التفسيرات مناهج البحث منهم كما هي حرفيا .

فإذا كنا نتفق معهم في الخضوع للقيم الجديدة مثل التسكين، والميكنة، وإذا كنا نتفق معهم في الخضوع لتأثير المافيا، والتعرض لتلويث الوعى بوسائل الإعلان والاعتراب، فإن كل هذا قد يفسر جانبا واحدا من الاتفاق معهم في تواتر حدوث ظاهرة الإدمان، ثم يبقى علينا بعد ذلك البحث عن قيم سلبية أخرى عندهم مقابل القيم السلبية التى عندنا، مع التحذير ألا يكون البحث فيما عندهم من سلبيات مختلفة، مبرراً

لتصور أن سلبيتنا أقل، أو دمهـا أخف، علينا أن نركـز بالضرورة على رصد وعلاج مصيبتنا الخاصة، ومع ذلك فسوف أشير إلى بعض ما عندهم بالمقابل - مجرد إشارة لإظهار اختلاف المنبع رغم توحد المصب، خذ عندك مثلاً:

في مقابل الاستسهال، والمباشرة عندنا نجد قيمة الغرور البشري عندهم قد وصلت إلى تقديس الإنسان دون سواه، فالإنسان لديهم ملك نفسه، قادر على كل شيء، له الحق في إنهاء حياته (بالانتحار مثلاً) أو تشويهها (بالغيبوبة الإدمان). وليس عندنا كل هذا الفخر بكل هذا الدمار.

في مقابل المبالغة والتعميم عندنا، نرى الواحد منهم يفرط في حساب كل شيء، حتى تكاد تختفى الصدفة من حياته، بل أنه قد يضطرب توازنه قليلاً أو كثيراً إذا فلتت منه حسبة ما، إذ لا يسعفه إيمان بغيـب أو تسليم لقدره، وبما أن حسابات البشر هي حسابات البشر، وكم تفلت بلا مبرر (كارثة مفاعل نووي أو زلزال أو عصارإ)، من خلال ذلك ومثله قد تحتد حاجته، إلى ما يثلـم به وعيه خشية المفاجأة، وهات يا تخدير.

إنه ينبغي علينا أن نعلن من موقع مسئوليتنا أننا في مجال حرب الإدمان هذه، قد نشترك معهم في ميادين بذاتها (مثل محاربة المافيا، ومنع التهريب)، ولكننا ينبغي أن نختلف معهم تماماً في ميادين أخرى.

فإذا قيل مثلاً أنه بالإخلاص يمكن أن نتغلب على الإدمان، وقفنا عند مفهوم الإخلاص عندهم ومفهومه عندنا فقد يكون من الإخلاص عندنا أن نسهل مهمة المتعاطي ونتستر عليه (مثلما أصبحت الشهامة أن نسهل الغش لأبنائنا في الامتحانات/ من باب الجدعة)

وإذا قيل عندنا أنه بالعودة للدين والإيمان قد يستغنى المدمن عن حاجته إلى تغييب الوعي بالمواد إياها، فإنه ينبغي علينا أن نعرف أين موقع الإيمان عند الغالبية لديهم، حيث كثير منهم يستغنى عن الانشغال بهذه المسألة الغامضة أصلاً، أو هو يكتفى بممارسات خفيفة كنوع من نشاط نهاية الأسبوعى (ويك إند) ودعوات قبل الأكل، أو تسكين اعترافى طيب.

في حين أن العودة إلى الدين والإيمان عندنا قد تتراوح ما بين الترويج للنفس المطمئنة بالمعنى السكونى بما يشمل تعميق التسليم دون جهاد ذاتى متصل حملاً للأمانة، وما بين الكدح إلى وجه الله، وتعميق الإيمان بالغيـب المبدع الخلاق، وكلاهما له فاعلية مختلفة،

الأولى تحقق غيبوبة التسليم، والأخرى تتناغم مع هارمونية الكدح، وكلا الوظيفتين أبعد عن وظيفة الدين لديهم، وهذا لا يعيبهم في ذاته، لكنه توضيح للفروق.

س: إذن ما هي الجهود التي يجب أن تبذل لمكافحة الإدمان؟

ج: هي الحرب والله العظيم ثلاثاً، الحرب بكل معنى الكلمة، ليست جهوداً، ولا مقالات، ولا ندوات، ولا أفلام، بل أتمادي فأقول: ولا أبحاث، ولا حتى قوانين، فأثناء الحرب تعلن الطوارئ وتتوقف بعض القوانين التي قد تكون إجراءاتها فيها شبهة تعريض المحارب للهزيمة، من فرط متابعتي خطاب تحصيل الحاصل الذي نتناول به إشكالية الإدمان، خطر لي يوماً أن أوصي بإيقاف كل البرامج والأفلام، (بما في ذلك هذا الحديث الذي أورد على اسئلته الآن، أو البرنامج الذي شاركت فيه ظهر أمس!) لنوقف كل ذلك أو أغلبه ولننزل إلى الميدان بالوعى والحجارة والعرق والفأس لنحارب، الآن وحالا ودائماً.

خطة هذه الحرب هي مثل خطط كل الحروب: تحديد العدو، ومعرفة أسرارته، واختيار ميدان لقائه، ودراسة نقاط ضعفه، ثم موجات الهجوم تلو الهجوم حتى الإبادة، **والعدو هنا هو:**

1- كل من أدخل، إلى بلدنا سما يسمى مخدراً، هو ومن عاونه في ذلك مسهلاً!! أو مرؤجاً..

2- وكل من استسهل وتعاطى هذا السم تحت أي ظرف من الظروف،

3- وكل من دعى وادعى أن غايتنا - والعياذ بالله - هي مجتمع الرفاهية وحياة السكينة

علينا أن نتسلح بذكاء المواجهة، مواجهة بضاعة ثقافة الإدمان ببضاعة أنقى وأنفع: فالذي يروج **للطمأنينة الساكنة ظناً منه أنها المثل الأعلى للإيمان الكامل**، نذكره بالكدح إلى وجه الله، كما نذكره بثقل الأمانة التي حملها ونحن نعي ما حولنا بما لا نطيق، الأمانة التي حملناها وأشفقت منها الجبال والأرض، لكن حملها لذة الفخر أننا بشرٌ أكرمنا الله، وهي لذة تغفل لذة الانسحاب والغيبوبة.

والذي يروج **أن ندع القلق ونبدأ الحياة**، ننتبه إلى مواجهته بأن مجتمعنا بالذات قد يدع القلق ولا يبدأ الحياة ولا يجزنون، علينا أن نواجهه ونحن نذكره بشرف التقشف النفسي، وكرامة الحزن، ومسئولية الأمل الجماعي. وهكذا وهكذا

س: ألا ترى فيما تقول نبرة خطابية أنت تنهى عنها عادة؟

ج: عندك حق، حتى أنني مرة تصورت أنه لا بد أن تكون الجهة المنوط بها هذه المهمة مهمة حرب الإدمان، هي وزارة الحربية!!!!!!، لا وزارة التعليم، ولا الصحة، ولا الأوقاف، ولا الإعلام.... إلخ،

س: ماهي انعكاسات هذه الظاهرة على الأمراض النفسية والعصبية؟

ج: السؤال غير واضح.

فإن كان المقصود هل تسبب هذه الظاهرة أمراضاً نفسية،

فالجواب هو أن ظاهرة الإدمان في حد ذاتها هي مرض نفسي، بل "طاعون نفسي"، وهي أيضا سبب في أمراض نفسية متعددة، إن أفضل تسمية لظاهرة الإدمان هي أنها "سرطان الوعي"، وكما أن السرطان ينتشر فتأكل خلاياه الخبيثة الخلايا الصحيحة، فإن هذه الظاهرة تُغيّر على الوعي حتى يتشوه، فيتحول الإنسان إلى خرقه منتهكة من اللحم، بلا غاية، ولا كرامة، ولا كيان.

س: تحديدا: هل ينتج الإدمان عن مرض نفسي؟ وأية أمراض مثلا؟

نعم .

إن ما يسمى بالاكْتئاب كثيرا ما يدفع صاحبه إلى الهرب من ألم المواجهة، وفرط الرؤية، فيلجأ إلى هذه المغيبات للوعي، بهذا القصد العلاجي الذاتي أولا، ثم سرعان ما يقع فريسة الهرب المتكرر حتى لو زال الاكْتئاب.

كذلك الحال- إلى درجة أقل - فيما يسمى القلق الناجم عن فرط الوعي،

أما في حالات الذهان الأخرى فإن مفهوم العلاج الكيميائي المنشتر حديثا، مهما قيل عن عقايره أنها ليست مخدرة، فأغلبها لحد كذلك بدرجة أو بأخرى، بمعنى أنها مغيرات صناعية للوعي. وإن كان الفرق بين هذه العقاقير (الطبية!!!) وبين المخدرات هي أن المخدرات، تغيّم أو تقلص الوعي، أما العقاقير الأخرى فإنها تضيق أو تقلص الوعي، فالأمر يكاد يكون واحداً في حالة الإدمان، فبدلا من أن يكون هم الطب هو توجيه الوعي، أو تثوير الوعي، أو السعى إلى تكامل مستويات الوعي مع الواقع والإبداع، فإن هم معظم الأطباء انحسر في التهميد والتسكين والإطفاء .

وأخيرا فإن ما يسمى باضطراب الشخصية هو الأساس المرضي الخطير للإدمان في معظم الحالات. علما بأن اضطراب الشخصية في كثير من الأحوال لايعتبر مرضا مثل الاكْتئاب أو القلق بقدر ما يعتبرسمة، أو نمطا سلوكيا شاملا وممتدا، مما يجعلنا أقل حماسا في اعتباره مرضا وراء الإدمان.

س: لكن هل يعتبر الإدمان مرضا في ذاته؟ أو نتيجة لمرض آخر؟

ج: لا أريد أن أقول أن هذه مسألة ثانوية، فسواء كان مرضا أو نتيجة لمرض، فنحن لا نريد أن نصور للناس وللمدمن وللأهل أن كلمة مرض يمكن أن تكون تبريرا لما حدث ويحدث، المريض -حتى المجنون، فيما عدا الحالات العضوية القح- هو مشارك بشكل ما في حدوث مرضه.

ذلك أنني أنتمى لمدسة تعتبر أغلب المرض النفسي، بل والعقلي، نوعا من الاختيار العميق، فصاحبه - بشكل ما - مسئول عن إحداثه في نهاية النهاية، ليس معنى ذلك أنه يتصنع، ولكنه نوع من الانتقاء الوجودي الأعمى تحت ظروف أتاحتها وسمحت به وهيأت له، وبالتالي فإن ما بني على اختيار فهو اختيار، فالمرريض بمجرد أن تصله رسالة العلاج يصبح

مسئولا عن مصيره مع الطبيب، والمدمن - من باب أولى - هو أيضا كذلك حتى لو كان إدمانه ناتجا عن مرض آخر، كل الحكاية أن المسئولية ستتوزع على مرحلتين.

س: ما تأثير تفشى ظاهرة الإدمان على المجتمع؟

ج: إن المسألة لا تحتاج إلى مزيد من الشرح والإيضاح، إذا اختل تماسك المجتمع تحت أى تحريب للوعى، بما فى ذلك الإدمان الكيمىائى، فهو مجتمع بلا كيان، وبلا إنتاج، وبلا إبداع، بل إننى أرى أن هذه الظاهرة لو نمادت أكثر فأكثر قد تصبح علامة من علامات التهديد بانقراض الجنس البشرى الذى أصبح الآن تحت رحمة إغارتين غير مسبوقتين تاريخيا:

الأولى: تلوث البيئة بالرذاذ، وفضلات البلاستيك والإشعاع الذرى والكيمىائى، والمافيا، وإجرام الحكومات والشركات الداعمة لها... إلخ،

والثانى: تلوث الوعى: بالمخدرات، والإفراط فى العقاقير النفسية.

وكأننا نتنافس فى القضاء على الجنس البشرى

ومع ذلك لا أريد أن أبدو من فرط تحذيرى هذا متشائما أو يائسا، فهذه الكلمات ليست فى معجمى أصلا، إننى أرى أنه بالرغم من كل ذلك فإن مواصلة النقد والمراجعة، فالثورة والتصحيح، فالإبداع والمثابرة "معا جدا" طول الوقت جدير بأن ينقذ الجنس البشرى من الانقراض.

أليس كذلك

الإثنية - 03-03-2008

185- ظاهرة الإدمان: خلفيّة وتساؤلات!

احترت كيف أوصل تقديم ظاهرة الادمان في هذه النشرة اليومية، نفس حيرتى وأنا أتساءل، ونحن في الشهر السابع لصدور النشرة وهذا هو العدد 185، أتساءل عن هذه النشرة بعد هذه المدة: أهى للزائر/ القارئ العادى؟ أهى للأطباء والمعالجين؟ أهى للمثقفين وطالبي المعرفة الجادة؟ أهى للمرضى وأهلهم؟ وعادة لا أنتهى إلى الإجابة التى تسمح لى بالاستمرار، لكنها تستمر.

كتبت في نشرات سابقة عن الإدمان: قدمت حالة (بعض حالة) ("**أدمغة**" **الدمن ومستويات الوعى 23-10-2007**) كما مهدت لفتح الملف كاملا بأسئلة مباشرة أجبت عنها (**س، ج (1) عن الإدمان**) ثم أكملتها أمس (**الإدمان، ومنظومة القيم "س، ج (2)"**)، كانت في الأصل إجابات عن بعض أسئلة شباب الاعلام.

اليوم، وربما لأيام تالية متلاحقة سوف يكون الخطاب أكثر دعوة لإعادة النظر في "**معنى الإدمان ودلالاته**".

تعلمت وأتعلم من المدمنين مثلما تعلمت وأتعلم من المرضى.

وهل الادمان إلا مرض بشكل أو بآخر؟.

أحنت كثيراً إلى ما أسميه ثقافة الإدمان "هنا والآن"، في مصر أساسا، وافترضت أنها يمكن أن تهدينا إلى التعرف على بعض جوانب المرحلة التى يعيشها مجتمعنا هذه الأيام.

بعد فحص ودراسة حوالى مائة من حالات الإدمان دراسة مستعرضة وتاريخية، وبعد تتبع بعضها ممن فشل أو نجح في العلاج تتبعا تفصيلا، وصلتنى رؤى مزعجة رائعة، تلزمننا بمراجعة كل أو أغلب، ما نعتقد عن هذه الظاهرة.

الإدمان "لغة" كاملة، وثقافة خاصة، نتعلم منها أكثر من اللغة الاغترابية الفاترة التى نستعملها نحن طول الليل والنهار بأقل قدر من التواصل، حاملة معان فاترة، أو بلا معنى أصلا.

الإدمان ثورة مُجَهَّضة (أيضا مثل المرض النفسى خاصة الذهان- الجنون).

الإدمان ثقافة خاصة، بداخلها ثقافات فرعية.

الإدمان - في عمقته - يغرّينا، كما يفعل الجنون

نحن نأبى أن نرى أنفسنا من خلال تعرى الجنون، فنلصق عليه لافتات تشخيصية، ونبعده، ونخاف منه أو نشفق عليه، ثم نطفئ ناره ليصبح رمادا بدلا من أن تحتويها لتصبح طاقة لنا، وله.

نحن أيضا نأبى أن نرى أنفسنا من خلال محاولة فهم لغة الإدمان ودلالاته، أو فهم رحلاته واقتحاماته، أو هربه ولذاته، أو إبداعه وخيبته.

أى أسرة تفرز الإدمان؟

بدراسة الحالات السالفة الذكر لاحظنا أنه لا يوجد نموذج معين يمكن أن نصف به أسرة ما يخرج منها بوجه خاص من نسمة: "المدمن" (أكرر: وسنعرض في هذه النشرة تباعا عينات ومقتطفات دالة في هذا الصدد)، تحرنا كثيرا ونحن نعاين مدمنا خرج من أسرة "مثالية" بالمقاييس التقليدية، ومن أسرة مفككة "ضاربة"، (استعارة من لغتهم) ومن أسرة متدينة، ومن أسرة منحلّة، ومن أسرة رهبا (قائدها: الوالد عادة) جاثم على نفس أفرادها، ومن أسرة رهبا (قائدها: الوالد عادة) غائب في الخارج، أو حاضر غائب في الداخل.

أيضا وصلنا معانٍ متعددة من ظاهرة الإدمان.

ماذا يريد المدمن أن يقول من خلال إدمانه؟

هذا الإدمان أى وظيفة يؤديها له؟

كسر الوحدة؟

تخفيف الحزن؟

تجاوز الشعور بالدونية؟

ما هو الإدمان؟

• نداءً يطلب الرؤية والاعتراف؟

• موت بديل؟

ماذا يقول المدمن بإدمانه؟

• أنا جدد؟

• أنا قادر؟

• أنا غير محتاج لكم؟

• أنا موجود بسموى غضباً عنكم؟

• أنا لن أذل نفسي إلا للمخدر الذى هو طوع أمرى بقليل من النصب أو السرقة أو التحايل.

كل هذا نتمنى أن نعرض بعض جوانبه تبعاً من خلال مقتطفات من حالات حقيقية .

الإدمان إذن ليس كما يشاع عنه، لا من عامة الناس، ولا من المرضى ولا حتى من الأطباء والمعالجين.

الإدمان ليس ما يُعرض في الدراما، أغلب الدراما.

الإدمان ليس هو ما يوجه إليه الخطاب الوعظي في المساجد والكنائس بسطحية متمادية .

الإدمان لا يتجلى بعمق أعماقه من خلال الأبحاث الانتشارية Epidemiological تلك الأبحاث التي تحاول تعداد نسبة المدمنين في المجتمع بطرق مختلفة .

الإدمان لا تكفي الإحاطة به من خلال الأبحاث الإكلينيكية الوصفية، اللهم إلا في حالات دالة جداً، ومع ذلك لا يمكن تعميم نتائجها .

لغة الإدمان مختلفة، وكل مدمن له رسالته الخاصة جدا التي يعرف بعضها دون باقيها، وهكذا الطبيب والمعالج أيضاً، يعرف بعضها وتظل تتزايد معرفته بباقي جوانبها مع استبعاد أن يلم بها كلها كاملة أبداً .

وهل أحدكم، أحدنا، يلم برسالته، أية رسالة - سواء كان مدمناً أو غير مدمن، كاملة أبداً؟

إذا كان الأمر كذلك، فلماذا نتعرض هنا الآن من جديد لتقديم الظاهرة وبحثها وقد اعترفنا بكل هذه النقائص والمعوقات؟

ليس معنى أن ندرك الصعوبات، وأن نحترم تواضع النتائج، أن نكف عن تذليل هذه الصعوبات، أو نتوقف عن محاولة قراءة النتائج المرة تلو المرة، وإعادة تفسيرها وتأويلها معاً بكل طرق البحث والتفكير المتاحة .

وأيضاً من أهم المأمول هو أن نستخرج من نتائجنا المتواضعة ونحن نفحص ظاهرة بهذا التشعب، أن نستلهم فروضاً جديدة، تولد بدورها فروضاً أجداً، وهكذا .

- المعرفة ليس لها نهاية .
- المهم ألا ندرس الظاهرة ونحن على مسافة منها .
- ألا ندرسها من أعلى، من فوق .

إذا كنا نريد أن نتعلم من الظاهرة، فلتكن مغامرتنا الحقيقية هي أن نعرف أنفسنا من خلالها، وأن نعرفهم مرورا بأنفسنا .

نفس المنهج هو متاح ونحن نتعامل مع المرضى النفسيين خاصة الذهانين (المجانين) .

وبعد

أكتفى بهذه المقدمة اليوم، وأنها جزء من مقدمة أطروحة قديمة وهي المصدر الأساسي لما نقدمه الآن، قدمتها منذ أكثر من عشرين عاما، وحين راجعتها الآن، وجدت أنها تحتاج إلى تحديث مهم جدا.

وإليك الجزء الأول منها، وكان عنوانها:

معاني الإدمان ودلالاته:

ظاهرة الإدمان تحتاج لأكثر من قراءة. وقراءة الظاهرة ليست بالضرورة مرادفة للبحث فيها بالمناهج العلمية التقليدية الشائعة، فالظواهر حقائق تاريخية قبل وبعد المنهج.

الممارس المتأن، الذي يهتم بالمتابعة والمعنى، مثل اهتمامه بالرصد المستعرض. وتحديد نسب التواتر، قد يصل إلى حقائق وملاحظات، من خلال قراءة إكلينيكية مباشرة تكمل (ولكنها لا تغني عن) الأرقام الكمية المستعرضة.

قبل أن أتقدم بهذه الانطباعات الصادرة مباشرة من الممارسة الإكلينيكية، والخبرة الذاتية الملتحمة (من خلال المنهج الفينومينولوجي)، أتساءل: إن كانت الأبحاث المتعددة والجادة، الكمية والوصفية، قد أعانت في مقاومة الظاهرة، أو هدت المسئولين إلى طريق أفضل للحيلولة دون مزيد من انتشارها، أم لا؟

وكما أن البحث العلمي يحظى بالاحترام بمدى دقته، وأمانه أدائه، فإنه ينبغي أن يحظى بالاحترام أكثر وأبقى بمدىفاعليته وحقيقة جدواه. هذا ليس موقفا نفعيا مسطحا يلزم البحث العلمي بخدمات سريعة، ولا هو عودة إلى إثارة قضية ما إذا كان العلم للعلم أم العلم للمجتمع، وإنما هو إعادة نظر في أن من بعض وسائل التيقن من مصداقية الإجراء العلمي: هو أن نقيس مدى إمكانية إسهامه في دفع المسيرة البشرية إلى ما يحقق طبيعتها، ولست أعنى بذلك تحقيق مطلب الرفاهية، أو القياس بمدى الإنجاز المدني، وإنما أعنى القياس بمقاييس الصحة الإيجابية لمجايص الناس، ودفع عجلة التطور البشري.

كذلك الحال في الإعلام (وأياها الدراما): لاحظت أنه كلما زادت جرعتهما زادت الظاهرة حضورا.

ما هذا؟ لماذا؟

جاءتني الإجابة عن هذا التساؤل المبني بأنه يحتمل أن تكون ثمة علاقة طردية بين هذا وذاك، علاقة طردية، ليست بالضرورة سببية. وأستطيع أن أصيغ ذلك على الوجه التالي:

تتزايد حركة الإعلام حول ظاهرة الإدمان، كما قد تتزايد الأبحاث، مع تزايد حجم الظاهرة ومدى انتشارها. وعلى ذلك

فإنه قد يثبت أن البحث في الإدمان، وكذلك الحماس للنهي عنه بالطرق السطحية السائدة، يزيدان مع زيادة كمية المتعاطى من المخدرات، وليس العكس، ويصعب الجزم - كما ذكرنا - على اتجاه السهم بين السبب والنتيجة.

التساؤلات حول هذه الملاحظة يمكن أن تعرض على الوجه التالي:

• هل تزيد هذه الأبحاث وتزيد حركة الإعلام لأن الظاهرة زادت واستشرت بما استدعى البحث فيها والحديث عنها بهذه الوفرة؟

• هل تزيد الأبحاث وحركة الإعلام زيادة موازية ليست لها علاقة مباشرة بزيادة انتشار الظاهرة، اللهم إلا باتخاذ الظاهرة كمثير- للبحث والحديث- مثله مثل غيره من المثيرات الجارية؟

• هل زيادة الأبحاث والإعلام تمثل سببا ضمنيا لزيادة الظاهرة، أى أن دورها سلبي، بمعنى أنها تزيد من انتشار الظاهرة بدلا من أن تحد منها، بعكس الشائع والمأمول؟

(وبعد مرة أخرى)

وغداً نقدم أهم الفروض التي استطعنا أن نستخلصها مؤقتاً من الممارسة الإكلينيكية أساساً.

- أشرفت لعدة سنوات في أوائل التسعينات على البحث القومي للإدمان، وكان بحثاً انتشارياً لمعرفة تواتر الإدمان في 16 محافظة، وكنت رئيساً للجنة العلمية، وتوقفت (وربما توقف البحث) بعد سنوات لأسباب لا أريد أن أذكرها.

186- فتح ملف الإدمان (3)

فروض محتملة في خلفيّة الإدمان

الفرض: ليس سؤالاً يحتاج إجابة، الفرض "إجابة محتملة".
الفرض الجيد هو الذي يولد فروضاً أكثر إفادة وإبداعاً سواء
نقّته محاولات تحقيقه أو أثبتته.

وفيما يلي ما عنّ لنا من خلال الممارسة الإكلينيكية من
فروض من خلال قراءة ظاهرة الإدمان:

1- إن ظاهرة الإدمان ظاهرة مرتبطة بحركية الوعي بقدر
ارتباطها بالأوضاع الاجتماعية.

2- وهى ظاهرة نفسية يمكن أن تصاغ باستعمال أجدية
الصحة والمرض.

3- وهى ظاهرة فيها إشارات دالة تتعلق بمسار حضارة
الجنس البشرى وتهديدات انقراضه في الوقت الحالى.

4- وهى تعلن في نفس الوقت طبيعة مجتمع بذاته، بقدر ما
هى نذير صريح يتعلق بمسار الجنس البشرى عامة.

5- كما أنها تشير إلى ماهية الاحتياجات غير المشبعة وبعض
طرق إشباعها السلبية، مع الحاجة إلى إشباع إيجابي بديل.

6- أى أنها توحى بضرورة البحث عن بديل لها، بقدر حرصنا
على التخلص منها.

ملاحظات إكلينيكية

تبين لنا من خلال الممارسة على أرض واقعنا ونبيض ثقافتنا
أن الملامح الأكثر شيوعاً التي يتصف بها المدمن إنما تشير إلى سمات
أكثر مما تشير إلى أعراض، وهى ليست خاصة بالمدمن (إذ هو
مدمن) بقدر ما هى دالة على اضطراب نمط الشخصية الذي جاء
الإدمان يعلنه ويؤكد.

وبدون الدخول في تفاصيل محاولة فض الاشتباك بين السبب
والنتيجة، أجد من المناسب تقديم الملاحظات التي تواترت في

خلفيات الوعي العام، والوعي الخاص، المشتمل لظاهرة الإدمان والمسئول - عموماً - عن إفرازها بما قد يترتب على هذه الملاحظات من تفسيرات محتملة، وذلك تمهيد لقراءة إجماعات الظاهرة من أكثر من بعد.

وفيما يلي بعض ما لاحظناه خلال الممارسة العلاجية المكثفة في وسط علاجي خاص

1 - اهتزاز السلطة (الوالدية، وما يقابلها).

إن اهتزاز السلطة، بما يعنى تذبذب حضورها، وغموض أدائها، وتناقض رسائلها، هو أكثر خطراً من سؤرها أو حتى غيابها كما سيأتى في عرض الحالات.

2- الوحدة أو التهديد بالوحدة.

لا نعنى بذلك فقط كلاً من الوحدة الفعلية، أو الانطوائية أو حتى الشيزيدية، وإنما نعنى أساساً الوحدة الوجودية الغائرة، التى لا يعبر عنها المدمن عادة إلا بعد تعريتها بكشف المستور بالمخدر أو بالمرض.

3- ميوعة الهدف (الوجودى، وإلى درجة أقل: الأهداف الحياتية العاجلة).

نعنى بالهدف الوجودى "معنى الحياة"، وغايتها، وليست الأهداف المتوسطة الهامة بين الميلاد والقبور، وعادة لا يظهر هذا الهدف على السطح الواعى، إلا في أزمت النمو، وفي بعض بدايات المرض، ومن خلال كثير من الإبداعات، لكننا نستنتج افتقار نفس هذا الهدف بعد التورط في الإدمان.

4- غموض المعلومات (والتعليمات).

لا نعنى بذلك: القدرة على تحمل الغموض، ذلك أن هذا المفهوم هو مخالف تماماً لما هو الافتقار إلى الحصول على معلومات ذات معالم محددة.

"تحمل الغموض" هو علامة من علامات النضج في محاولة الإحاطة بمعلومات واضحة محددة، وفي نفس الوقت هى هى معلومات متناقضة معاً، هذا موقف إيجابي رائع، حيث لا نصل إلى استيعابه إلا بعد مشوار طويل من محاولات استيعاب موضوعي لواقعنا داخلنا وخارجنا.

أما ما نقصده هنا من "غموض المعلومات والتعليمات" فهو يشير إلى حالة تكون فيها المعلومات مائعة مهزوزة من البداية، بحيث لا تمثل أجدية يمكن أن نعمل منها جملة مفيدة فإن هذا يسهم فيما أسميناه حالا (بند 3) ميوعة الهدف، وبالتالي التخبط، فالانسحاب والظلام والهرب، الذى أحد وسائله وأسفله: تناول مواد الإدمان لتساعد على الهرب بعيداً عن تناقض غير محتمل.

5- جمود حركية النضج.

الطبيعة البشرية عبر التاريخ، والتي تأكدت ماهيتها مؤخرًا من منطلق مدارس النمو مجتمعة، تقول: **إن الكائن البشري الفرد لا يكف عن النمو منذ الولادة حتى القبر**، وبالتالي يكون التوقف النهائي عند أي مرحلة من مراحل النضج هو ضد الطبيعة البشرية، هذا التوقف بالذات هو الذي نسميه عادة: **اضطراب الشخصية**، وأحيانًا ما يكون ذلك موضع فخر في المجتمعات التقليدية أو تحت تأثير سلطة قامعة جدا. (يحيا الثبات على المبدأ، يحيا الثبات على ما نحن فيه).

المدمن يكسر هذا الجمود والتوقف بتحريك كيميائي مغامر (الملقحة الكيميائية لتحريك الوعي الساكن) فيقع في الورطة لأنه تحريك مفتعل زائف، تحريك لم يتحضر له بالطريقة السليمة خلال زمن كاف، ويصاحب ذلك آليات مساعدة لهذا التوقف عن النمو مثل:

أ- **ضعف فرص تحريك الإبداع اليومي العادي**، (الابداع اليومي مثل معايشة الحلم واستيعاب آثاره (وليس تفسيره) أو الحفاظ على الدهشة، والتدريب على المبادأة... الخ.

ب- **التوقف عند حدود الذات تماما (الذاتوية)**: ويشمل عادة إلغاء الآخر، والتعامل مع "الموضوع"، الآخرين، بإسقاط مُلاحق، فلا يرى حقيقتهم بل يقلبهم إلى تصوّره عنهم.

ج- **باختفاء الزمن كبعد مستقل** واعد فاعل مطمئن.

وهذا أمر صعب رصده، لكنه مرتبط بما يشبه "السير في الخلل"، أي الحركة الخادعة بلا تقدم ولا تغير، مهما تغير الزمن الموضوعي داخلنا وخارجنا.

6- عدم كفاية الإدمانات البديلة.

الإنسان مدمن بطبعه، بمعنى أن من أساسيات طبيعته أن يعيد أداء أو ممارسة سلسلة معينة من الأفعال أو المشاعر أو الرؤى بشكل يتكرر بحيث ترتبط حياته واستمراره بهذا التكرار، ونسمى مثل "ذلك إدمان" بمعنى "التعود الملزم"، الذي إذا انقطع عنه صاحبه ظهر ما يشبه "أعراض الانسحاب"، يحدث هذا ويسمى إيجابيا إذا كان تعودا نافعا في النهاية، مثل إدمان الصلاة، وإدمان تلاوة "ورد" ما، وإدمان هواية ما، وبعض إدمانات الخاسوب (ليس كلها) ... إلخ....، فإذا كان الأمر كذلك، فإن عدم احترام هذه الطبيعة والعجز عن استيعابها يترتب عليه البحث عن تعويضها بأي أسلوب، ومن ذلك التعود السلبي على ما يضر ويسم، ويقتل أحيانا (= الإدمان).

7- فرط الدعاية لما يسمى مجتمع الرفاهية، مع العجز عن تحقيقه.

أشرنا في نشرات سابقة إلى النموذج الطبي الميكانيكي التسكينى وعلاقته بما يسمى "مجتمع الرفاهية"، والنفس المطمئنة سلبا.

هذا الأمر لا يقتصر على الطب، بل إن الترويج لنوع الحياة

الاستهلاكية، والهدف الترفيهي لذاته يمكن أن يساهم في تأكيد غاية الراحة والسكينة الزائفة دون أن يحققها أو يرسم الطريق الممكن لتحقيقها، فإذا ما جرب من وصلته هذه المفاهيم، ثم هو يفاجأ بصعوبة - أو استحالة - تحقيقها، ثم وجد - بالمصادفة أو "بعزومة" سهلة - أنه يمكن تحقيق هذا الوهم بأسهل الطرق، في ساعات أو دقائق، فما الذي يمنعه أن يتمسك بها وكأنها هي التي دعونه إليها دون أن يدري، ولسان حاله يقول: "مش انتوا اللي قلتوا"؟؟؟!

8- ضعف الحوار (الحقيقي) على مستوياته المختلفة، مع الضيق بالاختلاف

لا نعى هنا بالحوار النقاش أو تبادل الكلام، وإنما نشير إلى كل أنواع الحوار (أنظر يومية 2008-2-25) وخاصة حوار المواقبة.

الإنسان لا يكون إنساناً، ولا تتخلق ذاته إلا بالحركة الإيقاعية في رحاب "آخر" يفعل نفس الشيء، وأول مظاهر الافتقار إلى هذه الفرصة قد يظهر في صورة الشعور بالوحدة، أو العجز عن التواصل، وقد يزيّف بإسقاط ذات من ذاته كما قلنا في بند (2) بديلاً عن الآخرين كموضوع حقيقي، التمداد في تغليب الآخر أو إغائه ليس مطلباً لأحد، لكنه ورطة تربية عادة، وحين لا يستطيع من يغرق فيه أن يصححه، فإن الإدمان يوهمه بالقدرة على تعويضه: إما بحوار خاص بلغة خاصة مع من ينتمون إلى ثقافته الجديدة: ثقافة الإدمان، وإما بحوار وهمي مع ذات داخله.

9- تضاؤل فرص النكوص التكمي الجماعي المشروع.

الحركة للأمام والخلف، والحركة بالطول وبالعرض، والحركة بالجسد وبالوعي، هي جزء لا يتجزأ من الحياة عامة ومن الطبيعة البشرية خاصة، نحن بالذات (أعني في مصر ومن إليها) لم نعد:

نرقص معاً،

- ولا نغنى معاً، ولا حتى أغاني العمل،
- ولا "نذكر" في الموالد معاً (إلا قليلاً)،
- ولا نلعب على البحر معاً،
- ولا نسافر إلى الصحراء معاً.. إلخ

المواد الإدمانية تعرض علينا بديلاً سريعاً جاهزاً، فهي قادرة أن تحركنا حركة زائفة من الوضع "جلوساً".

الشخص الذي يحرم من كل هذه الحركية الطبيعية، ثم يعثر عليها إثر حقنة أو برشامة، أو نفس يلوح له باستعادة حركته الطبيعية، لا يملك إلا أن يتمادى فيها (افتعالاً) ثم خذ عندك.

10- شيوع المفاهيم الناقصة حول الحرية، وما شابه من مفاهيم فارغة من مضمونها:

مثل الديمقراطية، والمساواة.. الخ (مع الممارسة العكسية).

الإدمان يحقق الحرية (الزائفة أيضا) حين يكسر الحدود ويسحب وعى صاحبه بعيدا عن الواقع، كما أنه يحقق نوعا آخر من الحرية حين يلغى المدمن جدلية ذواته لحساب الوعى المنفصل الجديد، فهي حرية بالانفصال وليس بالسعي معاً،

ترتبط بذلك مفاهيم عديدة "تُستعمل من الظاهر" أو تستعمل بالإبعاد" لغيرها إن صح التعبير (مما لا مجال لتفصيله الآن).

وبعد

هذه ليست الأسباب المباشرة للإدمان بالذات، والناظر فيها بتأمل يمكن أن يدرك أنها يمكن أن تكمن وراء أى مرض نفسى، أو حتى وراء اغتراب حياتى عادى، كما أنها ليست كل الخلفية، فثمة عوامل أخرى مثل التهديد ببدايات التفسخ، أو التهديد بهجمة الرؤية المؤلمة (فرط الوعى / الاكتئاب المواجهى) أو غير ذلك، مما سيأتى ذكره مع عرض الحالات.

نحن مازلنا فى المقدمة النظرية، وبعد أن استوفينا بعض ما يبدو أنه "لماذا"؟ يمكن أن ننتقل إلى: "ما هذا؟".

وغداً موعدنا مع:

"ماذا تقول ظاهرة الإدمان؟"

187- فتوى من ملف الإدمان (4)

ما الذى "تقوله" ظاهرة الإدمان؟

ونحن نحاول الإنصات لما تقوله هذه الظاهرة أثناء العلاج الممتد، والتتبع الطويل حاولنا أن نقوم بترجمة ميدئية لبعض المعانى التى بدا لنا أن هذه الظاهرة تعلنها من خلال انتشارها بهذا التواتر، وأنها تؤكدنا من خلال إظهارها لكل هذه المقاومة لمعظم أنواع العلاج:

1- إن الإدمان يعلن الحاجة إلى "المعنى"

ففى الوقت الذى يبدو فيه المدمن "هاربا من" ... نتبين أنه "هارب إلى"....

هارب من آلام الوحدة إلى صحة متخيلة، أو سلبية

هارب من غياب المعنى فى أى شئ إلى معان تلوح له أنها جديدة، بلغة جديدة، تصلح لملء الوعى، باللاشى (فى النهاية)..... إلخ

ومع حسابات البدايات والمآل، من واقع الاستجابات العلاجية الأولية فالتتبع، لاحظنا أن المدمن إنما يتوجه لنوع من التماسك بتكوين منظومة وعى بديل، لكنه فى نفس الوقت يحتاج إلى تعتييم مستوى الوعى السائد.

2- الإدمان يعلن الافتقار إلى الفكرة المحورية الغائبة التى تجمع تركيبات الذات إلى مسار التجمع فى واحدية واعدة جلاً

ومع أن هذه القضية ليست خاصة بالمدمن، بل هى متضمنه فى نوع سائد من الحياة المعاصرة، الجزأة والمغتربة، إلا أن المدمن:

أ- يكاد يدرك هذا النقص ويرفضه،

ب- ثم هو يكاد بهم بالبحث عنه لكنه فى النهاية - وربما من البداية- يُجهض، أو يُرفض.

ج- فيرتد أكثر خواء وأبعد عن الغائبة المحورية الضامة، فى وجود متصلب بارد

د- فيلجأ إلى ملء خوائه بهذه الكيمياء السامة الطبيعية أو المصنعة.

هـ- وفي نفس الوقت هو يحرك جموده بهذه النقلة الكيميائية المباشرة.

و- وهو بلجوئه إلى هذا الملاء الزائف، وإلى التحريك المفتعل يحقق نوعا من التقارب بين بعضه وبعضه، وبالتالي يحقق نوعا من التقارب بين بعض ذواته، لكنه يفشل عادة، فيستبعد أى ذوات تحول دون تحقيق غائية الإدمان، فكأنه يحقق "واحدية" زائفة مؤقتة، لكنها مريحة تكفى لتحقيق متطلبات الموقف المتعلق بالتعاطى! خداع النفس، والحركة فى الخلد.

المدمن يعلن الافتقار إلى الفكرة المحورية، وفي نفس الوقت هو يهم بتعويض ذلك بالمواد الإدمانية، فينخدع دون أن يدري

3- الإدمان يلوح بإبداع يعد بالكشف، حيث يسهم بشكل ما فى تغيير الوعى نوعيا، إذ يتغير إدراكه، لنفسه ولن حوله.

لكن سرعان ما يحدث التورط:

مع الوعى الغامض بالافتقار إلى المعنى، والشعور المؤلم بالخواء فى الوحدة، يبدأ التحرك فى اتجاه البحث عن الفكرة المحورية، التى يمكن أن تعد بأن تضمه فى "واحد"، فتلوح له فى مساحة ما من وعى غائر أنه: "باللعب الكيميائى" فى مساحات الوعى المتبادلة، يمكن أن تجرى محاولة إعادة تنظيم على مستوى أعلى (إبداع) حول محور ما.

إلا أن هذا يتكشف عموما عن وعد كاذب.

[وإن كان فى قليل من الأحيان قد يصدر عنه إبداع حقيقى فى ظروف خاصة كما يشاع عن بعض المبدعين، الأمر الذى ينبغى مراجعته، فالإبداع لا يتم فى مستوى وعى آخر بديل منفصل، ولكنه يتخلق من وعى فائق مشتمل، وفى النادر، قد تقوم المواد الإدمانية بتحريك مستويات الوعى الكامنة معا، وهذا ليس إبداعا فى ذاته، إن لم يلحقه تشكيل لهذه المستويات فى وعى فائق قادر على تخليق الجديد،

4- بعض الإدمان قد يخدم الحاجة (الحقيقية) إلى الآخر، مع إحياء تواصل سطحي بديل.

فى الوقت الذى لاحظنا فيه دفء التواصل بين أفراد هذه الفئة بعضهم ببعض، وبينهم وبين غيرهم من المرضى، تبينا قصر عمر هذا الدفء ولا جدواه فى نهاية النهاية، اللهم إلا فى تسهيل التقمص والاعتماد على منطق جماعى يبرر هذا الخلد مؤقتا (الإدمان) على مستوى ما من مستويات الشعور، له عمر افتراضى قصير الأجل.

فالحاجة للآخر عند المدمن تتحرك فى إلحاح (ربما أكثر من الشخص العادى)، لكنها حركة بذئية على مستوى غير ظاهر، وهى حاجة حقيقية عارية ملححة عادة، وإن كانت مهتزة مجهضة فى النهاية (!!!).

ورغم ظاهر الصدق الفطرى فى بدء هذا الإعلان الذى نلحمه كثيرا وراء الظاهرة، إلا أنه يكون مصاحباً عادة بما يشكك فى حقيقته وأصالته، فالمدمن - مع ذلك- لا يتحمل دفع متطلبات هذا النوع من التواصل، وكأنه يريد **"من الخارج إليه"** أكثر مما يسعى **هو إلى ذلك فى نفس الوقت**، لكنه لا يتراجع أمام الوعى بالمعوية، فيظل الإلحاح يتمادى فتلوح بعض الحلول الواعدة كما يلي (كأمثلة):

*** التغافل عن شروط التواصل،** عن طريق التسهيل الكيميائى الذى يبدو أنه يعد بالاندفاع نحو الآخر، وبذلك فهو يكسر الوحدة (ظاهرياً) فى نفس الوقت الذى يخفف من ثقل الحقيقة، ومسئوليتها. لكن ذلك كله أو أغلبه سرعان ما ينكشف خواؤه باختبار الواقع، وتحديات المثابرة. بمعنى أن هذه العلاقات قد تورى انتماء سهلاً غير مكلف، ولكنها تتساقط بسرعة هائلة تحت اختبارات الواقع وامتداد المدة وتساعد المسئولية.

* ثم إن نوعاً آخر من الخل يطرحه المخدر على من تلج عليه حاجة التواصل هذه، وهو **حل الاستغناء**، وهو يشير إلى أنه بعد تعتقة ذوات الداخل، تتاح فرصة الرى "منه فيه" (كله يدلع نفسه!!!) دون حاجة إلى آخر خارجى أصلاً!!!

5- الإدمان يلوح بتدين كيميائى، ويعد جنة أقرب:

لاحظنا أن المدمن قد يظهر من الطقوس والولاء العقائدى لموقفه من الإدمان (وثة الإدمان) ما أثار عندنا فكرة أن الإدمان قد يقوم بدور المكافئ لما هو تدين سلبى بشكل أو بآخر، وهذا ما أسميناه **بالتدين الكيميائى**، وتكملة لهذا الفرض وجدنا أن الجنة التى يعد بها هذا التدين الكيميائى - إن صح التعبير- **هى جنة أقرب**، تحقق له فوراً وغياباً ما تعد به، والمدمن لا يستطيع الانتظار إذ هو عاجز عن التأجيل وبعد النظر عادة، وبالتالي **فجنته الآن جاهزة عنده حالا**، وهى بالتالى أقرب للتصديق فوراً.

6- بعض الإدمان يبدو نوعاً من العلاج الذاتى:

العلاج هنا لا يعنى علاجاً حقيقياً، ولكنه يعنى أساساً تخفيف أو إزالة الألم، بما يشمل تحويل الأعراض، أو تأجيل التدهور. والأبحاث التى أجريت لتحقيق هذا الفرض بوجه خاص، أقر بعضها احتمال إسهام المواد الإدمانية فى التخفيف عن مظاهر بعض الأمراض، وإن كانت خبرتنا لا تؤكد الأمر بهذه الصورة، فلقد وجدنا أن هذه المواد تعمل كعلاج (بالمعنى السابق) فى المراحل الإرهافية المنذرة لمرض بذاته، مثل الوعى بالألم النفسى قبيل الاكتئاب، أو إدراك التهديد بالتناثر قبيل الفصام، فهذه المواد الإدمانية قد تؤجل ظهور المرض القادم، بل وقد تحول مساره من مشكلة مواجهة مرضية صريحة إلى مشكلة سلوكية سماتية (وأحياناً مشكلة قانونية وأخلاقية)، ويثبت هذا الزعم بدراسة التاريخ الأسرى، حين يمكن أن نرجح أن مدمننا ماء له أقارب من درجة قريبة، مصابون باضطرابات وجدانية

متواترة، أو بالفصام أو غير ذلك، يمكن أن نرجح صحة هذا الفرض (التداوى الذاتى)، حتى لو لم تظهر على المدمن أية أعراض لأى من هذه الأمراض، إن الاعتراف ببعض صحة هذا الفرض ليساعدنا إلى ضرورة الأنتباه إلى علاج المرضى التحتى وراء الإدمان، كما أنه قد يفيد أيضا في الاسهام في تحديد الاستهداف للإدمان في بعض الأحيان، وأخيرا فإنه قد يفيد في كيفية تفسير بعض أعراض الانسحاب وطبيعة التعامل معها.

7- الإدمان يبدو أحيانا مكافئا للثورة (وبديلا عنها) :

وهو في ذلك لا يختلف إلا قليلا عن كثير من غائبة بعض الذهانات في بداياتها، إلا أن الحال هنا يبدو أكثر دلالة، وأخطر قياسا :

ذلك لأن الثورة الزائفة التى تتمثل في الإدمان تتحقق المرة تلو المرة، ويعلن فشلها المرة تلو المرة، فهى قد تتحقق بشمة واحدة، أو شكة واحدة، يعلن المدمن من خلالها الرفض والاحتجاج والرغبة في التغيير والوعد بالتطوير إلى آخر أمجدية كل الثورات...، لكن المدمن للأسف - من واقع ما لاحظناه - لا يتعلم من فشله بعد كل شكة أو شمة أنها ثورة زائفة، وخدعة كبيرة، فهو يتصور في مستوى ما من شعوره أن الثورة فشلت لأسباب خارجة عنه، وأنها -فقط- تحتاج إلى جرعة أكبر، أو محاولة متكررة أكثر، وهكذا، إلى غير نهاية .

وبالمقارنة نجد أن المريض النفسى -غير المدمن- (الذهانى خاصة) إذ يهم هو أيضا بثورته الزائفة، يتمادى - بالأعراض - في طريقها، ويدفع ثمنها: عزلة وألما وعمقاً ونفياً، وهو إذ يتبين زيفها، بعد حين يكون الظلام قد عم حتى لا يعود يميز المريض بين ما هو ثورة وما هو انقلاب إلى أدنى.

8- الإدمان يحقق توقيفا للزمن، وتعميقا للحظة، بقدر ما يكون إلغاء لها :

بقدر ما لاحظنا موقف المدمن العدمي من الزمن حين أنه لا يتعلم من الخبرة السابقة، لاحظنا أيضاً سهولة معاشته "لهنا والآن" في العلاج الجمعى بكل وعود إيجابية الوعد بالزمن "الآن".

وقد أبلغنا هذا وذاك أن معاشة هنا والآن عند المدمن في بداية رحلته ليست مبادرة لاختراق الاغتراب العادى (في الماضى والمستقبل) بقدر ما هو إلغاء للخبرة السابقة من ناحية، وتهرب من رؤية العواقب من ناحية أخرى. وهذا مناقض (لدرجة العكس) لاحتمال ممارسة المدمن - في مرحلة لاحقة- للمعنى الإيجابى المؤكد لمبدأ "هنا والآن"، والذي يؤكد ضرورة مواجهة الواقع الآن كما هو، وضرورة البدء في الحركة من هنا حالا، شريطة أن تكون اللحظة الراهنة هى حلقة واضحة في التواصل التتابعى الذى يُدخلها في كلية المسار الزمنى، دون أن تنسلخ عن نفسها (اجترارا أو تأجيلا)

وبألفاظ أخرى: ففى حين أن المدمن يبدأ بأن يعمق الهنا والآن "هربا من الوعى ببعء الزمن"، فإنه حين يلتحق بالعلاج الجمعى الإيجابى عادة ما يسعى إلى توليد الماضى والمستقبل معا ليتخلق منهما عمق المواجهة الأنىة.

9- المدمن يختصر - بإدمانه- خطى النمو بأيسر السبل (= بأخطر وأفضل السبل!!):

ذلك أننا لا حظنا أن المدمن لا يستسلم بسهولة لتجمد النمو (كما قد يحدث حتى فى الحياة الراتبة العادية)، لكنه بدلا من أن يمضى قدما فى جدل الاستمرار، يروح يهتم بالطريق بتحريك زائف نحو مطلق جاهز، فيشعر - من خلال هذا التحويل الكيمايى، ومع إلغاء الزمن - أنه حقق التكامل فى اللانهايى (غاية غايات النمو) بهذه القفزة العملاقة الخادعة.

وبعد

آن الأوان أن نغلق مؤقتا ملف الادمان، فغداً مع نجيب محفوظ، ثم بريد الجمعة، ثم تعتعة السبت، لنعود إلى فتح ملف الادمان فى وقت لاحق.

ثم إن الأحداث قد بدت لي هنا أسطح وأكثر مباشرة في نفس الوقت، حتى تكاد تخلو من أى جديد "أحداثي" أو "تشكيلي".

إمضاء الوزير أعلى الصفحة ثم تراجعته وصلتني كعبيثة لم أستسغها، ولم أجد ما يبررها، استبعدت اشتراكه الخفى التمهيدي في محاولة جمع الرأسين في الحلال، فهو وزير وليس وكيل إدارة، أو رئيسة مكتب!!.

كذلك لم أجد أن وظيفة المستخدمين الشابة كانت متعنته أصلا حتى نبحت عن سبب لهذا التعنت، فنجدته في محاولة إغاظه أو تعطيل ترقية العزاب، أو جر شكهم ربما "يتقدم" أحدهم!! التوقيع فعلا كان في غير محله، ولو أجازته وظيفة المستخدمين ببساطة، لأخذت.

ينتهي الحلم بنفس الفتور حين يكرر كلمتين مترادفتين - تقريبا - بلا ميرر "واستسلمت فلم أرفض"، فعدم الرفض هو خلفية لاستسلام على أية حال.

ألا يحق لي أن أرفض هذا الحلم انتظارا للدراسة الجامعة؟

قلت من البداية أن من حق الناقد أن يرفض ما لا يصل إليه، أو يتحفظ عليه، أو أن يمتنع عن نقده ويتركه لغيره، وقبل ذلك من حق المبدع أن تهبط منه أحيانا حركية الإبداع بين الخين والخين، وهو قد لا ينتبه إلى ذلك.

لكن أظن أن أوجل الحكم النهائي حتى الدراسة الجامعة لعل وعسى.

حلم 40

قبيل المساء وأنا عائد إلى بيتي متدثرا بالمعطف والكوفية اعترض سبيلي صبي وصبية غاية في الجمال والتعاسة وطلبا مني ما أجود به لوجه الله ومجئت في جيبي عن فكة فلم أجد فأخرجت ورقة من ذات الجنيهاات الخمسة وطلبت من الصبي أن يذهب إلى أقرب كشك ويشتري لي قطعة شيكولاتة ويجيئني بالباقي. وما غاب الصبي عن عيني حتى بكت الصبية واعترفت لي بأن أباها يعاملها بغضب شديد ويدفعها لارتكاب الأخطاء فهي تزداد كل يوم انحرافات وشرا وتدعو الله أن ينقذها مما تعان. تأثرت وتحيرت. ثم عرفت أن الصبي لن يعود وأدركت مدى حماقتي لما أوليته من ثقة وتذكرت كيف يتهمني أهلي بالطيبة والغفلة ولكني لم أترك له أخته وأخذتها إلى بيتي لتبدأ حياة جديدة مع أهلي. وتحسنت أحوالها وبدت وكأنها من الأسرة لا شغالة لها.

وذاوات يوم جاء لي شرطي ومعه الصبي الأخ ولما رأى أخته أمسك بها. وعلمت أنني مطلوب في القسم وهناك وجهت إلى تهمة اغتصاب البنات والاحتفاظ بها في بيتي بالقوة وذهلت أمام ما يواجهني إلى وطلبت من البنات أن تتكلم فبكت ووجهت إلي من الكباثر ما لم يحظر لي على بال. وكان المحضر يسجل كل كلمة والدنيا تسود في عيني وعلى الرغم من إيماني الراسخ فلم تغب عني خطورة الموقف.

القراءة

كم مرة - حتى الآن - اتهم الراوى (الحالم/المبدع) أو استهدف للأذى أو للانتقام وهو برئ؟ خذ عندك مثلاً: حلم "16" "جاء وقت الانتقام" ولم تكن ثمة جريمة تستحق الانتقام، أو حلم "28" وهو يذعن لتسليم نقود لم يسرقها، توقيماً لم هو أسوأ، أو حلم "37" وهو يسجن لحسم خلاف لم يشترك فيه أصلاً بعد أن حقق معجزة الطيران، كل هذا إنما يعدُّ بمادة طيبة قد تثرى القراءة الجامعة لاحقاً.

تندكر الصبية هنا لهذه الرعاية الأبوية هو الأكثر إيلاماً من اتهامات أخيها.

الصبية في أول الحلم وُصفت بأنها "في غاية الجمال والتعاسة". (كذلك وُصف أخوها!!) هل الجمع بين الجمال والتعاسة يفسر من قريب أو بعيد موقفها في النهاية؟ هل هي تعيسة لأن جمالها الأخاذ لم يشفع لها عند القدر أن تعيش حياة كريمة مستورة في بيت أسرة تضمها وترعاها؟ هل هذا هو سبب تراكم الحقد بالانتقام الذى ظهر مؤخراً، حين وجدت نفسها في أسرة ليست أسرتها، مهما تصور راعيها وحاضنها ومنقذها أنها ..**كأنها من الأسرة لا شغالة لها**."

إن تصور هذا لا يلزمها بقبوله، ولا بالتعهد برد جميله، وهو أيضاً لا يلزم مشاعرنا الداخلية أن يعاد تشكيلها إيجابياً في اتجاه الأخلاق الحميدة!! ثم إنه ربما وصلتها هذه الفرصة الكريمة بشكل لا يحظر على بال راعيها، فقد أتاحت لها مقارنة صعبة بين ظروفها التي اضطرتها لهذا التسول، وبين بنات الأسرة التي تخدمها، واللاتي ربما كن أقل منها جمالاً، وكلما زدن عطفاً عليها تكاثرت الحقد أكثر فأكثر!. (فبقدر شعورى بئناك سوف يكون هجومى لأشوه كل الصدق وكل الحب)

في مثل هذه الأحوال يكون الانتقام من صاحب الفضل هو رد الفعل الغريب، بالإضافة إلى احتمال آخر هو أنه ربما يحمل لوماً خفياً له أن عرّضها لمثل هذه المقارنة المؤلمة.

عموماً، هذا تأويل لا ينقذ الحلم إلا قليلاً،

لكن الجمع بين الجمال والتعاسة في هذه اللوحة وصلنى بشكل جيد.

وربما يتضح الأمر أكثر في الدراسة الجامعة.

- جلد بالمقلوب ديوان سر اللعبة ص 64 للنناق

مقدمة:

بصراحة، البريد اليوم أغلبه بريد "ثفتعل، فمازالت التعقيبات التلقائية محدودة، وإن كانت شديدة الأهمية، كنت قد أشرت سلفاً إلى أنني حين اكتشفت كسل، أو عزوف أغلب الزوار عن التعقيب، بدأ أشك في جدوى كتابة اليومية هكذا، مع أن نسبة كبيرة منها كادت تتوجه إلى ما هو "نفسى"، و"طب نفسى"، و"علاج نفسى"، خاصة بعد أن تفضل الابن جمال التركى بإنشاء المنتدى الخاص بهذه النشرة أو هذا الفكر في الشبكة العربية للعلوم النفسية، أحسست أن على أن اخاطب هذه الفئة المتخصصة أكثر ولو على حساب غير المتخصص، لكنني فوجئت، كما فوجئ جمال مؤخراً بأنهم غير مهتمين، أو أنني أكتب كلاماً فارغاً أو كلاماً مفروغ منه، قلت لنفسي "ولو"!!، (وقال لي مثل ذلك جمال ونصحني بالاستمرار، "أكثر الله خيره")، ثم خطر ببالي تجربة أن يصبح جزء من هذا البريد بمثابة ما أسميته اليوم "تدريب عن بعد"، ووضعت أربعة أسئلة أو عناصر لزملائى المتدربين في قصر العيني ودار المقطم، عن (أ) ما وصل جديداً (ب) ما يحتاج إلى إيضاح (ج) ما استدعى موقفاً ناقداً (رافضاً بالذات) (د) ثم علاقة نشرة اليوم بممارسة المهنة عموماً والعلاج بالذات، وأخيراً (هـ) اقتراحات فجاءني عدد هائل من الردود التى أغلبها فى تقديري - كان بمثابة "الواجب المنزلى"، ونشرت عدداً منها فى (بريد الجمعة 1-2-2008)، (بريد الجمعة 15-2-2008) ثم متفرقا بعد ذلك.

ثم انتهت التجربة وأعفيت الجميع من هذا الواجب الذى كان ثقيلاً على نفسى بدرجة أكبر مما كان ثقيلاً على أغلبهم، انتهت التجربة يوم الثلاثاء هذا الأسبوع فى المقطم وانتهت يوم الأربعاء فى قصر العيني.

أتصور أن العدد سيتناقص من جديد، ومع ذلك فلن أتوقف غالباً لأسباب لم تعد بنفس الوضوح مثلما كانت فى البداية.

بريد اليوم - أغلبه - هو من هذه التجربة التى امتدت ستة أسابيع، وبالتالي فهو متعلق بنشرات قديمة نسبياً، عملنا الرابط أولاً بأول، وهى موجودة بأرشيف النشرة كما هو مبين.

ونبدأ بالابن جمال التركي الذي يشاركني أفكار هذه المقدمة غالباً، هكذا:

د. جمال التركي

أجدد التواصل معك بعد فترة انقطاع أمثلتها الظروف....

د. يحيى

أهلاً جمال، أوحشتنا يا رجل، قرأت ما كتبت عن هذه الظروف تفصيلاً، وتعاطفت معك تعاطفاً شديداً، واحترمت جهدك الذي أعجز عن مجاراته فعلاً، ودعوتك لك ولنا بما ينبغي كما ينبغي، ووثقت من الاستجابة.

أرجو أن تكون مثل هذه الظروف التي قطعتك عنا، قد جعلتك تعذرني أنني بقدر احترامي لمثل هذه المؤتمرات التي شغلتك هكذا حتى قبل انعقادها، وبرغم إقرارى بضرورتها وفوائدها، فإنني أعتز أنني أعجز عن مجارة مثل هذه الاختلافات بل الخلافات، وخاصة حين ينتهي المؤتمر، أى مؤتمر- وأرصد إيجابياته، وأتعجب!

أعتقد أن الحل على المدى الطويل هو في قبول التحدي الذي أتاحتها لنا التكنولوجيا الأحدث، وشبكية التواصل الممتدة حتى غطت العالم تقريباً، أرى أنه في المستقبل البعيد أو القريب سوف يكون هذا هو الاختبار الأملجدي وموضوعية ما نسعى إليه من تواصل وتكافل وتكامل، ليس فقط في الطب النفسي وإنما بين كل البشر ليحافظوا على استمرار الحياة كما خلقها الله

هذا ما بدأت أنت يا جمال على مستوى العلوم النفسية، جزاك الله خيراً، وأبقى ما فعله أنت وصحك لصالح الناس.

أعتقد أن ما أفعله الآن هو نوع من شكرك أنت ومن معك بشكل أو بآخر، لست متأكداً، لم يكن هذا في ذهني عند البداية، لكنني أتبينه الآن، وأرجو ألا يكون في رعايتك له، واهتمامك به إضافة لأعبائك التي أشعر كم هي مرهقة، ومتزايدة (غالباً على حساب عائلتك الجميلة التي أحبها).

أرجو أن تصدقني، وأنت تصدقني، أنى أعرف ما أنت فيه دون أن تشرح أو تعتذر، أحياناً أشعر أنني أنا الذي على أن أعتذر إذ حملتك فوق ما تحمل (وليس فوق ما تحتمل) من مشاغل.

د. جمال التركي

.. هذه المشاغل إضافة إلى التزاماتي اليومية، حالت دوني ومواكبة النشرة اليومية على مستوى الكتابة وإبداء الرأي، أما على مستوى المتابعة فإن متابع لها يومياً، وأقرأها ليلة صدورها

د. يحيى

هذا يكفيني، ويرضيني، وأكثر

د. جمال التركي

إن شاء الله بداية من الغد أجدد التواصل في إرسال مداخلاتي و"قراءاتي الأخرى" فالنسق سريع والمستوى راق، يتطلب حضوراً ذهنياً وتركيزاً كبيراً وأحياناً قراءات متعددة

د. يحيى

يا جمال، والله العظيم إن مداخلتك تصلني دون تواصل مكتوب يا شيخ، حضورك معي كافٍ واصل دون أي تعليق، أرجوك يا جمال، يكفي ما تقوم به، وأنا أتنس بك بلا حرف واحد زيادة، ربنا يخليك.

د. جمال التركي

...حالت مشاغلي في الفترة الأخيرة أيضاً إلى عدم تفعيل المنتدى، ولا أخفيك خيبة أمني في عزوف الزملاء عن مشاركتنا إبداء الرأي رغم عديد الرسائل الموجهة واللوحات الإعلامية

د. يحيى

تعلم أنني قد أصابني خيبة أمل مثلك في البداية، وهذا ما أثبتته في مقدمة حوار بريد اليوم، لكن تذكر أنك أنت الذي شجعتني على الاستمرار، وقد دخلنا في الشهر السابع (هذا هو العدد 189). الدور الآن عليّ لأقول لك: لا خيبة أمل ولا يئس، إن كانت هذه النشرة "كلمة طيبة"، فاطمن أن أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين، أما هذا الحين فالخ تعالى وحده هو الذي يجده، أو قد نلقاه قبل ذلك ونحن نفخر أننا لم نكتمها، لم نجبها عن أصحابها: الناس، أليس كذلك؟

د. جمال التركي

هذا ما أستطيع فعله، أما خلاف هذا فأمر يتجاوزني ويتجاوزك، إننا نرسي تقاليد جديدة في التواصل الإلكتروني لم يتمرس عليها بعد المهتمين بالعلوم النفسية والصحة النفسية العرب.

يحيى

ولا يهملك، سوف نواصل، حتى "يصبح ما ندعوه شعراً، هو عين الأمر الواقع"، هذا ما ختمت به ديواني "سر اللعبة سنة 1972" (نشر 1978)، ولم أراجع منذ ذلك الحين حتى الآن، أليس هذا أمر مشجع، والآن دعنا معنا نستمع إلى د. أسامة عرفة الذي لم يتوقف أبداً عن المشاركة بالرأي والنقد والحوار

د. أسامة عرفة: (تعتة) (تخر الوعى، 1-3-2008)

أرى أن نسكب اللين المتخثر ونحلب لبناً طازجاً، لا بد من خطاب جديد لتجديد الوعي، خطاب قادر على استيعاب كل التناقضات وقادر على تحديد موقف من كل تفاصيل عناصرها، ومُصير على الوصول للكافة محاوراً محلاً رافضاً قابلاً معدلاً، هذا ليس مستحيلاً إذا ما كان أصحابه يملكون الفكرة الواضحة، ومتسقين في مواقفهم مع ما يعتقدونه، واثقين في أنفسهم، حتى

يصبحوا النواة التي تنتظم في مدارها وأفلاكها حركة الجسيمات، بدلا من تناثرها، لا أظن أن هذا كلام إنشائي مرسل بقدر ما هو قناعة تكاد تصل لدرجة اليقين وتبقى العبرة بالنتائج على أرض الواقع.

د. يحيى

يا أسامة، أهلا بك،

بالله عليك دعك من حكاية "نسكب اللبن هذه"، هل نسيت أنه وعينا هو الذي يتخثر، فكيف نسكبه، دعنا نجعل مثل هذا التواصل الذي تحاوله الآن هو الذي يجمع قطع اللبن المتفارقة حتى تتلاحم بهذا التواصل الإلكتروني المتواصل، ولم لا؟. كله بالتكنولوجيا!!

ثم دعني أركز على هملتك الأخيرة "وتبقى العبرة بالنتائج على أرض الواقع"، أكرر يا أسامة تعجبي، من المفارقة التي حدثت عنها في بداية النشرة، تعلم أنني سألقاك بعد بضعة أيام، حيث أنت، في ذلك المؤتمر المحدود الطيب، هل تذكر كيف دعوتك أن تبلغ الزميلات والزملاء، منذ ستة أشهر وأسبوع، أن يتفضل من شاء منهم بإجراء ما يعن له من حوار عبر هذه النشرة حتى ألقاهم، ولم يرسل ولا واحد منهم تعقيباً واحداً حتى شككت أنني نفس الشخص الذي يصرون على دعوته ليقول كلمتين في هذا المؤتمر، أليس هو من يكتب لهم يومياً؟ لست أدري إلى متى يظل الأمر كذلك؟! فضلا عن أن الفرصة في اليومية متاحة للمناقشة أكثر ألف مرة من المنظرة حول المنصة، أو فوقها، ومع ذلك فأنا فرحان أنني سألقاكم!

ماذا أفعل؟

أ. راني رمضان: (تعتة) (تخثر الوعي 1-3-2008)

انا موافق على هذه المتلازمة المزمته التي سيطرت على عقول أمتنا العربيه؟؟ بس ياهل تري فيه حل؟ وحضرتك ما بتحبش أنصاف الحلول.

د. يحيى:

طبعا فيه حل. حتى لو لم نعرفه الآن بوضوح كاف، وإلا فلماذا نعيش؟!.

لا يوجد مبرر لـاستمرار إلا اليقين بأننا - بوجودنا الإيجابي- نساهم في حل ما، أت لا ريب فيه!

د. محمد نشأت: (تعتة) (تخثر الوعي 1-3-2008)

تساؤل:

- ذكرت حضرتك أن الوعي القومي قد تخثر وبالتالي لا يعود قادرا على أى شيء.. أليس هناك أمل في العودة ومجتمعنا مجتمع شاب ؟

د. يحيى
الأمم موجود غصبا عنى وعنك، برجاء قراءة ردّى حالا على الابن رافى رمضان، لكننى أتخفظ على أن "مجتمعنا مازال شابا"، مجتمعنا شاخ من زمن، والمصيبة أن شبابه شاخ أكثر من كهوله، وأن يساره شاخ أكثر من يمينه، وأن علماءه شاخوا أكثر من شيوخه، ومع ذلك، فأبدأ لا أحد يتوقف عن تجديد شبابه، ولا أحد يموت، لكن مجتمعنا ليس شابا الآن، هو مشروع شباب واعد، علينا أن نحققه.

أ. يوسف عزب: (تعتة) (تختر الوعى 1-3-2008)
... هل هناك ارتباط بين الثقافات المتعددة داخل المجتمع وبين تختر الوعى؟

د. يحيى:
الثقافات المتعددة ليست عيبا من حيث المبدأ، بل إنها قد تكون مزية حقيقية، الأمر يتوقف على نوع العلاقات بينها. هل هي مرصوفة بجوار بعضها دون رابط؟ هل هي متنافرة؟ هل هي متضرة؟ هل هي جدلية؟

أ. يوسف عزب: (تعتة) (تختر الوعى 1-3-2008)
اتعتقد سيادتكم داخل المجتمع الغربى، هل توجد عدة ثقافات كثيرة؟ أم ثقافة واحدة؟

د. يحيى:
طبعا توجد ثقافات بلا حصر، ول رأى فى هذا، لست متأكدا إن كان سيعجب محمد إبنى أم لا، فأنا أرى أن الرابط بين هذه الثقافات هو عقد اجتماعى محكم وجيد، وليس تفاعلا بين مستويات الوعى، والمتبع لحملة الانتخابات الأمريكية، مهما كان وراءها ما وراءها، ومهما كانت نتائجها التى أرجح أنها ستنتهى لصالح أقصى اليمين الجمهورى الأصولى الاستهلاكى المتعصب القاتل، أقول إن المتبع لحملة الحزب الديمقراطى لابد أن يرفع القبعة لترشيح هذا الأسود الشاب النطاط، ولما يلقاه من احترام وإنصات أثناء حضوره الجماهيرى بهذه الصورة، هذه نقطة تحسب لهذا المجتمع وهذه الثقافة دون تردد، مع أن هذا الأسود فى النهاية سوف يحسر.

لكن يا يوسف أخشى ما أخشاه أن يظل هذا الربط بين هذه الثقافات هو مجرد مزيد من إحكام هذا الرباط الخارجى المتين والجيد والمنظم بالمواثيق المكتوبة دون حركية الوعى الحقيقية على كل المستويات.

أنا لا أتوقع انضمام هذه الثقافات فى ثقافة واحدة مهما كان تقدمها ومهما برقت وعودها. أنا أتصور أنه حتى لو حدث ذلك فالأرجح أن يصبح هذا بداية استقطاب جديد لم يعد العالم، ولا الجنس البشرى، يتحملة، نحن على أبواب نقلة نوعية عالمية قد تعطينا أخيرا من أن نتكلم عن غرب وشرق،

وذلك سوف يتم فقط لو أحسنا استغلال كل من اللامركزية في التواصل ، والجدلية (لا الحوار النقاشاتي) في لقاءات مستويات الوعي داخلنا وخارجنا .
وهذا أمر يطول شرحه كما تعلم .

د. حسن سري
أرجو عرض مقتطفات بشكل كتابة من حوارات العلاج الجمعي الخاصة بمعالجة اضطرابات الشخصية، وخاصة البارنويدية

د. يحيى
العلاج الجمعي الذي نمارسه هنا في المدرسة التي أنتمى إليها أو أقودها يتميز باللاتجانس، فهو يجمع كل الشخصيات تقريبا، وربما يغلب فيه الذهان، خاصة مجموعات قصر العيني.

وقد فكرنا في عرض مقتطفات حية بالصوت والصورة، إلا أننا عدلنا عنها احتراماً لحقوق المرضى وحفاظاً على أسرارهم، مع أننا أخذنا موافقتهم وقد اکتفينا بعرض جانب من بعض "ألعاب علاجية"، كتابّة، في هذه النشرة بعد تغيير الأسماء، وذلك دون ذكر تشخيص أو تصنيف، ويمكن الرجوع إلى ذلك في ما نشر من نشرات، وفي الموقع عامة.

د. حسن سري
أرجو منكم إعادة كتابكم "دراسة في علم السيكيوباتولوجي" دون الالتزام بمتن شعري، خاصة خاصة وأنه قد مضى وقت طويل جداً على نشر الكتاب، وأكد أنه خلال هذه المدة تغيرت لديك أفكار كثيرة، وظهرت نظريات جديدة .

د. يحيى
... هذه فكرة جيدة، أشكرك عليها، وإن كنت لا أوافق عليها عاطفياً، وقد أفكر عملياً في حل توفيقى، وإن كانت المسألة تحتاج إلى إعادة تنظيم جذري، لست متأكداً إن كان في العمر بقية لإتمامه أم لا .

د. حسن سري
أرجو أن أجد الرد عاجلاً في بريد الجمعة، وأعتب عليك أنك أهملت بقية متابعتي موقعك وركزت فقط على الدكتور جمال التركي ومدخلاته وأطباء القصر العيني أتمنى أن يكون لنا نصيب من اهتمامك، ولك كل الشكر.

د. يحيى
أنا آسف، ولكن صدقني أو لا تصدقني يا د. حسن هذا أول بريد يصل منك وسوف أراجع سكرتاريتي لعل الخطأ من جانبهم .

طبيبة (ل.م..م..ن..) (4-3-2008) :
.... (بعد كلام طيب طويل!)

... ربنا يشفي بك مرضاه، و يساعد بك الناس. و اسمح لي بالتواصل معك عن طريق الموقع.

ملحوظة: ارجو ان تكون رسالتى خارج النشر.

د. يحيى:

...وددت يا ابنتى أن أنشر رسالتك كاملة، باسمك كاملاً، فقد وصلني منها قدر من الصدق والفرحة، كنت في أشد الحاجة إليهما، لأنك طمأنتني على بقاء ما وصل إليك، بقي معك من تدريبنا معاً.

شكراً لك،

لم أثبت هنا إلا نص دعوتك الكريمة دون اسمك أو أية إشارة تدل عليك، ولقد أثبتتها لأنها ذكرتني بدعوة أمي "ربنا يجعل الشفا علي يدك" ودعوة أبي "ربنا ينفع بك" فاسمحي لي يا ابنتي أن ادعوك بمثل ما دعوت، فمرضانا-وناسنا- يحتاجوننا جميعاً، كما خلقنا الله، وخلقهم.

د. عمرو أحمد حسين: (الإشراف على العلاج النفسى) 2008-2-6
أعترض على "سنة اولى ضرب بدون علام" لأن الخوف والكربياء قد يمنعان الطالب من التعلم، والسؤال، وقد حدث هذا معي في البداية، فقد كنت أخاف أن أسأل، كما أن ما يناسب شخص قد لا يناسب آخر.

د. يحيى:

أرجو ألا تكون قد فهمتني خطأ، ومع ذلك عندك حق بشكل ما، وسوف أحاول أن يكون الضرب رقيقاً، وأن أتأكد من أن "بلية غاوى الصنعة" بطرق أخرى.

د. ثناء جرجس: (الإشراف على العلاج النفسى) 2008-2-6
"العلاج النفسى هو علاج المريض من خلال (وليس بواسطة) علاقة إنسانية بناءة، بين محترف ماهر بخبرته وعلمه ومسيرة نضجه، وبين إنسان يعانى، أو توقف، أو انحرف به المسار (مسار نضجه أساساً) هو علاج بكل الوسائل المتاحة، من خلال هذه العلاقة.

هو ليس علاجاً بديلاً، ولكنه خلفية وأرضية كل علاج".

هذا بعض ما جاء في اليومية، إذاً فأنا أوهب نفسى لكل مريض يأتى إلى في العيادة، أعطيه من نضجى وإدراكى ومعرفتى، أعطيه من روحى ومن استلهاى ومن رؤيى، وأقل ما أعطية هو معرفتى بالمرض والدواء...

أضف إلى أو صححني لو أنا مخطئة يا أستاذ.

د. يحيى:

ليس هكذا تماماً،

("مش قوى كده")

وإنما هو قريب مما قلته من حيث المبدأ لكن ليس بهذه الصورة، وعموماً، فأى قدر منه هو ما يعطى للحياة يمرر استمرارها يا شيخه، لكنى - كما تعلمين - أخاف من المبالغة، ومن المثالية، ومن الكلمات حتى تختبر.

د. ثناء جرجس: (الإشراف على العلاج النفسى) 2008-2-6
لقد وصلنى أيضاً كيف أن

.. "العلاج النفسى كما نمارسه، هو كل علاج يعطى من خلال هذه العلاقة الحميمة التى تبدأ عادة باعتمادية بلا شروط، ثم تتدرج إلى الاعتمادية المتبادلة، إلى الانفصال دون انفصال (أنظر بعد). من خلال هذه العلاقة تعطى كل الوسائل الأخرى للمريض (أدوية أو عملية أو تعليمات غذائية أو جلسات تنظيم الايقاع".

وصلنى ما لم أكن أعرف عن هذا التدرج فى العلاقة.

د. يحيى

يا رب نقدر

د. ثناء جرجس: (الإشراف على العلاج النفسى) 2008-2-6
التعلم والفهم نور للطريق بلا شك.

أنا عندى حالة مشابهة جداً لهذه الحالة، هى مريضة طالما سألت نفسى عن معنى تعذيبها لنفسها، هل هو فقط رفضها لذاتها؟ أم ماذا أيضاً؟

كانت الإضافة لى بعد قراءة هذه اليومية هى رفض المريضة لأنوثتها. وأيضاً قد فهمت الآن أن علاقتى بها بعد فترة كانت هى الخافز لها للتوقف عن تعذيب نفسها.

هذا يعطينى شعور بقيمة ما أعمل وأقدم من أجل مرضاى.

د. يحيى

هذا هو المطلوب تقريباً من نشر مثل هذه المقتطفات عن حالات حية من واقعنا، وانت تعرفين يا ثناء كم هو مهم هذا فى التدريب، وعندي أمل أن أحقق بجانب من هذه النشرة ما يمكن أن أسميه الإسهام فى "التدريب عن بعد". هل هذا ممكن؟ لا أعرف، لكن كل شئ ممكن، مع أن خيرتى تقول أنه لابد أن يشرب الصبي الصنعة من يد الأسطى مباشرة، والتدريب عن بعد يفصل الصبي عن الأسطى، ولكن ماذا نفعلاً؟ ما لا يدرك كله لا يترك كله.

د. مى محمد عبد السميع: (النكوص فى خدمة الذات) 2008-2-4
... فيه حاجات ما فهمتهاش، بس وصلنى منها حاجة، وزى ما يكون مش عايزة أسأل عن معناها علشان ما شوفش اللى وصلنى

د. يحيى:

بصراحة، هذا يطمئنى جداً، أنا أفرح بمثل ذلك أكثر من

التصفيق، وأكثر من ترديد كلماتي طبعاً.

د. مى محمد عبد السميع: (النكوص في خدمة الذات) 2008-2-4
القصائد بتفرق معايها أكثر من الكلام العادى

د. يحيى
أصارك يا مى أنه قد وصلني من آخرين عكس ذلك تماماً،
وصلني منهم رفض الشعر، ولا أخفى عليك أنى وافقت على
الرأين، تصورى؟!

د. مى محمد عبد السميع: (النكوص في خدمة الذات) 2008-2-4
فأفتخ قلبى.. بحمى رفته درع القدرة

وليطرق باب الطفل الخروم ليظهر ضعفه
ثم يصير العملاق الطيب
وليلتئم الجرح الغائر تحت ضماد القوة
وليتألم في كنفى من حرموا حق 'الآه'
لتعود مشاعرهم تنبض
ولأجم الجيل القادم أن يضطر..
لسلوك طريقي الصعب.

(هذه الأبيات) حركت فيا مشاعر كثيرة، أعمقها القوة
والصبر.

د. يحيى:

الحمد لله

د. مى محمد عبد السميع: (النكوص في خدمة الذات) 2008-2-4
"هل يمكن أن تغنيى تلك القوة عن حقى أن أحياء ضعف
الناس؟"

لكن من يعطى جبل الرحمات الرحمة؟!
وجعنتى قوى (ثم)

"شئ يتكور في جوفى لا في عقلى أو في قلبى"
حسيت بيها قوى

"إذ يفرز ألك طاقة

والرعدة تصبح نبضه"

أشاعت فيا الأمل بعد ما كان إتهز

د. يحيى:

شكرا يا مى

هيا نكمل...

لم لا؟

د. محمد عبد الفتاح: (عن العلاج النفسى وطبعة الإشراف
عليه) 2008-2-5

لم افهم المقصود بـ "علاج المريض من خلال (وليس بواسطة) علاقة"، أو ربما فهمته قليلاً ولكنى لا أرى فارقاً، فهي في النهاية علاقة تكونت من أجل علاج المريض.

د. يحيى
أظن أن ما وصلك من خلال قولك "أو ربما فهمته قليلاً" يكفيني، أما استدراكك بعد ذلك فلم أتوقف عنده طويلاً، وأنت تقول "فهي في النهاية.. الخ"،

دعنا نستثمر القليل الذى وصلك في البداية.

د. محمد عبد الفتاح: (عن العلاج النفسى وطبيعة الإشراف عليه) 2008-2-5

.... أريد أن استوضح اسباب توقفك عن العلاج الفردى بشكل مفصل وأعتقد ان تعبير "أنا كنا في خدعه لفظيه اغترابه... " يحتاج لمزيد من الاستبيان

د. يحيى
عندك حق، وربما لو رجعت إلى كتابي "أغوار النفس" وما لحقه من شرح، أو إلى كتابي "مقدمة في العلاج النفسى" لوجدت ضالتي، ولكنى أعد أن أعود إلى ذلك بشكل مباشر في أول فرصة. حاضر.

د. محمد عبد الفتاح: (عن العلاج النفسى وطبيعة الإشراف عليه) 2008-2-5

أوافقك على التراجع عن اعتبار عدم الاستمرار في العلاج الجمعى نوع من الهرب بسبب عمق هذا العلاج وعدم القدرة على تحمله، سواء من المرضى أو المعالجين، اعتقد أن هذه النقطة مستثنى بشكل شخصى، وأرى أن الامر ليس قاطعا وفاعلية هذا العلاج تحتاج لمزيد من التقييم والمراجعة.

د. يحيى:
أعرف عنك أمانتك وتواضعك وغرورك، وخوفك، وأوافقك على كل هذا. وأشكرك.

د. محمد عبد الفتاح: (عن العلاج النفسى وطبيعة الإشراف عليه) 2008-2-5

اعتقد أنك في التعليق على العلاج الفردى كنت ممدداً في الكلام أكثر عن "العلاج التحليلى"، دون الإشارة إلى أنواع أو طرق علاجية اخرى مثل "العلاج المعرفى" و"العلاج السلوكى" سواء استعملوا كعلاجات منفصلة أو كتكنيكات techniques مختلفة داخل العلاج الفردى جنباً إلى جنباً مع الجانب التحليلى.

د. يحيى
شكراً، هذا صحيح، وأعتقد أننى سأرجع إلى ذلك كثيراً.

د. عدلى أشرف الشيخ: (النكوص في خدمة الذات) 2008-2-4

السؤال:.. ساعات باحس وأنا باتعامل مع المرضى.. بعلاجهم يعنى.. إني مش باعمل ده فعلا، خلينا نسميها "التعرية" يتهيأل أقرب ليا من النكوص

يحيى:

في نهاية النهاية، في العلاج النفسي، نحن نعالج المرضى بكل ما هو "نحن" وليس فقط بما نعرف ونحفظ، وهذه ليست بالضرورة "تعرية"، وإنما هو حوار على مستويات متعددة.

د. عدلى أشرف الشيخ : (النكوص في خدمة الذات) 4-2-2008

ساعات باحس إني بامثل... لو حد فتح عليا الباب وأنا أثناء العلاج النفسي مثلا باتحس وأسأل نفسي : هو مين اللي كان بيتكلم ده ؟

مش عارف هو أنا كده بافيد المريض ولا بابعده أكثر !؟

يحيى:

... أنت تفيده ونصف، أنت تفيده غصبا عنك، بصدق واستمرارك ، لكن لا تبالغ في النظر في نفسك أثناء قيامك بالعلاج، أجل هذا للاشراف على كل المستويات، وهي المستويات التي سوف أعود إليها وأعدها، وهي ليست أقل من خمس مستويات ذكرتها في مؤتمر قصر العيني الأخير لأطباء نفسيين من الشباب والشابات.

د. محمد نشأت : الشعور بالذنب (4) (30-1-2008)

ألا ترى حضرتك أن العلماء هم الأكثر تلقائية وشعوراً بالذنب في رؤيتهم لهذا الكون، لعلمهم، وإمامهم بأنواع المعرفة بما يجعلهم أكثر نضجاً وقرباً ومعرفة للحقيقة الغائبة التي قد لا يدركها من هو أقل منهم في العلم "إنما يخشى الله من عباده العلماء".

يحيى

يا محمد يا ابني، لقد أصبح للعلم أكثر من تعريف، وكذلك للعلماء.

أظن أن اينشتاين هو الذي نبهنا إلى ما معناه "أن العلم أصعب وأخطر من أن نتركه للعلماء" هذا ليس تقليلا من شأن العلماء، ولكنه توسيع لمفهوم العلم والعلماء

ثم إني أنبهك أن استعمال كلمة العلم والعلماء في القرآن الكريم لها معان أخرى غير استعمالها الحديثة في العصور الحديثة، وبالتالي أحذرك من الاستسهال والخلط بين المنظومتين لأن تفسير أيها بالأخرى يضر الاثنتين، إياك والتفسير العلمي للقرآن أو العكس، هذا جهل بكليهما، أستغفر الله العظيم.

د. دينا يسرى عفيفى: الشعور بالذنب (1) 2008-1-27

وصلنى جديدا أن الشعور بالذنب نابع من الانفصال ومن ثم الإحساس بالمسئولية عن الافعال والوجود

يجيى

لقد كنت أحسب أن هذا هو أصعب ما يمكن أن يصل، أما هكذا فأنا أشكرك، والحمد لله

د. ملك شريف دوس

ما وصلنى من إضافة أوجزه فيما يلى

(1) معالم العلاج النفسى هو علاج المريض من خلال علاقة إنسانية بناءه

(2) أهم ملامح العلاج النفسى هو ضبط جرعة الإنصات وحسن التوقيت: متى نقول، متى نصمت، متى نضغط، متى نعطي عقارا؟

(3) هو لا يتوقف عند زوال الأعراض.. بل قد يسهم في منع النكسة.

(4) العلاج النفسى ليس فقط في الطب النفسى وإنما هو في كل التخصصات

(5) المريض في حاجة للكبير والخبير

(6) الاعتمادية المتبادلة التى تميز ثقافتنا الخاصة التى تصبغ العلاج عندنا صبغة خاصة تختلف عن الغرب الذى يشبه العلاج النفسى بأنه صداقة للبيع.

(7) العلاج النفسى ليس إلا صراع أو جدل بيولوجى بناء بين نشاط إنسان ذى خبرة ونشاط "مخ إنسان فى محنة" اعجبتنى هذه المقولة جداً.

(8) رفض شديد أن يعرف العلاج النفسى أنه فضضة أو علاج كلام .

د. يجيى

... بصراحة يا ملك، أنا أثبت ما أوجزته، برغم ما يبدو فيه من تكرار، إلا أننى وجدت أن تلخيصك لما قلت يستأهل أن أشكرك شكراً يا ملك.

فقط، أرجو ألا تعممى موقف الغرب بأنه يحكم على العلاج النفسى أنه "صداقة للبيع"، هم عندهم كل الأصناف بلا استثناء تقريباً، وهم يعرفون ما يفعلون غالباً على مستوياته المتعددة.

أ. محمد المهدي: الإدمان ومنظومة القيم 2008-3-2

ما معنى القلق الناجم عن فرط الوعي، هل هو القلق الناجم عن ألم المواجهة؟

د. يحيى
نعم

أ. محمد المهدي: الإدمان ومنظومة القم 2008-3-2

اتفق مع حضرتك على تسمية الإدمان، "بسرطان الوعي" فالسرطان ينتشر في بدن المريض كانتشار النار في الهشيم، كذلك ينتشر مرض الإدمان في الإنسان بما هو روح، وجسد، ونفس، فيحكم قبضته عليه تماماً ويشل ويتحكم في وعيه أو لنقل هذه الأجزاء الثلاث التي يتشكل بها وعيه.

د. يحيى:

أريد أن أنبهك يا محمد أن الوعي لا يتشكل هكذا من أجزاء ثلاثة، الوعي هو أصل كل هذا، ليس تجميعه أجزاء، أما باقى تساؤلاتك فسوف أرد عليك يا محمد في هذه النقطة مع ردى على الابنة نادية حامد

أ. محمد المهدي: (تعتة) (تختر الوعي 1-3-2008)

إذن ماذا؟! ألن يجد هذا الشعب ما يجمعه?!

ل سؤال آخر: أنا في عملي معالجاً أحتك بكل أو معظم هذه الثقافات الفرعية التي أشرت إليها سيادتكم، أجدني لا أستطيع فهم بعضها، ولا الإلمام بأيدلوجيتها، فماذا أفعل؟ فكيف أحمي نفسي من تأثير هذه الثقافات الفرعية على وعي وثقافتى الشخصية في ظل احتكاكى الدائم بها.

د. يحيى:

ولماذا تحمي نفسك من تأثيرها؟ أنت تلتحم معها مرغماً، عليك أن تكون مجتهداً في فهمها، صادقاً في تحملها، لتخرج منها، مع من تعالجه بما يصلح لكما، ثم لنا، من تخليق ثقافة أو ثقافات جديدة، ولم لا

أ. محمد المهدي: (تشكلات شعرية على أنواع العلاج 27-2-

2008)

"لو أبطل وصف في الإحساس حاحس"

ياه!! وصلنى كيف أن الكلام والإسهاب في وصف الأحاسيس تؤدي إلى عقلنتها وضعف الإحساس خوفاً من المواجهة والألم، وبالتالي عدم التغيير.

د. يحيى:

شكراً، هذا صحيح، وقليل منا (ومن الناس) من يدرك ذلك،

أ. محمد المهدي: (ظاهرة الإدمان: خلفية وتساؤلات 3-3-2008)

كيف يكون الإدمان ثورة مبهضة، أريد توضيح هذه النقطة، كذلك فقد أشرت حضرتك في سياق سابق إلى أن المدمن يقف في منطقة وسط بين المبدع والشخص العادى بل إنه أكثر إبداعاً وتحرراً من الشخص العادى، هل تعنى حضرتك أن هذه الثورة هي ثورة لكسر فرط العادية.

د. يحيى
دعنى أبدأ من الآخر،

هذه المنطقة المشتركة تصلنى فعلاً باعتبارها بداية تحريك ما، الإدمان (والمرض الشديد) مشروع ثورة، (مثل الحمل) والحمل إذا لم يتم، وحدث الإجهاض، فالجنين يُلَفَظ وهو لم يتخلق بعد، فهو ينزل ناقصاً أو ميتاً قبل أن يوجد، لكن هذا لا ينفى أنه حمل، الاتفاق هو في بدايات التحريك وكسر العادية كما وصلك، أما المسار بعد ذلك فيكاد يكون عكسياً، المرضى والادمان في ناحية، والإبداع في الناحية العكسية.

أ. محمد المهدي: حوار بريد الجمعة 29-2-2008
أريد توضيح قولك "نحن نحصل على ما نريد بمجرد أن نبدأ وليس حين نصل إليه"،

وهل هذه الجملة معناها أو في جزء من تفسيرها أن "أعمل اللي عليا دلوقتي وأسبب الباقي على ربنا"

د. يحيى
تقريباً.

أشكرك يا محمد على هذا التساؤل، أنت تتيح لي فرصة التوضيح كالتالي:

إن الحقيقة لا أحد يعرفها، والسعى إليها هو عندي بمثابة معرفتها،

كذلك الله سبحانه الذي ليس كمثله شيء، بمجرد أن تبدأ الكدح جادا مجاهداً إليه، يملأ وعيك،

وقد وصلني مثل ذلك وأنا أمارس ترحالاتي، فأنا أبدأ الرحلة بقرار أنى وصلت إلى غايتها منذ أن أضع أشياء في السيارة

أول الطريق هو غايتي في ذاته، وهو مثله مثل آخر الطريق،

ثم إنى أكره كلمة "الوصول"، ليس فقط لأنها أصل "الوصولية"، كما تعرف معناها، ولكن لأنه لا أحد يصل إلا ليبدأ، إذا كان يريد أن يجيأ كما ينبغي،

وهذا لا يعنى أنى أرفض السكون أو الراحة، بل إن تعميق السكون للاستيعاب هو حركة من نوع آخر.

هل أوضحت الأمر لك أم زدتك غموضاً؟

د. هاني عبد المنعم: (ظاهرة الإدمان: خلفية وتساؤلات 3-3-2008)

اعترض على الربط بين الأبحاث وحركة الإعلام في العلاقة بينهما وبين انتشار الظاهرة فالعلاقة واردة مع الإعلام أما الأبحاث فهي موجودة دائماً وتظهر مع النشاط الإعلامي كمادة للتناول.

د . مجيى
يجوز

د . هانى عبد المنعم: (ظاهرة الإدمان: خلفية وتساؤلات 2008-3-3)
وصلنى من سيادتكم أن المدمنين والمجانين مرابا لشخصياتنا
وهى عارية

د . مجيى:
شكراً ، هذا ما قصدت إليه

د . هانى عبد المنعم: حوار بريد الجمعة 2008-2-29
رداً على تساؤل د. محمد نشأت (العلم 31) 2008-2-7 لماذا
المرأة غالباً هى محور أعلام نجيب محفوظ. أستأذنىك سيدى بالرد
بشكل عام فلست متخصص فى كتابات النوبلى نجيب محفوظ، ولكن
بشكل عام بالنسبة لرجل - المرأة علامة استفهام- جانب مظلم
بداخله يبحث له دائماً عن شمعة تضيئة فتظهر زاوية فتنتفضى
ويشعل شمعة أخرى لتظهر زاوية أخرى وهكذا... بالإضافة إلى
أنها وقود محرك الفكر الذكورى ومحور إلهامه. هذا والله أعلم.

د . مجيى:
الله أعلم، فعلاً

ثم دعنى لا أوافقك، لا بصفة عامة، ولا بالنسبة لنجيب محفوظ
كما أن نجيب محفوظ لا يوصف بالنوبلى، لا تؤاخذنى، بدون
تحيز، لقد شرف الجائزة أكثر مما شرف بها، وفى كل خير ومعنى.

د . أسامة فيكتور: علاج المواجهة الماوية المسئولة م.م.م
(3) 2008-2-26

"تعرية مناسبة"
مناسبة لماذا؟

لسن ولا الوقت ولا المرحلة ولا تعرية مناسبة للمتلقى
الذى يغامر بحوض تجربة الإدراك الإبداعى (هل ثمة إدراك
إبداعى)، والحفاظ على الدهشة (كيف يحافظ عليها وما
فائدتها)؟

د . مجيى:
تحديد مخالات وحدود التعرية "المناسبة هو أمر من أصعب
المفاهيم التى أعجز عن توصيلها بشكل جيد يا أسامة، مع أننى
أمارس ذلك ليل نهار مع مرضاى، خصوصاً فى العلاج الجمعى،
التعرية ينبغى أن تتناسب بدقة مع كل ما ذكرت، نعم مع كل
ما ذكرت.

أما الإدراك الإبداعى، فهو أن تستقبل حواسك - أساساً -
بشكل مجمل، نفس المؤثر بصورة مختلفة نوعياً، مهما ضولت نسبة
هذا الاختلاف، مثلاً: ترى خضرة نفس الشجرة أمام بيتك فى صباح
اليوم التالى، أنها خضرة مختلفة مع أنها مازالت خضراء

ربما هذا هو ما يجعل "الدهشة متجددة"، وهذا ما أعنية من قول "الحفاظ على الدهشة"

أما عن فائدة كل ذلك، فهي على قدر تصوري أن نصبح أحياء، وأن نستحق الحياة، فتستحقنا

د. أسامة فيكتور: علاج المواجهة المواقبة المسئولية م.م.م
(3) 2008-2-26

الكلام صعب وعميق ومؤلم ومتحدى، لا أدرى كيف تحتل كل هذه الرؤية وتستطيع أن تواصل، أعانك الله

مش الكلام بتاع اليومية دي بس، لا اللي قبله واللى جاى.

د. يحيى:
والله يا أسامة ساعات أشعر أن ما تستصعبه هكذا، هو الطريق الأسهل، وسوف ترى، لو أكملت مشوارك، سوف ترى أن الأصعب أسهل فعلا!

أ. نادية حامد محمد: الإدمان ومنظومة القيم 2008-3-2
لم تعجبنى طريقة الحديث عن إباده العدو (المخدرات) كانت أقرب إلى الشعار والخطابة وحضرتك فعلاً ترفض هذه النوعية من الكلام

د. يحيى:
عندك حق، وهأنذا أترجع

أ. نادية حامد محمد: الإدمان ومنظومة القيم 2008-3-2
أعجبنى تسمية الإدمان "سرطان الوعى" وكيف أن هذه الظاهرة تغير الوعى وتشوّهه

د. يحيى:
كنت أود أن تعترضى على ذلك أيضا، سرطان ماذا؟، أنا غير مرتاح لهذه التسمية كذلك

أ. أيمن عبد العزيز: الإدمان ومنظومة القيم 2008-3-2
لم أفهم كيف أن مجتمعات غير مجتمعنا لها قيم مختلفة هي تعاني من نفس الظاهرة على الرغم من السرد لبعض قيمهم المقابلة لقيامنا ومحاولة الربط بينهما وبين هذه الظاهرة.

د. يحيى:
يا أيمن يا ابني، أنت تعلم أن الإدمان حاليا هو في أمريكا أو فرنسا مثلما هو في بنجلادش أو السعودية، هناك فرط حرية، وهنا انعدام وندرة حرية، والمصيبة واحدة، الذى يربط بين كل ذلك هو عملية افتعال التعامل مع الوعى بمؤثرات كيميائية نتيجة لجمود الوعى في ناحية، وتناثره أو فورانه في ناحية أخرى، وهو ما يقابل ما شبهناه بالمعلقة الكيماوية في ناحية والطاسة الكيماوية في الناحية الأخرى.

أ. أيمن عبد العزيز: (تعتة) (تختار الوعي 1-3-2008)
 وصلني من هذه اليومية بعد أن قرأتها مشاعر إحباط بعد
 السرد الذي قمتم به للوضع القائم وأختلاف وتنوع
 الثقافات، وزاد إحباطي الاسئلة التي ليس لها إجابة.

د. يحيى:
 أعتقد أن علينا أن نجيب عليها نحن بما نفعل ونصر
 ونتحدى، وليس بألفاظ جاهزة

د. عمرو أحمد حسن: (الإشراف على العلاج النفسي 6-2-2008)
 إن هذه المهنة قد تضطرق إلى تغيير ما جئت به من منظومات
 ثابتة ومعتقدات راسخة فالأوقع والأصح أن أقبل واستطيع
 التعامل مع منظومات ومعتقدات أخرى ويجب أن احافظ على
 هويتي حتى لا أكون مزيفاً.

د. يحيى:
 هكذا يمكنك أن تتأكد من اختيارك يا د. عمرو، وإن كنت
 أريد أن أذكرك أن مسألة "الحفاظ على الهوية" هي مسألة
 فيها نظر من وجهة نظر النمو الدائم حيث الشخصية (الهوية)
 هي دائماً في حالة "أنها تتكون وتتجدد باستمرار" always in
the making لاحظ هذه الـ ing التي اضطررتي أن أدخل ألف لام
 التعريف "الـ.." علي "يتكون"، فأسميتها أنها في حالة
 "اليتكون" هل استطعت أن تنطقها؟

التعامل مع منظومات ومعتقدات أخرى شديدة الأهمية هو
 أمر شديد الأهمية، فإن كنت صادقاً في هذا التعامل، فكيف تحمي
 نفسك من التغيير إلا إن كان تعاملنا من الظاهر، وهذا وارد
 وأيضاً، وهو مفيد لبعض المرضى، وهو أكثر أماناً لمعظم
 الأطباء، على شرط ألا يستسلموا لشركات الأدوية..... ولهذا
 حديث آخر الخ

أ. رامى عادل: (ظاهرة الإدمان: خلفية وتساؤلات 3-3-2008)
 المدمن: في ضموره وسفره المضي جدا غضب وكره يمكن يشق
 الصخر.

وأوقات فاقد الشيء يعطيه .

د. يحيى:

حلوه هذه

"فاقد الشيء يعطيه"

يا رامى، نبهتني، ألا أكثر من استعمال هذا المثل.

صحيح، فاقد الشيء قد يعطيه، فقد يكون أدري بقيمة هذا
 الشيء الذي لم يستطع أن يحصل عليه، لكنه عرف الطريق إليه

ولم لا

أما إلى أي مدى ينطبق ذلك على المدمن، فهذا أمر آخر.

أ. رامى عادل: (تعتة) (تخر الوعى 1-3-2008)

في الحرب قبل ان تجهض! ليه هو احنا كنا هتأرب؟ خير ان شاء الله

د. يحيى:

سوف أحكى لك يا رامى عن رأى قديم لى لم أستطع أن أوصله لأصحابه، وأنا منهم، هذا الرأى يقول: (وهم لا يصدقون):

"هى إما حرب حتى ينقص الشعب المصرى إلى ثلاثين مليون (وأنا أول الناقصين) وكذلك الشعوب العربية مجتمعة تنقص إلى ستين مليوناً أو أقل، وإما حل الجيوش جميعاً، وكفى مصاريف وخطب، وتخزين خرده فى مخازن السلاح، ثم يتواصل تدريب كل ناس الشعوب، كل الناس، كل الوقت، على حرب أخرى من نوع آخر لعدة قرون، حتى لوسى هذا البديل الأخير سلاماً.

وإما "نخرس خالص"

ما رأيك؟

أ. رامى عادل: (تعتة) (تخر الوعى 1-3-2008)

هذا الشتات بالذات قد يكون مغذياً فطالما يعتمد هذا النسيج ويتآزر فى وحدته الانسانية الخالصة. فنصبح نحن الشخصية المصرية.

د. يحيى:

- نسيج ماذا يا عم رامى!!؟

ومع ذلك، ولأننى لا أكف عن تحديث الأمل مهما كان، هيا بنا، يدى على يدك

(على فكرة، أشكرك على قصر التعليقات هذه الأيام مما يعفني من اقتطاف ما لا يزيد عن عشرة بالمائة من تعقيباتك)

السبت 08-03-2008

190- الحلول الذاتية: "نعمل إيه؟" "نعمل جمعية"!!

من أطيب العادات التي مازالت تجرى في مصر، من وراء الحكومة، عادة النقوط، "وكذلك الجمعية" (النقدية) الأسرية أو الوظيفية التي يقبضها محتاج أولاً، ثم الذي يليه احتياجاً وهكذا، جرى هذا بطيبة وتعاون لا مثيل لهما، هذا القرض الحسن المسمى "النقوط" تمتد مدة السماح للدين فيه إلى سنوات طويلة، وليس من شروطه أن تسد الدين أكثر أو أقل مما أخذت، قاعدة هذا الطقس الأساسية هي: **مِنْ كُلِّ حَسَبِ شَهَامَتِهِ، إِلَى كُلِّ حَسَبِ حَاجَتِهِ!!**، تأتي مناسبة الزواج أو الطهور، فيدفع الأقارب والصديقات والمعارف ما تيسر، وينتظرون شهوراً أو سنين عدداً حتى تحل مناسبة مماثلة عندهم فيتلقون أكثر أو أقل. هذه الحلول الذاتية مازال بعضها قائم وفعال وطيب.

تقليد آخر أكثر تواتراً، وأحكم انضباطاً وهو الذي يعنيه تعبير **"نعمل جمعية"**، بالمعنى الشعبي لا الرسمي، أقصد الجمعيات التي تعملها ربوات المنازل، والجارات، والموظفين والموظفات وهي ليست لها علاقة بوزارة الضمان، ولا منج الخواجات، ولا "الإن، جي، أوه!"⁵ NGO، هذا التقليد هو من أنبل تجليات الحلول الذاتية.

خيل إلى يوماً أن الحلول الذاتية هي التي تبقى حياة الشعب المصري حتى الآن، خمسة ملايين في الخارج، كل واحد منهم له أسرة من خمسة أفراد، خمسة في خمسة بجمسة وعشرين، يروجون حولهم حركة اقتصادية لنفس العدد، أصبحوا خمسين مليون، والباقي يدبر حاله بالسرقة، أو بالرشوة أو بالوصول أو بالعمل أو بالشحاذة، أو بالاستثمار المشروع وغير المشروع، إيش أدخل الحكومة في أي من هذا! (?)

يقوم الشباب في بعض الشوارع عندما تتكسد العربات وتشل حركة المرور بتنظيم المرور أيضاً بالحلول الذاتية،

خطر في عقل ببالي: يا ترى هل هناك حلول ذاتية مماثلة في السياسة أيضاً؟ جاءني الجواب جاهزاً منذ أيام: القذافي عملها، أو أعلنها ونشرتها صحيفة الأهرام، وهو يصرح: "إن العالم يتحول الآن إلى التجربة الليبية وأن بلاده من الآن

سوف تكون بلا حكومة، وأن القطاع الإدارى أخطبوط يلتهم أموال الشعب.. إلخ"، لا تضحك وارجع إلى الأهرام 2008/3/3 صفحة 5، لا تضحك فما نحن فيه أذى للضحك.

حين تضيق الحال بأحد أفراد الأسرة الكبيرة أو أحد الجيران، أو الزملاء الموظفين، ويعرض أزمته بالصدفة، أو يفكر بصوت مسموع وهو يتمتم "طب نعمل إيه"، يرد عليه أحد الزملاء ليخفف عنه ضاحكا "نعمل جمعية"، وإما يعملونها بصحيح، أو على الأقل يضحكون للقفشة.

هل توجد طريقة نعمل بها جمعية تقوم بإدارة أحوال البلد؟ نحل بها غياب السياسة؟ أعنى غياب السياسات (بالله عليكم ما هو الفرق؟ أنا أقول لكم: "سياسات" جمع سياسة، هل هذا صعب؟)

المهم: سيوزع القذافي - أطال الله عمره - خمسة آلاف دينار لكل أسرة بواقع ألف دينار لكل شخص، عالركة، وهو يقول إن العالم سيحذو حذوه، ونحن جزء من العالم! (أليس كذلك؟)

لاحظت في تشكيل الأحزاب الجديدة، بعدما استبعدت أى سوء ظن، أننا بدأنا في ممارسة شكل آخر موازيا لهذه المحاولات، أعتقد أن بعض الشرفاء عندنا حين يرون الحال المائل، ثم يرونه وهو يميل أكثر فأكثر، وهم لا يستطيعون عدله أو إيقاف ميله، وفي نفس الوقت لا يستطيعون الإنسحاب من مسئولية تواجدهم على هذه الأرض، هؤلاء النفر الطيبون حين يجتمعون ويتساءلون "طيب نعمل إيه" فيقول أحدهم مخلصا "نعمل حزب" (مقابل "نعمل جمعية" كما ذكرنا) طيب، ولكن من يقبض الأول؟ قال لك: "الحزب الوطنى"، فيسأل أحد السذج ومن يقبض بعده؟ ويكتشف حسنوا النية - بعد أو قبل تكوين الحزب، باللجنة أو بالقضاء - أن الحزب الوطنى هو الذى يقبض الأول والثانى حتى الأخير، مع أنه لم يشترك ابتداءً في "الجمعية"، لأنه ليس حزبا من أصله.

المفروض في نظام الجمعية أن الذى يقبض يمشى حاله من قبضيته، ثم يحل محله التالى في الشهر التالى، وهكذا "هذا ما يمكن تسميته "تداول القبضية" لكن في سياستنا الراسخة ممنوع على الأحزاب حكاية تبادل السلطة هذه، حتى الحزب الوطنى ممنوع، ستقول لى "كيف"؟، فأنبهك أنك لم تأخذ بالك أنه لا يوجد شئ اسمه الحزب الوطنى بالمعنى السياسى، وبالتالى ليس له فرصة أن يشكل الحكومة، الحكومة هي التى تشكله؟

قال لك: طيب "نعمل إيه"؟

قال لك: "نعمل جمعية"

الأدمان 09-03-2008

191- خلاصة مقدمـة مـلـف الإدمان (5)

مراجعات ومواقف، وملامح المخرج

مقدمة

أود أن أؤكد من جديد أنني لم أستوح رؤيتي لهذه الظاهرة بالصورة التي أقدمها بها، إلا من خلال انطباعاتي طوال بضعة عقود من الممارسة الإكلينيكية، وقد ترتب على ذلك أنني أعدت النظر بشكل شامل في معظم المواقف التي تتناول الظاهرة من الزوايا المختلفة وفيما يلي بعض ذلك:

أولاً: الموقف الطبي

تبدو ظاهرة الإدمان من وجهة نظر أغلب الأطباء، وكأنها ظاهرة طبية في المقام الأول، وبالتالي فهي تحتاج إلى علاج بواسطة طبيب، في مستشفى عادة، يا حبذا لو كان مغلقاً، وبواسطة عقاقير بديلة، أو شافية.. الخ.

وللأسف- فقد تبين بالممارسة - أن كل ذلك يحتاج إلى وقفة مراجعة في أكثر من اتجاه، ومن بعض ذلك:

- 1- إن المدمن ربما يقبل على الإدمان - كما ذكرنا - (يومية الإدمان، ومنظومة القيم 2-3-2008) توكياً للمرض النفسي القادم، أو المهدد، أو المنذر بمعنى: إن الإدمان قد يكون إجهاضاً للمرض في البداية، قبل أن يكون إعلاناً لمرض في ذاته، فكأن الإدمان من هذا المنطلق يبدأ كبديل للمرض النفسي القادم أو البادئ أو المهدد، قبل أن يصبح مرضاً مستقلاً في ذاته، بذاته، وعلى ذلك ينبغي أن يقل الحماس للمبادرة باعتباره مشكلة طبية منفصلة؟
- 2- إن الاضطراب الغالب مع، وخلف، الإدمان، هو من نوع اضطراب الشخصية (دون العصاب أو الذهان)، وهذا النوع، في عمقه، يعتبر مشكلة اجتماعية (وقانونية أحياناً) أكثر منه مشكلة طبية. ولا يوجد - إذن - ما يبرر غلبة التطبيب على غيره من سبل المعالجة.
- 3- إن الإدمان قد يأخذ شكل ما هو بديل التطبيب مما سمي "التداوى الذاتي"، وقد أشرنا إلى ذلك سابقاً (يومية ما الذي "تقوله" ظاهرة الإدمان؟ 5-3-2008)، ربما وصل الأمر

إلى اكتشاف عملية انتقائية يمكن رصدها بالنسبة لاختيارات المدمنين على اختلاف أمراضهم النفسية الكامنة أو الظاهرة على سبيل التداوى الذاتى الانتقائى بهذه المادة دون تلك، لذلك المرض دون غيره، (مثل الهيروين للإكتئاب مثلا)، إذا بالغنا فى قبول هذا الاحتمال على علاته فإنه قد يجدر بنا - منطقا - أن نقبل فكرة أن الإدمان أحيانا يكون طبا بديلا قبل أن يصبح مرضا بديلا، لكنه طب له أعراض جانبية تصل أحيانا إلى أن تكون ألغن من المرض المراد شفاؤه .

4- إن اندفاعات الطب النفسى المعاصر نحو ما يسمى بالنموذج الطبى (وهو فى الحقيقة: النموذج الكيمىائى الميكنى الكمى) هو موقف -كما ألحنا سابقا- قد يساهم فى نشر ظاهرة الإدمان، لا فى التقليل منها. ذلك لأن هذا النموذج الطبى المزعوم يؤكد -بشكل مباشر وغير مباشر- على ضرورة **الإدمان الكيمىائى (الطبى)** بوجه خاص، وإن اختلفت المسميات، وتفاوتت المضاعفات، يفعل ذلك تحت غناوين **العلاجات الطويلة المدى، أو حتى العلاج مدى الحياة، وما شابه.**

5- إن استغلال ضعف الثقافة الطبية عموما بإيهام الناس والمدمنين بحلول طبية سحرية تقوم بغسيل الدم تحت تحدير عام لبضع ساعات (أحيانا تسمى علاج الإدمان بالجراحة حيث تزرع "كبسولة ما" تحت الجلد.. تحت تحدير عام)، ثم يُبلغ المعالج (الجراح!!) المدمن بعد أيام أنه رجع "نظيفا" كما ولدته أمه، كل هذا يمارس تحت اسم الطب، ومع أنه له أصول تحت ما يسمى "إزالة التسمم السريع"، فإن مجتمعنا الذى ينبهر لأى حل سريع، يعتبر أن هذا هو "غاية المراد"، ونهاية المطاف، ونحن ندرج هذا تحت بند الموقف الطبى لأن الذى يقوم به "أطباء"، وهو أمر يحتاج وقفة حاسمة وتثقيف ممتد، وضمان حية.

إذن ماذا؟

نحن نحتاج إلى تعديل جذرى لهذا الموقف الطبى، ومن ذلك:

1- ينبغى تحديد وضع مشكلة الإدمان بالنسبة للممارسة الطبية، باعتبار أن **الطب الدوائى يتناول بعض مضاعفات الإدمان العاجلة دون جوهرها الراسخ.**

2- ينبغى أن نقف موقفا نقديا شاملا فى مواجهة هذه الشائعات شبه العلمية التى تقول بأن **الحياة العصرية، تحتاج أول ما تحتاج إلى مهدئات كيمىائية عصرية!!!!**

3- (حتى قال لنا بعض الزملاء فى أحد الاجتماعات وهو يخلط الجد بالهزل، أنه بعد غلاء اللحوم يمكن لمن لا يجد الكيلو بكذا أن يستبدله بقرص "أتيفان" بعشرة قروش مثلا، أو أن على الحكومة أن تضع المهدئات مع ماء الشرب مثل الكلور الخ).

4- على الطبيب - بما يثله - أن يضع نصب عينيه المقاييس الإيجابية التي يقيس بها نتائج مهمته العلاجية، ولا يقتصر على مواصلة تحليل البول والتجسس على الدم!! .

قبل التعاطى وبعد الانقطاع لمدد طويلة، فلا يكتفى بقياساته وتقديراته أثناء التعاطى ثم حول فترة الانقطاع .

5- على الطبيب ألا يستدرج إلى مهرجانات الترهيب والترغيب الإعلامية والدينية، وأن يجذر الاطمئنان لما تقوم به من **تقويف فاشل لمن وقع في مستنقع الإدمان فلم يعد يجيفه شئ.**

أى أنه على الطبيب أن يقود الإعلام ما استطاع إلى الوجهة السليمة وهو يؤكد على ضرورة تناول الموقف من **جذوره بالبحث عن ما تعنيه الظاهرة عامة، ثم ما تقوم به لكل فرد على حدة، وكيف نستفيد من كل ذلك.**

6- بالنسبة لإزالة التسمم السريع، ينبغى أن يوضح الأمر لمن اختاره أن المسألة ليست غسيل دم، ولا علاج جراحى، وأنها - لمن اختارها - ينبغى ألا تكون إلا الخطوة الأولى في برنامج ممتد.

7- وأخيراً، فعلى الطبيب ألا **يكتم مشاهداته الإكلينيكية منتظراً تقييمها كمياً بمنهج علمى محدد،** منحه قد يجتزلها أو يشوهها، بل إن واجبه الأول أن يقدمها إلى الباحثين المنهجيين - في صورة فروض عاملة، كما يقدمها إلى التربويين والسياسيين في صورة شهادة من جوف المعمة، ليس له حق كتمانها، ولو في صورتها الفجة .

ثانياً: الموقف "البحث علمى"

تكاد ظاهرة الإدمان - مثل الكثير من الظواهر النفسية - أن تكون غير قابلة للبحث بالطرق التقليدية، ولعل هذا من أهم الأسباب التي جعلت نتائج الأبحاث عاجزة عن الإسهام الحقيقى في مواجهة الظاهرة، لدرجة أننى ألتحت إلى احتمال أنها قد تخدع المهتمين بالظاهرة إذا ركزت الأبحاث على جوانب ثانوية، أو أجريت من خلال القياس بمقاييس ظاهرة، لا تسبرغور الظاهرة كلها، ولا تهتم بلغتها أو معانيها أو مراميها ..

ومن أهم ما يوقعنا فيه المنهج العلمى التقليدى السائد ما يلى:

1- إننا نعتمد في الحصول على المعلومات على تقييم لفظى في أغلب الأحوال

2- إننا نهتم بالنتائج العاجلة، وأحياناً ما نرضى بها

3- إننا نهتم بالتغيرات والآثار الكمية (دون، أو لدرجة أقل من، النتائج الكيفية)

4- إننا نركز على اختفاء ظاهرة ما (أو أعراض ما) دون أن نبحت- في نفس اللحظة- عن مواكبة هذا الاختفاء مع تحريك أعراض وسامات قد تكون أخفى وأخطر.

5- إننا نركز تركيزا مبالغاً فيه ونحن نبحث عن أسباب الظاهرة، (السببية الختمية) وهو أمر ليس هينا مهما بدا الترابط ظاهرا ومؤكداً بين متغير وآخر، لأنه مع التعقيد التكتيفي للظاهرة البشرية يكاد يستحيل في مجال الشخصية واضطرابها تحديد السبب أو الأسباب التي أدت إلى هذا الانحراف أو ذاك السلوك، وكل ما يمكن الإشارة إليه -دون يقين- في أغلب الأحيان- هو تزامن أو تتابع أو ترابط متغيرين لدرجة أو لأخرى.

وحتى يقوم نشاط البحث العلمي، في بلدنا هذا، في وقتنا هذا، بما نتوقع منه في الإسهام في توجيه مسارنا ومعالجة صعوباتنا بالنسبة لظاهرة الإدمان خاصة، لا بد وأن نراعى الاختلاف الجوهرى بين ظهور هذه الظاهرة في مجتمعاتنا وبين ظهورها في مجتمعات أخرى مختلفة.

وأشير هنا إلى بعض التنبيهات الواجب الالتفات إليها بشكل أو بآخر في هذا الصدد:

1) لا ينبغي أن يقتصر النشاط البحثي على نسخ المنهج الشائع والمتاح، مجرد أنه محكم أو ممكن أو مستورد.

2) لا ينبغي أن تُقرأ النتائج قراءة تعلن ترابطاً ما بين متغير واحد، ونتيجة محدودة، إذ لا بد ليكون البحث العلمي موضوعياً ونافعاً، أن نحسن صياغة "جملة مفيدة" من هذه الأجدية، وهذه الجملة المفيدة لا يمكن أن تتكون إلا من خلال وعى بشري موضوعى أمين مبدع مهتم

3) إن البحث العلمي عامة، وفي مثل هذه الظاهرة خاصة يحتاج إلى باحثين أخلاقيين سياسيين في المقام الأول، وهذا لا يتفق مع الإشاعة شبه المنهجية التي تصر بشكل نظري مثالي على ضرورة حياد الباحث، وانفصال ذاته وتحيزاته عن موضوع البحث، فالمطلوب من الباحث هو أن يكون صاحب موقف يرصد به تحيزاته ويخفف منها، لا ينكرها أو يتنكر لها، ومادام هو صاحب موقف معلن أو خفي، فلا بد من إعداده ليكون موقفه في اتجاه بناء الإنسان والتأكيد على الموضوعية.

4) لا بد إذن من تنشئة باحثين على وعى سياسى (بالمعنى الأشمل للكلمة)، وبالتزام أخلاقى يجعلهم مؤرقين شخصياً إذ يواجهون الظاهرة - تقشفاً حضارياً -، وبانتماء إيماني يسمح بالإبداع ويمجد أولويات ومستويات التوافق بمركية دائبة.

5) من خلال مثل هؤلاء الباحثين يمكن أن تتخلق مناهج جديدة للبحث العلمي، لا تستبعد الانطباعات الذاتية (أهمها الإكلينيكية) ولكنها تضعها في موضعها المناسب في سياق الجهاد المعرفى الأكبر، ويتم تقييم المصادقية من خلال مصادقية الباحث والأداة ليس فقط في مجال البحث وداخل حدوده، وإنما في مختلف أنواع وجودهم الإنساني.

6) كل ذلك سوف يسمح لنا باستلهم الفروض النابعة من الممارسة الإكلينيكية، ومن الظواهر الاجتماعية والسياسية والدينية على حد سواء، فروضاً تتشكل من عمق

ظروفنا شديدة الخصوصية، فلا يقتصر البحث العلمي على مجرد محاولة إعادة تحقيق فروض وأردة من مجتمع آخر، له ظروف أخرى، في مرحلة تطور مختلفة.

(7) كما ينبغي تقييم النتائج المجردة للأبحاث بفائدتها الحقيقية متى وضعت توصياتها موضع التنفيذ، مع التتبع والتعديل من واقع الممارسة.

وإلا فما جدوى البحث العلمي أصلاً؟

ثالثاً: الموقف السياسي

لا تستعمل كلمة السياسة هنا بالمعنى الشائع المتعلق بنظام حكم معين أو بنوع إدارة سلطة بذاتها، وإنما تستعمل بالمعنى الأعمق والأدق الذي يؤكد على أن كل وجود إنساني يندرج في نظام عام له حقوق وعليه واجبات يتم تنفيذها من خلال حركة مجاميع الناس وحوارهم، هو وجود سياسي في المقام الأول مهما كانت تسميته الشائعة.

من هذا المنطلق، وبكل المسؤولية، فإن مشكلة الإدمان هي مشكلة سياسية أساساً، ولن يكون لهذه المشكلة حل حقيقي إلا بتغيير جوهرى -على مستوى الوطن، وعلى مستوى العالم، تغيير يقع بشكل أو بآخر تحت ما هو مسؤولية سياسية، تصب -إن أجلا أو عاجلا - في مسيرة تطور الإنسان مهما اختلفت التسميات.

معنى ذلك أن مهمة التصدي لمشكلة الإدمان هي مشكلة الدولة والناس كافة، قبل أن تكون مشكلة طبية أو اجتماعية، وإحالتها إلى رجال الطب، أو مختصى النفس، أو متحمسى الوعظ، كل ذلك هو اختزال للمشكلة وتغافل عن حقيقة معناها.

وعلى ذلك فإن كفاءة نظام سياسى معين، قد تقاس ضمناً بمدى كفاءته في القضاء على مثل هذه الظاهرة، سواء كدليل على قوته وإحكام قبضته، أو كدليل على نجاحه في تحريك الانتماء وتنمية المسؤولية الجماعية (والفردية ضمناً) فعلاً يومياً وناجحاً حضارياً.

أكتفى - بعد ذلك- بالتنبيه على ما أوجته لى انطباعاتى الإكلينيكية السالفة الذكر في هذا الموقف الأشمل على الوجه التالى:

- 1- على الموقف السياسى أن يقود، مستلهما كل المواقف الأخرى (الطبية، والبحث علمية، والدينية.. إلى آخره).
- 2- تتوقف تفاصيل مهمة القيادة السياسية في هذه الحرب الحضارية والتطورية على متغيرات كثيرة، ليس هذا مجال شرحها هنا، ولكنها تأخذ في الاعتبار سلطة الحكم، ودرجة النضج، وقبضة القانون، مما يختلف من بلد لبلد، ومن مرحلة إلى مرحلة.
- 3- لا أترك هذه النقطة دون أن أذكر أن العمل السياسى، إذا كان له أن يكون مسؤولية حضارية - هو ليس من

اختصاص السلطة دون الناس، و كل نظام له شكل خاص في التأكيد على وسائل وأشكال تنظيم هذه الحركة بين السلطة والناس، وطبيعة التمثيل بينهما، وكل ذلك هو الذى يعطى معنى لما أسميته العمل السياسى فى هذا المقام.

رابعاً: الموقف الدينى

لا بد أن نفرق ابتداءً بين الاستخدام السطحى للدين وبين التدين الحقيقى الذى يمضى على أرجل: عبادات، وخلقاء، ومعاملات، وجهادا داخليا وخارجيا فى حوار متصل، فى ظل ممارسة طبيعية ليس لها سقف، وجهاد أكبر ليس له نهاية، بمعنى أنه لا بد أن نفرق بين استعمال اللغة الدينية، وبين اتباع التعليمات الدينية، ثم سلوك السبل الإيمانية، ففى الحالة الأولى تكثر الأصوات وتقل الممارسة، وفى الحالة الثانية تزيد الممارسة وتصبح خيرا طبيبا فاعلا نافعا ومتحركا، وفى الحالة الثالثة يتواصل الإبداع "إليه" دون توقف.

على أن هذه التفرقة ليست تفضيلا لأحد الجوانب، لكنها دعوة لتتكامل الصورة السلوكية والتنظيمية العباداتية، مع الموقف الإيمانى الحياتى الأعمق فى دوره الإبداعى الخلاق.

أهمية هذا التوضيح هو التأكيد على الاستفادة مما هو دين وتدين وإيمان على مستويات متعددة، حرصا على النفع الحقيقى من كل ما هو دين حقيقى، وإيمان حركى متصل.

كذلك يحسن التنبيه على أن المدمن بوجه خاص لا يستجيب للإفراط فى الحديث باللغة الدينية المباشرة، بقدر ما يمكن أن يقتدى بسلوك ظاهر يُحتذى بشكل غير مباشر.

كذلك فقد تشيع صورة تسكينية للتدين ربما تأتى بنتيجة عاجلة حسنة الشكل، ولكن ينبغى النظر فى حقيقة مدى فاعليتها، وطول بقائها، إذا ما تذكرنا مستويات حاجات من يلجأ إلى الإدمان وهو يبحث عن تغيير فى الوعى وتحريك له وليس مجرد تسكين، كما أنه أيضا يبحث عن المعنى، وعن الامتداد، وعن الحق بما يشبه الثورة فى البداية، وكل هذه القيم يمكن أن يحصل عليها من جهاد إيمانى حقيقى يقرب وجوده الجاف المنقطع (كالجسم الغريب فى الكون) إلى وجود نام ممتد فى التناسق الكونى والمعنى الحقيقى.

إن تنمية الجانب الإبداعى فيما هو إيمان، هو أمر جوهري وأساسى، ليس فى مقاومة ظاهرة الإدمان فحسب، وإنما فى المسار الحضارى والتطورى بشكل عام.

وفى حدود ممارستى الإكلينيكية السالفة الذكر أشير إلى أن حضور معالج نشط (فى العلاج النفسى مثلا) بشكل حركى قادر، يحاول أن يصل الحاضر بالتوجه الآتى إلى ما بعد حدود الإنسان الفرد، فيما يتعلق بالإيمان بالغيب بوجه خاص، هذا الحضور له أثر لا يمكن التقليل منه فى عرض بدائل صحية حقيقية تملأ وعى الآخر بالمعنى والامتداد والتناسق معاً، إذ لا يكتفى بالتسكين والتحميس والوعود فحسب.

هذه الممارسة الأعمق للجهاد هي متصلة بالمرحج المقترح لهذا المأزق التطوري، الذي أحد مظاهره مشكلة الإدمان.

إذن ماذا؟

1- ينبغي أن نتذكر حكاية أن الدين مخدر للشعوب، وأن لها أصلاً ناتجاً من سوء استعمالنا للدين بمعنى التسكين والتطمين السطحي من جهة، ثم القمع والحد دون الإبداع ودون حركية الوعي من جهة أخرى، ومع ذلك يمكن أن يكون لها معنى آخر بمعنى أنه يمكن أن يحل الدين بشكل أو بآخر محل المخدرات كمرحلة بادئة، شرط أن يبدأ يبدأ التحرك منه: جهادا وسعيا إلى الوعي الفائق المرادف لحركية الإيمان "عُودا إلى الأصل".

2- إن كثيرا من القيم الدينية الإيجابية يمكن أن نجد ما يقابلها في برامج التأهيل الممتد.

3- إن تحريك الوعي بالسعي الإيماني قد يعد بتغيير إبداعي يحقق نقلات وجدل بين مستويات الوعي نحو الوعي الفائق بما يغني عن الحاجة إلى هذه التشكيلات الكيماوية الخطرة.

4- إن ممارسة التأهيل مع مدمنين من أديان مختلفة يتجهون إلى نفس الوجهة يمكن أن يكون مجالا - ولو لاشعوريا - لممارسة الجدل الحقيقي بين الناس المختلفين، بدلا عن مزاج الحوار السطحي المزعوم بين الأديان.

الخلاصة والمرحج والنمو والإيقاع الحيوي

فيما يلي أعرض نتيجة ماوصلنا إليه، وقد تخلق منه نوع من التصور الغرضي النابع من الواقع الإكلينيكي للخروج من هذا المأزق على الوجه التالي:

إما أن نستسلم ونحن نعلن أن ظاهرة الإدمان بما وصلت إليه من هذا العنف التدمري تعلن نهاية مرحلة بيولوجية في تاريخ الجنس كأحد مظاهر التمداد في الاستغراق في مقومات انتحار البشرية، مع تذكر أن ثمة ظواهر أخرى أخطر وأقدر على فناء الجنس (مثل الحروب، وتغير المناخ، وتلوث البيئة)، ومع ذلك، فهي مازالت في متناول إيجابيات الإنسان وفي حدود سيطرة قدراته حتى اللحظة الراهنة.

وإما أن نعتبر أنها نذير يعلن خطأ في المسار يطلق صيحته بهدف التنبيه إلى ضرورة احترام حاجات الإنسان غير المشبعة (السابق الإشارة إلى بعضها مما ظهر في الممارسة الإكلينيكية) وبالتالي فإن هذا النذير يدعونا إلى محاولة إشباعها بوسائل أكثر إيجابية وأقدر استمرارا.

وهذا هو الأرجح، وهو ما أفضله وأقرأه على الوجه التالي:

1- إن الإنسان في مرحلته الحالية - أكثر من أي وقت مضى - قد ملك أدوات معرفة أكثر فأكثر: معرفة نفسه وخارجه على حد سواء، فأصبح مهددا بجرعة من الوعي لم يتهيأ لها بقدرات تستطيع استيعابها في حركة إبداعية مناسبة.

2- فإذا أضفنا إلى مساحة الرؤية ومداهما أن محتوى الرؤية أصبح زاخرا بكل ماهو باهر وخطير، من حيث القدرة على التنبؤ بمصائب قادمة، وتدهورات محتملة، وعلاقات مضروبة، وحيوات مهجرة .

3- ثم بعد ذلك أضفنا عجز الميكانيزمات النفسية العادية (الجيل النفسية) عن إغلاق نوافذ هذا الوعي المنتشر للتخفيف من واقعية وموضوعية (وربما حتمية) تلك الأخطار الزاحفة .

4- إذا أضفنا كل هذا إلى بعضه البعض لأمكن إدراك معنى **جوء الإنسان المعاصر إلى هذا التمداد في الإفراط في استعمال التخدير الكيمياءى، سواء تحت عنوان ظاهرة فرط التطبيب النفسى، أو تحت عنوان ظاهرة الإدمان.**

وكأن هذا المدخل يلزما بإعادة النظر في أصل الظاهرتين معاً، رغم اختلاف درجة المخاطر، ومدى التدمير:

(أ) **ثمة محاولة طبفسية خطيرة تروج للتمداد في الإفراط في التداوى بالعقاقير، معظم الوقت أو طول الوقت، تواكبها وتوازبها محاولة تخدير ذاتى متزايد حتى يصل إلى نهاية إدمانية مدمرة. وكلا من المحاولتين تسعى إلى التقليل من حدة الوعي الملاحق بالرؤية المتزايدة: في مداها ومحتواها جميعاً.**

(ب) إذا نحن سلمنا بذلك، كان لزاماً علينا - ابتداءً - أن نسعى إلى القبول بالأمر الواقع في محاولة الاعتراف المبدئى بضرورة ضبط جرعة التخدير ولو بلغ الإدمان بشكل أو بآخر. بما أن هذا الاعتراف يبدو ضد طبيعة الأشياء، وضد حلم الإنسان باضطراد النمو والتمداد في تعميق الوعي، فلا بد من التسليم بأن هذا الاعتراف هو مرحلى بالضرورة

(ج) ذلك أن هذا الاعتراف ليس سوى خطوة تكتيكية في استراتيجية ممتدة، حيث أن التسليم بضرورة الحد من الرؤية بما يعنى ضرورة التخدير لا يعنى الاعتراف باستعمال مواد كيمياءية بقدر ما يدعو إلى البحث عن وسائل تسمح بتناسب القدرة مع الرؤية في مراحل النمو المختلفة .

(د) إن هذا يستلزم أن ننظر إلى نمو الإنسان من منظور الإيقاع الحيوى، لندرك أن نمو الإنسان لا يسير في شكل خطى مسلسل، وإنما يتم تطوره في جدل إيقاعى متناوب تناوب الليل والنهار، تناوب النوم واليقظة، وتناوب الحلم والنوم غير الحلم، وضبط جرعة الرؤية مع كفاءة القدرة لا بد أن يسير بنفس الإيقاع. فإذا كان الإنسان في حاجة إلى تخدير مؤقت مناسب، بالطرق الطبيعية، في مرحلة بذاتها (مرحلة تحصيل المعلومات وترتيبها)، فهو في حاجة في مرحلة أخرى إلى تحريك موجه من خلال إطلاق قدرته الإبداعية لاستيعاب جرعات متزايدة من الرؤى والبعث (وهذه هى مرحلة البسط المتناوبة مع مرحلة التحصيل)، يتمثل البسط الإبداعى في تحريك الوعي في توجه هادف مسئول، يحاول تنظيم المعلومات التى حصل عليها

الوجود البشرى أثناء ما أسميناه بالتخدير الجيد الهادئ، وهذا ما يقابل تحريك الوعي الذى قد يلجأ إليه المدمن بشكل أو بآخر رقحاما وافتعالا، فإذا هو تحقق بانتظام الإيقاع الحيوى، مع الاستعداد له بتنمية قدرات الإبداع حتى يمكن أن تستوعب الجرعات المتزايدة منالرؤية والمواجهة، إذا تم هذا وذاك فإن الإنسان لا يحتاج إلى أى تعقيم أو تحريك بوسائل صناعية (طبية أو عشوائية) خطيرة.

وقفة وعود:

بعد هذه المقدمة التى طالت إلى خمس نشرات، نرجو أن تتاح لنا فرصة تقديم معلومات وتوصيات وتوجيهات وقائية عملية، بقدر ما سوف نعرض لحات من حالات محددة، كل ذلك مرتبط بثقافتنا أكثر فأكثر.

الإثنية - 10-03-2008

192- نَفْسَةُ الحَيَاةِ المعاصرة، بين العلم والثقافة

تمهيد:

في نشرة سابقة ("علمٌ هذا أم ماذا؟ 18-2-2008) تساءلْتُ عن طبيعة ما ينشر في هذه النشرة، وفيها نبهت إلى اتساع مفهوم ما هو "علم" مع تعدد المناهج وتنوع الاختلافات الإيجابية والسلبية، وبالتالي، من باب أولى، وجدت أن علينا أن نتساءل سؤالا متعلقا بالطب عامة، والطب النفسى بشكل أكثر تخصيصا: هل هو علم؟ أم مهنة؟ أم فن؟ (أم ماذا؟)

أنا أحب كلمة "معلم" (يكسر الميم، خوفا من قراءتها مضمومة، كما أنني أحب أن أعلم الصنعة أكثر)، أحبها أكثر من حي لكلمة عالم.

لاحظت مؤخرا بل طول عمرى، أن استقبال الناس لما يقوله النفسيون عن النفس البشرية مبالغ في قيمته، لأنهم يحسبون أن ما نقوله - خاصة في وسائل الاعلام - هو العلم المتين (أخشى أن أقول: أو النهائى)، والأمر ليس كذلك أصلا، بل إننى رفضت منظومة "التفسير النفسى للأدب" وكتبت معظم نقدى من منطلق "التفسير الأدبى للنفس" باعتبار أن الأدب هو الأسبق، ومنه نتعلم ماهية النفس أدق، ومن ثم يمكننا أن نعالجها أفضل.

حين زحف العلم عامة إلى الثقافة، وكان ينبغي أن يفعل، ومع تضخم منظومته، كاد يحتكر الحق في تشكيل الثقافة الأحدث، وذلك بتمادى الزحف إلى، وعلى، المنظومات المعرفية الأخرى، يسمّى هذا التوجه باسم "الثقافة العلمية"، وأنشئت له لجنة في المجلس الأعلى للثقافة شرفتُ بعضويتها منذ أكثر من عشر سنوات وحتى الآن، ومن خلال نشاطها المثابر استطعت أن أتبين خطورة التداخل غير المحسوب، وأحيانا غير المسئول، بين العلم والثقافة والخبرة والصنعة والفن، (وما بين منظومات وقنوات المعرفة عموما)، وأيضا خطورة طغيان إحداها على الأخرى.

أغامر بطرح تصورى عن ما جاء بالعنوان، وعلاقته بما يسمى "الثقافة العلمية" كما يلي:

مقدمة :

ثمة مقدمة أخرى أشعر أنها لازمة ابتداء :

خطر ببالي - منذ البداية - أنه إذا كان التسخير العملي لمعطيات العلم في تسهيل وتنظيم السلوك اليومي المادي الظاهر هو ما يسمى التكنولوجيا (اللاحقة) فإن تسخير معطيات العلم في تشكيل وعي الناس وتنظيم مستويات الوجود (بما في ذلك مستويات الدماغ) يمكن أن ينتمي إلى هذا المفهوم الجديد المسمى "الثقافة العلمية"، ولا أعني بتنظيم مستويات الوجود أي محتوى إيديولوجي معين، وإنما أعني التنسيق القادر على إتاحة الفرصة لكي تمارس الحياة اليومية بأكثر قدر من الموضوعية والإبداع.

كان على أن أساءل من موقع تخصصي "ما هي معطيات وإسهامات العلوم النفسية في تنظيم الوعي البشري لتخليق ما هو ثقافة معاصرة مناسبة حركية الإبداع وتشكيل الحاضر والمستقبل؟

وجدتني - وأنا أحاول أن أجيب - أعيد اكتشاف أوجه القصور فيما يسمى العلوم النفسية والتي يمكن أن تعيق ما هو ثقافة علمية بالمعنى الذي قدمته حالا، ذلك أنني تبينت - ليس لأول مرة كما ذكرت- أن معطيات ما يسمى بالعلوم النفسية لا تعدو أن تكون إسهاما شديدا لتواضع لمعرفة النفس، وبالتالي فإن المغالاة في قيمتها قد يكون معوقا أكثر منه عاملا مساعدا في تشكيل الوعي بما سبق أن حدناه سلفا، وهكذا وجدت نفسي أحدد دورى في هذا المجال بالتأكيد على ما لا ينبغي، أكثر منه بالتأكيد على ما ينبغي، وإليك بعض ذلك:

أولا: مازالت العلوم النفسية، بما في ذلك الطب النفسي، من العلوم غير الناضجة غير الحكمة (بالمعنى السائد حتى الآن)، ومن ثم لا ينبغي أن تؤخذ معلوماتها باعتبارها مرجعا وصيا على وعي الناس أو مفسرا لسلوكهم، إلا في حدود متواضعة تماما، ومع اختلاف الثقافات، بما في ذلك تنوع الوعي الديني والمعتقد الديني والظروف البيئية والمعرفية المختلفة، تصبح الحاجة إلى توسيع مصادر المعارف النفسية أشد إلحاحا وإلزاما.

ثانيا: إن أوجب الواجب، ونحن نساهم في تشكيل الوعي الموضوعي، أن نحذر من "نفسنة" الحياة المعاصرة، وأعني بتعبير نفسنة (Psychiatrization أو Psycholization) = المبالغة في استعمال اللغة والرطانة والمصطلحات النفسية في تفسير مظاهر السلوك البشري، وخاصة في مجالات السياسة والإبداع، لأن هذه الحاجة التفسيرية النفسية المباشرة التي يطلبها الناس بإلحاح واستسهال، فيسائرهم الإعلام بسطحية وحنس نية، ثم يستجيب لها الأطباء النفسيون وبعض علماء النفس بالفتاوى والإملاء، إما أنها تتناول جانبا محدودا من السلوك، أو أنها تتبع نظرية بذاتها في علم النفس أو الطب النفسي، ثم بعد ذلك هي - غالبا - "وجهة نظر" لصاحبها أكثر منها معلومة محكمة، ناهيك عن التسطيح الغالب الذي يجعل ما هو "معرفة نفسية" أقرب إلى النصح والإرشاد والتفسير الخطى أحادي المنطق.

ما هو الممكن؟

دعونا ننظر كيف تضيف المعارف النفسية عامة - بما في ذلك علم النفس والطب النفسي - إلى ما هو ثقافة عامة، وثقافة علمية خاصة.

أولاً: ينبغى فتح الباب على مصراعيه للتقدم نحو محاولات "معرفة النفس" من كل روافد المعرفة.

ثانياً: ينبغى أن تحدد الأهداف التي نريدها من هذه المعرفة لتنظيم الوعي وتأكيد الموضوعية وإطلاق الإبداع

ثالثاً: ينبغى أن تحدد الوسائل القادرة على تحقيق هذه الأهداف بالعمل على التدريب على أفضل سبل التلقى، والتأكيد على مرونة اللغة، وإطلاق دورية الإبداع أكثر من التركيز على تقديم معلومات مهزوزة صادرة من منهج مشكوك فيه تحت اسم علم النفس أو الطب النفسي وخاصة إذا قدمت بطريقة "وثقانية" وكأنها الحق.

إن الارتقاء بالثقافة عامة ينبغى أن يهتم بالتركيز على الإسهام في تنمية الأداة البشرية التي تحقق الموضوعية الحياتية بتنمية "التفكير العلمي" كمنهج في الحياة اليومية، ذلك أن الأهم في مرحلتنا هذه - بل وفي كل المراحل- هو ألا نتصور أن "البحث العلمي" في معاميل الأبحاث وحتى في الجامعات: هو فقط الذي ينبغى أن نتبع فيه المنهج العلمي، التفكير العلمي يأتي قبل وبعد منهج الممارسة في العمل أو في التجريب، وهو سلوك يومي مجرى، أو ينبغى أن مجرى، في كل موقع وعلى كل مستوى، أما البحث العلمي فهو ممارسة محدودة، وقد تكون هامشية في كثير من الأحيان في بلدنا خاصة، بالنسبة لدورها في تكوين وعي الناس.

التفكير العلمي لا يرتبط بمنهج تجريبي ظاهر بذاته، ولا هو قاصر على المعطيات المادية المحدودة، ولا هو يعنى الإنغلاق خلف نتائج المعامل وأرقام الإحصاء، وإنما هو يمتد إلى كل ما يحقق موضوعية المعرفة.

موضوعية المعرفة في مجتمعنا بالذات تتحقق من روافد معرفية متوازية ومتكاملة، وليس باختلالات علمية تعسفية مجرد أنها خرجت من معمل أو عوملت بالإحصاء، كما أن موضوعية المعرفة لا تستمد من نص جامد ولا من حدث تاريخي أصبح ماضياً لايعاد، وإن كان يستعاد لنقرأ من جديد!

وعلى ذلك تكون للمعلومات الحكمة المستقاة من المنهج التجريبي نفس الأهمية التي للمعلومات الواردة من كشف الوعي بالتجريب الأدبي والفني، هذا بالإضافة إلى الرافد الأعرق للمعرفة الواردة من العلاقة السليمة بين الإنسان وربه إيماناً، واحتساباً.

يصبح الإنسان عارفاً موضوعياً بقدر ما يستقى أجدية

وجوده من هذه الروافد الثلاثة (الإبداع العلمي، والإبداع التشكيلي - باللفظ واللون وغيرهما - والإبداع الإيماني)، هذا فضلا عن إبداع الذات، وذلك بتكامل متناغم وليس باختزال مترجم .

فالذي يحاول أن يترجم اللغة الدينية -مثلا- إلى لغة علمية لا يفعل إلا أن يحشر الأكبر في الأصغر، ولعله يحشر الأصول في الفروع أحيانا، أو هو يختزل المطلق إلى المحدود، ثم هو يغلق رافدا مستقلا للمعرفة الموضوعية التي تصب في تكوين الوعي الخلاق .

كذلك فإن الذي يحاول أن يفرض وصاية "نص ديني" على معرفة علمية إنما ينكر - ضمنا- أن المعارف التي أنزلها الله على عباده وهم يمارسون منهجا رصينا، هي من فيض تكريم إنسانية الإنسان بتوسيع دائرة معارفه وتعميق أبعاد وعيه . وأن اتباع المعارف العلمية الموضوعية هو نوع من العبادة لأنه حكم بما أنزل الله من معارف ووعي فائق ينير بصيرة المبدعين ومن لا يحكم بما أنزل الله من معارف موضوعية عبر عقول مبدعة فقد خالف فطرته .

ثم يأتي دور الإسهام النفسي في الثقافة العلمية في إعادة النظر في "طبيعة وتأثير اللغة"، وبالتالي مساندة مقلها باعتبارها التركيب الرائع المنظم للوعي، وفي نفس الوقت هي الأساس المتين لإمكانية التواصل، لكن هذا وذاك لا يكفي لتقوم اللغة بدورها الكياني والمعرفي، وهنا يبدو أن الإسهام النفسي يمكن أن يقوم بدور نشط في مجال ترشيد تحريك اللغة وتوجيه نموها، أي التدريب على مرونة الوعي - حيث اللغة أساس جذري في تشكيله، ولكي تصبح اللغة كيانا حيا متحركا- بأصول مرعية والتزام إبداعي - ينبغي أن تسهم العلوم النفسية اللغوية في إعادة تشكيل وعي الناس بما هو معاصر موضوعي خلاق؟

• ثم يأتي دور العلوم (المعارف) النفسية في تشكيل وعي الناس بالتركيز على المفاهيم الحقيقية للإبداع، لا بوصفه نتاجا خاصا، لمواهب فردية محدودة، وإنما بوصفه طبيعة بشرية لا يكون الإنسان - كل إنسان - بشرا إلا من خلال تنميتها، وهنا يحتاج الأمر إلى إعادة تعريف الإبداع، بحيث يشمل الفعل اليومي، ونوع الوجود، وتفجر الوعي، واستيعاب الحلم، بالإضافة إلى الناتج الإبداعي في صورته المألوفة تشكيلا رمزيا أو كشفا علميا .

• كذلك تسهم المعارف النفسية - من كل مصدر- في توثيق العلاقة بالواقع الحي، ليس باعتباره الملموس باخواس فحسب، وإنما باعتباره الوجود الموضوعي للداخل والخارج وامتدادهما .

• وأخيرا فإن التعامل مع "الزمن" ككائن حاضر، ومجال إرادي معاً، هو من أهم ما يمكن أن يدرج ضمن اهتمامات الجانب النفسي في تشكيل وعي الإنسان المعاصر، ومن ثم يقع في مجال الإسهامات التي نشير إليها حالا .

من كل ما سبق نستطيع أن نخلص إلى القول:

أولاً: إن إسهام المعارف النفسية في تنمية الثقافة الموضوعية وتشكيل الوجود الحى لشعب ما ينبغى ألا يكون قاصراً على ما يسمى علم النفس أو الطب النفسى، بل إن أغلب المعطيات المحدودة المجردة لهذين الفرعين ينبغى أن تؤخذ بحذر شديد، لتواضع نضجها من ناحية والمحدودية منهجها من ناحية أخرى.

ثانياً: إن إسهام المعارف النفسية ينبغى أن يركز على "كيف الحياة" وليس على "كم المحتوى للحياة" وذلك حتى يتحقق وجود بشرى خليق بما حققه الإنسان من معارف وما امتلك من أدوات. فالتركيز- مثلاً - على "كيف نقرأ" ينبغى أن يلقى نفس الاهتمام الذى نوليه للتركيز على "ماذا نقرأ"، وربما أكثر.

ثالثاً: إن ذلك يمتد إلى ضرورة الاستفادة من المعطيات العلمية والتقنية المعاصرة والمناسبة فيما يختص بتشكيل وعى المواطن المعاصر لتحقيق درجة من التناسب مع مسيرة العصر وإنجازاته وذلك بالعمل - بكل الوسائل - على تنمية كل من:

(أ) الإدراك النقدي المتجدد، مع تنمية وتدريب العقل النقدي.

(ب) الحرص على إحكام ورسالة ومرونة وحركية اللغة.

(ج) تنمية الإبداع فى الفعل اليومي ونوع الوجود (جنباً إلى جنب مع إنتاج الإبداع التشكيلى الرمزي).

(د) إعادة ترتيب العلاقة بالواقع الداخلى والخارجى وهما فى حالة امتداد غير متناه.

(هـ) التعامل مع الزمن كمتغير فاعل، فى متناولنا أيضاً، أى أن لنا فى تشكيله دور إرادى قادر.

وبعد :

إننا إذا كنا نحذر من طغيان منظومة معرفية على بقية المنظومات سواء كانت علماً رصيناً، أو تفسيراً دينياً ليس مقدساً (فالدين هو المقدس وليس التفسير) فعلينا أن نحذر بنفس القدر من هذه الموجة السائدة التى تدخل تعبير التفسير النفسى فى كل شئ من أول لون حجرة المائدة حتى إحراق ناس غزة بلا تمييز بين طفل، وشيخ، ومحارب، وأمن، إحراقهم جميعاً فى المحرقة الجارية تحت سمع وبصر العالم وأغلبه "يتفرج"

مثل هذه التفسيرات تصل أحياناً إلى التبرير والتسوية،

ما الذى يفيد أو يفسر أن نقول إن ما يفعله الاسرائيليون فى غزة وغير غزة هو دليل على جنون قادتها، أفى هذا تفسير لما جرى؟ أم أنه إهانة للمرضى والمنطق معاً؟

والأمثلة غير ذلك كثيرة.

ملحوظة :

غدأ وبعد غد سوف ننشر حلقة من حلقات "سر اللعبة" عن "الحق في الفرحة"، هي "العبة الضحك"، وقد فضلنا أن ننشر نفس الألعاب اليوم، لنعد القارئ يستعد لها بتجربة الإجابة عليها قبل أن نناقشها، أو يطلع عليها في الموقع (العبة الضحك) "برنامج سر اللعبة" 20-2-2004 والدعوة عامة.

الألعاب العشرة + 1:

العبة الاولى: الضحك حاجة والفرح حاجة تانية دا انا ساعات وانا باضحك.....

العبة الثانية: أنا آخر مرة ضحكت من قلبي كانت.....

العبة الثالثة: أضحك ازاى وانا شايف اللى جارى ده!! دا أناعلشان اضحك لازم.....

العبة الرابعة: طبعاً لازم احب اضحك مهما كان ماهو أصل المسألة.....

العبة الخامسة: مش معنى إني باضحك انى ناسى همومى او هموم الناس هو يعنى قلة الضحك

العبة السادسة: انا باكرة اللى بيتمسخر على خلق الله قال اية بيضحك مع انى ساعات ..

العبة السابعة: الواحد نفسه يضحك بحق وحقيق أصل أنا بصراحة.....

العبة الثامنة: أنا ضرورى أنسى الاول قبل ماأصدق أنى قادر أضحك، أصل أنا

لعبة إضافية: أنا ينفع أضحك من قلبي حتى لو.....

العبة التاسعة: أنا نفسى أضحك مع حد يكون قريب منى وشايفنى، ماهو أصل يعنى.....

العبة العاشرة: لأه بقى!!! أنا من حقى أضحك بصحيح حتى لو

- أضفت اللاحقة، لأن التكنولوجيا ليست دائماً تطبيقاً عملياً لمنجزات العلم، فهي قد تسبقه، وبالتالي تكون "تكنولوجيا سابقة"

193- الحق في الفرم والفرحة "العبة الضحك" (1 من 2)

مقدمة :

بدأت هذه النشرة تتكشف عن ما لم يكن في حسابي: مثل أية ورطة اعتدت أن أضع نفسي فيها، فأكتشف من خلالها ما هو أهم من الدفاع إليها غير دور الصدفة، والمفاجآت الأخرى!

بالنسبة لقراءة هذه الألعاب كتاباً هكذا، كنت أحسب أننا سوف تؤدي المهمة الأساسية التي وجدت نفسي فيها () مهمة تحريك الوعي، وإذا بها تتكشف عن تناول قضايا في الثقافة والنفس والعلم والتراث والنقد والإبداع، كل هذا كان واردا بشكل ما، لكن الأهم في هذه اللحظة، هي أنها تكشفت لي أيضا عن إضافات واقتراحات في المنهج.

هذه الألعاب التي راحت تتخلق لنا، وبناء، ومنا، خلال العلاج الجمعي طوال ثمان وثلاثين عاما هي التي نجحت نسبيا في إثبات مفهوم "تعدد الذوات" (الذي مازال محمد إبنى قلقا بشأنه: انظر بريد الجمعة القادمة)، هذه الألعاب هي بمثابة "الميني دراما"، أو قل الـ "الميكرودراما"، ولها فائدة علاجية واضحة، لكن من الناحية النظرية وفيما يتعلق بالتركيب البشري، تبين لنا من خلال هذه النشرة كيف يمكن أن تهدينا هذه الألعاب مع الأسوياء إلى إعادة النظر في ما يسمى "الوظائف النفسية". (هل تذكرون ما أثارته لعبة الذل منذ اسبوعين فقط؟!)

بالنسبة للعبة اليوم، ها هي تلامس موضوع الوجدان (الذي يسمى أحيانا بالعواطف أو الانفعال)، وقد قدمته في نشرة سابقة link كيف شغلني هذا الموضوع حتى وضعت له نظرية بأكملها - لم تنشر بعد - منذ سنة 1974.

لعبة اليوم تقدم تساؤلات متعلقة بهذا الموضوع مثل:

هل هناك فرق بين كل من الضحك والفرحة والفرح؟

وهل الضحك هو نقيض البكاء؟

وهل الفرح هو عكس الحزن؟

وهل يمكن أن يجتمع الفرح مع الحزن؟

وما علاقة الفرغ بالسخرية؟
وما علاقة كل هذا بعلاقتنا ببعضنا البعض؟
أعنى بالعلاقة بالآخر؟
أكتب هذه المقدمة بعد انتهائي من قراءة اللعبة التي لم
تُجِب أية إجابة حاسمة عن أى من هذا.

وهل العلم يكون علما إلا إذا لم يصل إلى إجابات حاسمة مغلقة!
هيا بنا.

الألعاب الخمس الأولى لنشرة اليوم
اللعبة الأولى: الضحك حاجة والفرغ حاجة ثانية، دا أنا
ساعات وانا باضحك.....

اللعبة الثانية: أنا آخر مرة ضحكت من قلبي
كانت.....

اللعبة الثالثة: أضحك ازاي وانا شايف اللي جارى
ده!!، دا انا علشان أضحك لازم.....

اللعبة الرابعة: طبعاً لازم اضحك مهما كان، ما هو أصل
المسألة.....

اللعبة الخامسة: مش معنى إني باضحك انى ناسى همومى او هموم
الناس هو يعنى قلة الضحك...

* * * *

الضيوف المتطوعون:

ولاء؟

شريف؟

حمود: ليسانس آداب عربى

د. رانيا: طبيبة

بالإضافة للدكتور محيى

* * * *

اللعبة الاولى: الضحك حاجة والفرغ حاجة ثانية، دا أنا
ساعات وانا باضحك.....

ولاء: يا شريف الضحك حاجة والفرغ حاجة ثانية دانا
ساعات وانا باضحك،.... ممكن أعيط

شريف: يا حمود الضحك حاجة والفرغ حاجة ثانية دانا
ساعات وانا باضحك بيتهيألى إن أنا فرحان جداً

حمود: يادكتورة رانيا: الضحك حاجة والفرغ حاجة ثانية
دا أنا ساعات وانا باضحك ببقى مبسوط جداً

د.رانيا: يا دكتور محيى الضحك حاجة والفرغ حاجة ثانية
دا أنا ساعات وانا باضحك ببقى محبية حزن كبير

د. مجيى: عزيزى المشاهد الضحك حاجة والفرح حاجة تانية دا
أنا ساعات وانا باضحك ببقى مستغرب

المناقشة (الآن)

(وتشمل تعقيباً واقتطافات من مناقشة المشاركين عقب كل لعبة):

يبدو هنا أن اللعبة لم تنجح بدرجة مناسبة في التفرقة بين الضحك والفرح، الفكرة التي تبدو أن مصمم اللعبة كان يهدف لكشفها لم تصل إلى أغلب المشاركين.

ثم أنى لا أخفى أنى أفرق أيضاً حتى بين الفرح والفرحة، لا أعرف لماذا، أحياناً يرتبط لفظ الفرح عندى بالخرس والزفة والهيمة، في حين أن الفرحة هي اتساع في الصدر (وربما في الوعى)، حين سمعت من أمى دعوة "روح يا بنى الله يفرحك"، أو أمنية من صديقة لصديقة أنه "ربنا يفرحك" فرحت، وعرفت أن الأمر يختلف حتى وأنت تستعمل الفعل "يفرحك" عنه وأنت تستعمل الاسم "الفرح"، و"الفرحة"، يبدو أن "الفرح" اسم، أما الفرحة فهي "حدث"، في حين أن الفعل يفرح فهو "علاقة"!!

كل هذا مقدمة ربما اصبر نفسى بها عن إحباط مبدئى عن تحقيق القصد من اللعبة كما تصورته.

بدءاً بالدهشة التي أداها في المناقشة د. مجيى بعد هذه اللعبة قائلا: "أنا استغربت يا شريف مثلأ على إنك بتقول.. دا انا ساعات وانا باضحك بابقى مبسوط"، فينبه شريف د. مجيى شارحا أنه "لأنى مش دائماً أو كنت متصور إن الضحك لازم يبقى مرتبط بالفرح"، وكان إجابة شريف في عمقها تنبه أن الفرح يصاحب الضحك "ساعات" وليس "دائماً"، ويضيف شريف "أنا جالى.. جديد، إن مش بالضرورة كل واحد بيضحك يبقى فرحان".

كما أن محمود عقب بعد ذلك تعقيباً مهماً، أرخّب به أحياناً أكثر من تحديد ما وصله بالألفاظ، قال: "أنا وصلتنى حاجات بس مش عايز أقولها"، فيوافق د. مجيى ولايزيد.

بالرجوع إلى مناقشة الاستجابات الآن نلاحظ أن محمود هو الذى قال أنه دائماً يكون مبسوط وأكد أنه مبسوط جداً جداً، ربما في نفس اتجاه شريف، مع أنه لم يعقب بعد اللعبة إلا بأنه قد وصلته "حاجات" رفض أو عجز عن التعبير عنها.

ولاء، و رانيا أقرتا بعض المفارقة بين الضحك والفرح (ربما التي كانت تهدف إلى تعريتها للعبة) ولواء: "ممكن أعيط"، و د. رانيا "وانا باضحك بابقى مخبية حزن كبير"، لا أرجح أن بكاء (عياط) ولواء هو مجرد أن الدموع تطفرف من عينيها من فرط الضحك، بل وصلني تعبير "ممكن أعيط" بمعنى الحزن، أما د. رانيا فقد أكتشفت أن الضحك - أحياناً - يكون تغطية لحزن

كبير، استجابة د. مجيى ليست جاهزة الوضوح، فأننا لم أفهم دهشته، ولا حتى الآن، ربما هو لا يسمح لنفسه بالضحك الطليق، فإذا ضبط نفسه متلبساً به تعجّب، فهو لا يرفضه، ولا يقلبه غماً، لكنه ربما لا يتوقعه، أو لا يسمح به، ومن هنا: دهشته!!

* * * *

اللعبة الثانية: أنا آخر مرة ضحكت من قلبي كانت.....
 شريف: يا ولاء أنا آخر مرة ضحكت من قلبي كانت من فترة
 كبيرة قوى، ومش عارف أضحك
 ولاء: يا دكتور رانيا أنا آخر مرة ضحكت من قلبي كانت
 يوم 20 مارس 2004
 د.رانيا: يا محمود أنا آخر مرة ضحكت من قلبي كانت من
 أجمل لحظات حياتي
 محمود: يا دكتور يحيى أنا آخر مرة ضحكت من قلبي كانت مش
 متذكرها خالص
 د.يحيى: عزيزي المشاهد انا آخر مرة ضحكت من قلبي كانت
 امبارح وأنا بقرا حاجة

المناقشة

ما وصلني من المناقشة بعد اللعبة (يمكن الرجوع لها مكتملة
 في التسجيل) كان أكثر دلالة من الاستجابات في ذاتها. يبدو أن
 تعبير "ضحكت من قلبي" هو أقرب إلى الفرحة منه إلى الضحك، حددت
 "ولاء" تاريخاً بذاته لم نسألها عن ما كان في هذا التاريخ،
 اكتشفت الآن أنه كان اليوم السابق للتسجيل، ولم نسأل آنذاك
 عن سبب الضحك، لم يكن هذا مطروحا ولا ينبغى أن يطرح.

شريف فتح المدة على الآخر (من فترة كبيرة قوى) ثم أردف
 أنه "ومش عارف أضحك"، هل كان يعنى أنه لم يعد قادرا على
 الضحك من قلبه أصلا؟

د.رانيا، برغم أنها لم تحدد وقتا بذاته، إلا أنها أقرت
 أنها "كانت من أجمل اللحظات"، ولا نستطيع أن نؤكد أو ننفي
 أن استجابتها تعنى ندرة ذلك حتى أمكنها تحديده بهذه الدقة.

أن يمكن أيضا أن نستنتج أن الانبساط جدا جدا، (محمود في
 اللعبة الأولى مثلا، وشريف في نفس اللعبة) ليس له علاقة بالضحك
 من القلب كما يبدو ظاهرا هنا، وربما هذا يؤكد الافتراض أن
 الضحك من القلب هو أقرب للفرحة كما افترضنا ابتداءً

أما د. يحيى فبدأ في استجابته شيء من الغرابة، فكيف يأتي
 الضحك من القلب أثناء القراءة، أنا أعرفه قليلا، وهو عادة
 لا يقرأ نكتا مثلا، لكن دعونا نسمع تعقيبه - حرفيا - عن ذلك
 عقب اللعبة مباشرة (ويمكن الرجوع إليه في التسجيل) قال:

"امبارح أنا مش عارف هي كانت ضحكة ولا فرحة، أنا
 أتلخبط. أنا فرحت من معرفة معينة. كنت بقرا حاجة انبهرت
 بيها خالص، وفرحت فرحت، بس مش عارف ضحكت ولا لأ، مش فاكر
 .هو الواحد لما بيضحك من قلبه يتبقى فرحة باين، ما يتبقاش
 ضحكة من الوش، دى برضه أكتشفتها دلوقتي، اكتشفت إن
 المعرفة بتفرح وإن الضحك من القلب فرحة.

يمكن الانتباه هنا إلى أن تعبير "الضحك من القلب" هو أقرب إلى الفرحة خاصة وأن د. يحيى لم يستعمل كلمة ضحك ولا مرة في تعقيبه بعد اللعبة مباشرة، وهذا قد يفسر استجابته، هو استعمل كلمة فرحت، فرحت .. . ، وهو يشك أنه ضحك حين قال "مش عارف ضحكت ولا لا"، ويردف "مابتقاش ضحكة من الوش..."

الإضافة الأخرى هنا تقترح: "أن ثم نوعا من المعرفة يمكن أن يكون مصدر فرحة"، وهذا مطروح لفحص القارئ ومراجعته، ليس فقط في مثل هذه الألعاب، هو حر، يعملها كما يرى، ويختار الفرض بنفسه.

* * * *

اللعبة الثالثة: اضحك ازاي وانا شايف اللي جارى ده!!
دا أناعلشان اضحك لازم.....

ولاء: يا محمود أضحك ازاي وانا شايف اللي جارى ده!! دا
أنا علشان أضحك لازم يكون جوايا أكبر بكثير من الضحكة دى

عمود: يا دكتور يحيى أضحك ازاي وانا شايف اللي جارى
ده!! دا أناعلشان اضحك لازم اصلى اللي قدامى

د. يحيى: يا دكتور رانيا أضحك ازاي وانا شايف اللي
جارى ده!! دا أناعلشان اضحك لازم ادور على معجزة

د. رانيا: يا شريف أضحك ازاي وانا شايف اللي جارى
ده!! دا أناعلشان اضحك لازم ابطل اربط ضحكى بالفرحة

شريف: صديقى المشاهد أضحك ازاي وانا شايف اللي جارى
ده!! دا أناعلشان اضحك لازم الآخريين يشاركون فى الضحك وده
مش وارد ومش حاصل

المناقشة

الاستجابات في هذه اللعبة تبدو متفقة أكثر مع الاتجاه الذى بدأ أن الحلقة كلها ترمى إلى كشفه، لأن اللعبة تبدأ بما يحول دون الضحك بتحويل الانتباه إلى آلام الواقع ومرارته بوجه خاص،

نبدأ برانيا فنجدها مازالت منتبهة إلى أن اللعبة نُحِت في التفرقة بين الضحك والفرحة قالت بعد اللعبة: "لازم أبطل ربط الضحك بالفرحة"، "فأتاحت لنا أن نستنتج أنها يمكن أن تضحك برغم الجارى، لكن يصعب عليها أن تفرح، الاتجاه العام بدأ أنه قبل التحدى، فلم تعجزه رؤية الجارى أن يواصل الإحاطة به دون أن ينكسر أو يقلبها غمًا حتى لو لم يضحك الآن، ولواء أعلنت أنها بحاجة أن تكون داخلها أرحب (ربما أقوى) حتى يستوعب احتمال الضحكة برغم الجارى، "جوايا أكبر بكثير من الضحكة دى"، محمود حفزته المفارقة أن يجدد دوره لتصحيح الجارى، فيضحك (ربما)، شريف طلب الاستعانة: بالآخرين

على صعوبة ما يصله من "اللى جارى"، مع أنه استبعد إمكان ذلك "وذة مش وارد ، ومش حاصل"، أما د. يحيى فقد اعتبر أنه يحتاج معجزة ليتمكن من الضحك برغم ما يرى، فإما أنه يرى الجارى مجمله الحقيقى الذى يحتاج معجزة تسمح له بالضحك، وإما أنه يأمل فى نوع خاص من الضحك (ويبدو أنه مقتن بالفرح عنده مما يزيد الأمور صعوبة)، لعله يأمل فى فرحة لا تُلغى الجارى، وإنما تتحملة وتحيط به وتظل قادرة على أن تصدر خالصة دون إلغائه، فهى المعجزة، أثناء النقاش بعد اللعب مباشرة قارن د. يحيى قول محمود "لازم أصلح اللى قدامى" بقوله هو: "أدور على معجزة" ولم يتهم محمود بالتفاؤل السهل، ولا هو تراجع عن طلب معجزة .

بالرغم من هذا الفرق إلا أن تعقيب محمود رجح أنه جاد، فقد راح يؤكد على تركيزه على دوره فى تغيير الجارى وهو يقول " .. اللعبة دى حركت فى إنى لازم أحس أنه لازم يحصل تغيير عشان أقدر أضحك" فيعقب د. يحيى "أنا فرحت بيبك لما قلت أنا حاغير"، فيكمل محمود " ..أنا دلوقتى لازم أغير"، لازم أغير عشان أقدر أضحك.

* * * *

اللعبة الرابعة: طبعا لازم احب اضحك مهما كان، ماهو أصل المسألة.....

شريف: يا ولاء طبعا لازم احب اضحك مهما كان، ماهو أصل المسألة لو فضلت كده هاتبقى وحشة قوى قوى

ولاء: يا دكتور يحيى طبعا لازم اضحك مهما كان، ماهو أصل المسألة انى لازم يكون فيه أمل

د. يحيى: يا محمود طبعا لازم اضحك مهما كان، ماهو أصل المسألة كده مش نافعة

عمود: يا دكتورة رانيا طبعا لازم اضحك مهما كان، ماهو أصل المسألة كده مش ناقصة نكد

د. رانيا: عزيزى المشاهد طبعا لازم اضحك مهما كان، ماهو أصل المسألة ربنا موجود

المناقشة الآن

معظم الألعاب - بصفة عامة- تؤكد على مبدأ "الحق فى .. الحق فى .." سواء كان الحق فى شئ تحبه أو تبغضه أو حتى ترفضه، ثم حق لنا أن نخزن، وأن نغضب، وأن نخاف، فما بالك فى حقنا أن نضحك .

هذه اللعبة الرابعة أكدت هذا الاتجاه بشكل ما .

بصفة عامة، وبرغم ما جاء فى الألعاب الثلاثة السابقة، فقد أقر الجميع هنا أنه "مهما كان"، فمزال فى مقدورنا، وربما من حقنا، أن نضحك (ربما مع تدرج اللعب رجحت كفة أن نضحك بمعنى: أن نفرح) شريف "لو فضلت كده حاتبقى وحشه

قوى"، ولاء: "لازم يكون فيه أمل"، د.يحيى: "المسألة كده مش نافعة"، (أظن يقصد لو حرمنا أنفسنا من حق الضحك بسبب "مهما كان")، محمود: "المسألة كده مش ناقصة"، وتختتم د.رانيا بأن: "ربنا موجود"، ولم أتذكر الآية الكريمة التي حضرتني من استجابة رانيا، والتي تؤيد هذا الحق في عمق جذوره إلا الآن: "طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى".

يبدو أن هذه اللعبة حركت فكرة "الحق في كل ما هو طبيعة بشرية بسيطة حتى ولو بدت مكوناتها من بعيد متناقضة بشكل ما،

حين وصلنا إلى هذه المنطقة، مروراً برؤية الواقع، وفي نفس الوقت الاعتراف بالحق في الضحك ورغم ذلك، بل الحق في الفرحه، وبإمكانية ذلك، عبرت د.رانيا بشكل مباشر بما يدل على أننا اقتربنا بذلك من تعرية أكثر من منطقة في نفس الوقت، عبرت بقولها: "أنا جاني إحساس إنى بقيت عملة قوى، أنا حاسّة بتقل"، ثم أردفت "الموضوع تقبل قوى، فيه حاجة، مش حاسة إن احنا لازم نضحك كثير وبس"، "أنا حاسة إن أن الأوان إننا نضحك واحنا فرحانين"، فيتدخل د. يحيى، ربما ليحقق فرضه البدئى (مع أنه لم يقصده تحديداً - غالباً-) فيقول "آه، يعنى بتربطى الضحكة بالفرحة!"، فتقول د.رانيا "مش قادرة أنسى إن احنا بنضحك واحنا مش فرحانين"، فيرد د.يحيى "بتفكرينى باللعبة الأولانية إن الضحك غير الفرحه، الفرحه الظاهر انها قيمة عميقة جداً، إنما الضحك من بره، ويعقب محمود، ثم ولاء أنه أن الأوان ليمارسوا الحق في الضحك بطريقة أخرى. شريف عقب قائلاً " .. اللعبة دى عمقت مفهوم بيتتهياى إن الضحك ضرورة بشرية"،

محمود: "حسيت إن الفترة اللي عدت "تمنيت الضحك ..."، "كفاية بقى نكد"، فتعقب ولاء "أنا خارج لورا .. بنفس الطريقة اللي قال عليها محمود.

وكأن اللعبة نبهت فعلاً إلى الفرق بين ضحك ظاهر عابر، وبين فرحة ممكنة، نابغة من حق أعماق.

* * * *

اللعبة الخامسة: مش معنى إنى باضحك إنى ناسى همومى أو هموم الناس هو يعنى قلة الضحك..

محمود: يا شريف مش معنى إنى باضحك إنى ناسى همومى أو هموم الناس، هو يعنى قلة الضحك هاتعمل حاجة!

شريف: يا دكتور رانيا مش معنى إنى باضحك إنى ناسى همومى أو هموم الناس هو يعنى قلة الضحك معناها إن الحياة هاتتوقف، أنا راي إن الحياة حاتستمر وتسير، والدنيا هاتفضل لكن فيه من الضحك ما يبكى، أنا أسف أو من الهموم ما يضحك.

د.رانيا: يا ولاء مش معنى إنى باضحك إنى ناسى همومى أو هموم الناس هو يعنى قلة الضحك هى اللي هاتقربنى منك ومن الناس

ولاء: يا دكتور يحيى مش معنى إنى باضحك إنى ناسى همومى أو هموم الناس هو يعنى قلة الضحك مش هاتخسر

د. يحيى: عزيزى المشاهد مش معنى إني باضحك إني ناسى همومى أو هموم الناس هو يعنى قلة الضحك ها تخفف عنى أو عنهم.

المناقشة

حاولت هذه اللعبة أن تقوم بعملية فض اشتباك بين رؤية الواقع ومشاركة الناس همومهم، وبين الحق فى الفرح (بعد أن حل محل الضحك فعلا بعد أن وصلنا إلى اللعبة الرابعة!!) أظن هذه اللعبة الخامسة نجحت أن تنبيه إلى أن الحرمان من الضحك، بزعم رؤية الواقع، أو بزعم أن الآخرين ليس لديهم ما يسمح لهم بالضحك أو بالفرحة، هذا الموقف ليس هو الموقف الإيجابى أو المطلوب.

الاستجابات جاءت فى هذا الاتجاه، ما عدا استجابة ولاء التى لم أفهمها، ولم أناقشها.

عمود اكتشف بوضوح أن الحرمان من الضحك هو بغير فائدة عملية "يعنى قلة الضحك حاتعمل حاجة!" ..، شريف لم يقلها بشكل واضح، لكن حين استوضحه د. يحيى بعد اللعب قال: كان قصدى هوه يعنى قلة الضحك حاتحل المشاكل، د. يحيى انتبه إلى أنه لو حرم نفسه من الضحك فإن ذلك لن يخفف عن الذين تصور أنه بهذا الحرمان إنما يشاركهم، كذلك كان موقف د. رانيا التى بدت أكثر وضوحا وتركيزا على أن هذا الحرمان ليس بالضرورة إثبات لمشاركة حقيقية "... يعنى قلة الضحك هى اللى حاتقربنى منك ومن الناس".

* * * *

وبعد

أفضل أن نؤجل التعقيب العام - إذا كان لازما - حتى نكمل الألعاب غداً.

فقط لعلنا لاحظنا - حتى الآن بأى درجة - أن هناك فرقا بين الضحك والفرحة.

للتذكرة: الألعاب التى سنكملها غدا هى:

اللعبة السادسة: انا باكرة اللى بيتمسخر على خلق الله قال ايه بيضحك مع اى ساعات

اللعبة السابعة: الواحد نفسه يضحك بحق وحقيقى أصل انا بصراحة

اللعبة الثامنة: أنا ضرورى أنسى الأول قبل ماأصدق أنى قادر أضحك، أصل أنا

اللعبة المُضافة: أنا ينفع أضحك من قلبى حتى لو

اللعبة التاسعة: أنا نفسى أضحك مع حد يكون قريب منى وشايفنى ماهو أصل يعنى

اللعبة العاشرة: لأه بقى! أنا من حقى أضحك بصحيح حتى لو

- المفروض أن أقول وهيت عمري لها، هذا لو كنت كتبت هذا الكلام منذ عام!! هل رأيت الفرق؟

الإربعاء 12-03-2008

194-الحق في الفرحة حتى لو ... "لعبة الضحك" (2 من 2)

اللعبة السادسة: انا باكرة اللى بيتمسخر على خلق الله،
قال إيه بيضحك مع انى ساعات
اللعبة السابعة: الواحد نفسه يضحك بحق وحقيق أصل انا
بصراحة.....
اللعبة الثامنة: أنا ضرورى أنسى الاول قبل ما أصدق أنى
قادر اضحك، أصل أنا
اللعبة المضافة: أنا ينفع أضحك من قلبى حتى
لو.....
اللعبة التاسعة: أنا نفسى أضحك مع حد يكون قريب منى
وشايفنى، ماهو أصل يعنى.....
اللعبة العاشرة: لأه بقى! أنا من حتى أضحك بصحيح حتى
لو

الضيوف المتطوعون:

ولاء: ؟؟

شريف: ؟؟

عمود: ليسانس آداب عربى

د. رانيا: طبيبة

بالإضافة للدكتور يحيى

اللعبة السادسة: انا باكره اللى بيتمسخر على خلق الله، قال
إيه بيضحك مع انى ساعات
شريف: يا دكتور يحيى، انا باكره اللى بيتمسخر على خلق
الله، قال إيه بيضحك، مع إنى ساعات بشوفة هو الاضحوكة
د/يحيى: يا محمود انا باكره اللى بيتمسخر على خلق الله،
قال إيه بيضحك مع إنى ساعات ببقى قاسى في السخرية

عمود: يا دكتوراه رانيا انا باكره اللي بيتمسخر على خلق الله، قال إيه بيضحك مع إني ساعات ببقى حزين من اللي بيعمله ده

د. رانيا: يا ولاء انا باكره اللي بيتمسخر على خلق الله، قال إيه بيضحك مع إني ساعات بتمسخر على نفسي

ولاء: عزيزي المشاهد انا باكره اللي بيتمسخر على خلق الله قال إيه بيضحك مع إني ساعات ممكن أضحك من قلبي ساعتها . ممكن كلنا نضحك من قلبنا

المناقشة (الآن)

السخرية هي أقسى أنواع الضحك، أحيانا تصل فيها القسوة حد القتل، أقرأ المثل الصيني "يقذف الأطفال الضفادع بالحجارة وهم يلعبون لكن الضفادع تموت جدا لا هزلأ"، أحيانا أقرأ هذا المثل "وهم يضحكون"، وليس فقط وهم يلعبون، مصائب نفسية تصل إلى درجة المرض العضال تحدث نتيجة لسخرية لاذعة في مرحلة ما من مراحل العمر، خاصة الطفولة والمراهقة يكون ذلك أقسى ما يكون حين تكون السخرية "جماعية" و"علنية"، أثارني هذا المثل الصيني حتى كتبت فيه شعرا

هذه اللعبة السادسة ربما عزت هذه المسألة، كيف أن الساخر قد لا ينتبه إلى ما يفعل بالقدر الكافي، يفعلها وهو يضحك، وهو يتصور أنه يتفكّه أو يعبث، أو يمازح، دون أن يدرك مدى قسوته وإيذائه للآخر!

صياغة هذه اللعبة كانت خبيثة لأنها عزت السخرية إسقاطا "اللي بيتمسخر"، ولم تحدد "لو أقي أنا اتمسخر أو أسخر" استجابة شريف وعمود اتخذت من الساخر "موقفا" رافضا، أو ناقدا، شريف أرجع السخرية إلى الساخر: "مع إنه هو الأضحوكه"، محمود قال: "ببقى حزين من اللي بيعمله"، (نقد فاطر) أما استجابة ولاء فقد أظهرت كيف أنها يمكن أن تشارك في السخرية، ربما رغما عنها، هكذا قد ننسى أنفسنا ونطلق قسوتنا جماعة دون حساب، ولاء لم ترفض السخرية، بل تمادت في الضحك من قلبها "على الضحية".

د. رانيا انتبهت إلى أن هذه السخرية قد تكون سخرية من نفسها، لكن ذلك لم يكشف عن موقفها من قسوة السخرية من آخر، سواء قامت هي بها أم حكمت على من يقوم بها

د. يحيى انتبه إلى موقفه الساخر عموما حتى القسوة، وربما هي إحدى سماته الظاهرة، كما يبدو أن الإسقاط لم يستدرجه إلى الآخر الساخر بقدر ما نبهه إلى ما يفعل هو (تنبيه دون فائدة، غالباً !!)

المناقشة بعد اللعبة أضافت بعض التفاصيل في نفس الاتجاه، مثل إعلان **د. يحيى** أنه يكره النكت على الصعيد، في حين نبه شريف إلى توظيف السخرية في نقد الموقف السياسي، فنبهتنا **د. رانيا** إلى أن اللعبة تشير أساساً إلى السخرية على الأفراد وليس على الأحوال العامة.

اللعبة السابعة: الواحد نفسه يضحك بحق وحقيق أصل أنا بصراحة.....

محمود: يا دكتورة رانيا الواحد نفسه يضحك بحق وحقيق أصل أنا بصراحة تعبان جداً

د.رانيا: يا ولاء الواحد نفسه يضحك بحق وحقيق أصل أنا بصراحة نفسى أفرح بقى

ولاء: يا شريف الواحد نفسه يضحك بحق وحقيق أصل أنا بصراحة نفسى أحس بالفرحة بكل معانيها

شريف: يا دكتور مجيى الواحد نفسه يضحك بحق وحقيق أصل أنا بصراحة بقالى كثير أوى ماضحتش

د.مجيى: عزيزى المشاهد الواحد نفسه يضحك بحق وحقيق أصل أنا بصراحة تعبت أوى أوى أوى

المنافشة الآن

تذكرنا هذه اللعبة باللعبة الثانية "ضحكت من قلبى".

تمنى الضحك "بحق وحقيق" كشف عمقا أبعد من مجرد الضحك من القلب، حتى بدا أن هذه اللعبة تكمل فعلاً اللعبة الثانية (من قلبى)، وهى تؤكد أن معظم الضحك الذى نضحكه هو ليس ضحكاً، شريف يحدد ذلك بقوله "أصل أنا بصراحة بقالى كثير قوى ماضحتش وحين تنتهى د. رانيا تعليقها بـ "بقى"، تكاد تقر نفس القول بالضبط "... أصل أنا بصراحة نفسى أفرح بقى"، أما محمود. ود. مجيى، فهما يتفقان على أن هذه الضحكة "بحق وحقيق" هى حق لهما لأن محمود قال: "أصل أنا بصراحة تعبان جداً"، أما د.مجيى فقد قال "أنا بصراحة تعبت جداً جداً"، ولاء أضافت بعداً نوعياً يتناسب مع "بحق وحقيق"، قالت "بصراحة نفسى أحس بالفرحة بكل معانيها"

هذه اللعبة أظهرت أكثر فأكثر الفرق بين الضحك والفرحة (الفرح)، فى نفس اتجاه اللعبة الثانية، وأن حقناً بهذا الصدد هو أساساً "الحق فى الفرحة" أكثر منه "الحق فى الضحك"، وأن الحصول على هذا الحق ربما يبدو أحياناً أنه الجزاء الوفاق لمن يتعب "بحق وحقيق"

تعليقات المشاركين بعد اللعبة كانت دالة فى نفس هذا الاتجاه، قال شريف "... هوأ يمكن اللحظة دى فعلاً (فهمنى) حضرتك بتتكلم عن تحريك الوعى، أنا شايف إن (اللعبة ده) حركت شجون فىا

محمود أضاف "هيه (اللعبة) بتطلع الحاجات المدفونة جوايا"، باحس إنى بارتاح سنة سنه"

د. رانيا: كنت عاوزه أقول حاجة وصلتنى بعد اللعبة الاخيرة. إحنا مصغينها على نفسنا علشان عاوزين نختار: يا نبقى حزاناً يا نبقى بنضحك، يعنى وصلتنى حاجة بعد

اللعبة الاخيرة: هوا أنا ليه لازم اختار يعنى؟! ما هو الاتنين موجودين، ولازم أخلق الفرحة وفيه حزن، أنا مش لازم استنى الحزن يروح علشان أبتدى أفرح، الحزن عمره ما يروح.

"نبه د. يحيى إلى العلاقة بين هذه الفرحة التي هي " بحق وحقيق"، وبين "الحق في الحزن" (الذي ليس هو الاكتئاب كما يصفه الأطباء) وربط بين ذلك وبين تعقيب رانيا، وكذلك استعمال شريف لكلمة شجن، وأن الحزن "بحق وحقيق"، ليس بالضرورة ضد الفرحة بحق وحقيق، وقد عقب حرفياً على كلام رانيا أن الشجن لا يمنع الفرحة، قال:

بصراحة يعنى كون الفرحة تطلع إن هي البعد الأعمق للضحك، وإن الحزن ماهواش ضد الضحك على طول الخط وإن هو موجود في الخلفية أو في العمق، أنا شايف إن ده جديد على المشاهد، وعلينا، وشايف إن الدكاترة اللي زى حالاتى وزى حالات الدكتورة رانيا، الدكاترة النفسين بيعملوا عماليل غريبة جداً، طبعاً بحسن نية، وكل حاجة، إنما قسمة المشاعر إلى دى قصاصدى، يعنى الضحك قصاصد الحزن، يعنى ضد الحزن، أو الحزن ضد الفرحة بالذات، دا مش تمام، الظاهر إن الفرحة هي اللي فيها حزن أكثر من الضحك.

ثم سارت المناقشة بعد ذلك بشكل لم ينجح فيه د. يحيى أو د. رانيا ان يوصلا فكرتهما إلى الباقيين من حيث أن الحزن ليس ضد الفرحة، ولا عكسها، وأن هذا الاحتمال القوي ليس له علاقة بما وصل لبقيّة المشاركين مثل: أن شر البلية ما يضحك، أو أنه بضدها تتميز الأشياء، ولا إن بعد العسر يسرا، مثل هذه التعقيبات دلت على أن الفكرة لم تصل، صعب فعلاً أن نتصور أن: الحزن والفرحة، يمكن أن يتلازما، لم ينجح الحوار -على أية حال- أن يبين أنه لا يوجد تناقض بينهما في عمق معين،

وانتقلنا إلى اللعبة الثامنة دون حسم.

اللعبة الثامنة: أنا ضرورى أنسى الاول قبل ما أصدق أنى قادر أضحك أصل أنا ...

شريف: يا محمود أنا ضرورى أنسى الاول قبل ما أصدق أنى قادر أضحك، أصل انا نسيت الضحكة بقالي فترة

محمود: يا ولاء أنا ضرورى أنسى الاول قبل ما أصدق أنى قادر أضحك، أصل انا شايف إن الضحك بعيد عنى

ولاء: يا دكتورة رانيا أنا ضرورى أنسى الاول قبل ما أصدق أنى قادر أضحك، أصل أنا صعب إن أنا أعتقد إن الضحكة هاتقدر تحتوينى

د. رانيا: يا دكتور يحيى أنا ضرورى أنسى الاول قبل ما أصدق أنى قادر أضحك، أصل أنا لازم أتغير

د. يحيى: عزيزى المشاهد أنا ضرورى أنسى الاول قبل ما أصدق أنى قادر أضحك، أصل أنا بصراحة شايل هموم العالم كله، وساعات أحس إن هو هرب، إنما ده بصحيح

المناقشة (الآن)

أثارت هذه اللعبة قضية ضرورة أو استحسان النسيان (لم يجدد نسيان الهم بالذات، وإن بدا ذلك مفهوما ضمنا) حتى نتمكن من الضحك أو الفرح، ولم يقر أى من المشاركين أن هذا النسيان هو شرط أن نحصل على حقنا في الضحك، ولا أنه حتى يمكن، ومن ثم نسمح لأنفسنا بالضحك .

الغريب أن ما تلا "أصل أنا" بدا أنه لم يكن متعلقا بالنسيان، بقدر ما كان متعلقا بالتأكيد على القدرة على الضحك، كشفت هذه اللعبة أننا نحارس الضحك بغير فرحة (من قلبي - بحق وحقيق) لا نضحك، يبدو أن القدرة على الضحك لا تنمو إلا من خلال التمتع بـ استعمال، "الحق في الضحك"، تعبير "أصدق إنى قادر أضحك" أوصلنا إلى احتمال التفكير أن عدم ممارسة الضحك من القلب" أو "بحق وحقيق" يمكن أن يترتب عليه **ضهور عدم استعمال لحق الضحك**، هذا ما بدا في قول شريف "نسيت الضحكة بقالي مدة" ثم محمود: "شايف الضحكة بعيد عنى" أما ولاء فقد "استبعدت (صعب) أن نمة ضحكة يمكن أن تحويها (لم أفهم ما تعنى تماما، لكننى رجحت أنها تقصد معنى عميقا)، ربما كان ذلك في نفس اتجاه "قادر أضحك، بحق وحقيق..الخ". أما د. رانيا فاشترطت أن تتغير وكأن تركيبها الموجود حالا لايسمح بأن تصدق أنها "تقدر تضحك بحق وحقيق"، وبالتالي فلا بد أن تتغير أولاً، ثم ترى، أما د. يحيى فقد زعم أنه لا يمكن أن ينسى، لأنه يحمل هموم العالم، فجسد استحالة مؤثرة، إذ كيف ينسى العالم، وهو أمر مستحيل، وبالتالي كيف يصدق أنه قادر على الضحك

جاء تعقيب د. رانيا مولدا لعبة إضافية اقترحتها هي:

هذا الاحتمال - أن يقترح أحدهم لعبة زيادة تتخلق أثناء التفاعل- كان واردا في هذا البرنامج، طول الوقت، بمعنى أن من حق المشارك أن يقترح لعبة جديدة، أو تحويرا في لعبة، إذا سمح الوقت، وقد نوقش الأمر، ونحن نعرض هنا هذه الفقرة التي أدت إلى اختراع لعبة إضافية

د. رانيا: أنا مش حاسة إن أنا لازم انسى . أنا من اللعبة اللي قبلها قررت إنى لأ مش لازم اتغير، ولازم أعرف أفرح زى ما بعرف أحزن، دا موجود ودا موجود لما جيت ألعب اللعبة دى أنا لازم أنسى علشان أعرف أضحك من قلبي، أنا لعبتها على أساس الضحك من القلب .طب ليه أنسى، دا ينفع أبقي فاكره كل حاجة أنا عاوزه ألعبها كده إن أنا ينفع أبقي فاكرة وأضحك . أصل مافيش حل ثانى

د. يحيى: أنا متأسف مسموح أى حد يبتدع لعبة واحنا قاعدين غير العشرة بتوعنا . مثلا: أنا ينفع أضحك وأنا حزين مادام

د. يحيى: أنا موافق على أى حاجة، إبتدع زى ما أنتى عاوزه . بس هانلعبها كلنا، وحاتبقى اختراعك

د. رانيا: أنا ينفع أضحك من قلبي حتى لو (ونكمل)

د. يحيى: ماشى

اللعبة الإضافية: أنا ينفع أضحك من قلبى حتى لو

د.رانيا: يا محمود أنا ينفع أضحك من قلبى حتى لو مافيش حاجة اتحلت

عمود: يا دكتور يحيى أنا ينفع أضحك من قلبى حتى لو اللى قدامى ماتغريش

د.يحيى: يا ولاء أنا ينفع أضحك من قلبى حتى لو الدنيا اتطربت

ولاء: يا شريف أنا ينفع أضحك من قلبى حتى لو كانت آخر لحظة فى حياتى

شريف: عزيزى المشاهد أنا ينفع أضحك من قلبى حتى لو مشاكل الناس ومومها والآمها ما زلت قائمة، يمكن بالضحكة دى أقدر أساهم فى حل مشاكلهم .

مناقشة اللعبة الإضافية (الآن)

أضفت هذه اللعبة بعداً تدعيمياً إلى أن حق الضحك (الفرح) لا يتعارض مع، وليس مرتبطاً: بالنسيان، أو بأى من التبريرات المزعومة مثل مرارة الواقع، أو حمل هم الناس، أو اشتراط مشاركتهم .

جميع الاستجابات -تقريباً- أشارت إلى جواز هذا الاحتمال: أن استعمال حق الضحك ممكن تحت كل الظروف، وأنه ليس علينا أن ننتظر ولاء قالت: "حتى لو كانت آخر لحظة فى حياتى" د.يحيى: قال: "حتى لو الدنيا اتطربت"، شريف قال: "حتى لو مشاكل الناس ومومها ما زالت قائمة"، أما عمود فقد قال: حتى لو اللى قدامى ما اتغريش، ولم نعرف ماذا يعنى، إتغير إلى ماذا؟

خاصة وأن هذه اللعبة الإضافية لم تجر مناقشتها بعد لعبها لضيق الوقت.

اللعبة التاسعة: أنا نفسى أضحك مع حد يكون قريب منى وشايفنى، ماهو أصل يعنى...

ولاء: يا شريف أنا نفسى أضحك مع حد يكون قريب منى وشايفنى، ماهو أصل يعنى لازم نحس ببعضنا

شريف: يا دكتور يحيى أنا نفسى أضحك مع حد يكون قريب منى وشايفنى، ماهو أصل يعنى الضحك دا ضرورة، ومهم واحنا فى حاجة ليه

شريف: يا دكتور يحيى أنا نفسى أضحك مع حد يكون قريب منى وشايفنى، ماهو أصل يعنى الضحك دا ضرورة، ومهم واحنا فى حاجة ليه

د. مجيى: يا محمود أنا نفسى أضحك مع حد يكون قريب منى وشايفنى، ماهو أصل يعنى الضحك من غير ناس مالوش أى طعم، من غير شوفان مالوش لازمة

عمود: يا دكتورة رانيا أنا نفسى أضحك مع حد يكون قريب منى وشايفنى، ماهو أصل يعنى اللى قدامى دا بيحرك اللى جوايا

د. رانيا: عزيزى المشاهد أنا نفسى أضحك مع حد يكون قريب منى وشايفنى، ماهو أصل يعنى هى دى الفرحة الحقيقية

المناقشة الآن

أضفت هذه اللعبة بعدا علاقاتيا إلى النظر في ظاهرة الضحك والفرح، وهو التواصل من خلاله (أو العكس). السخرية القتالة مستبعدة من الأصل، فهى أقرب إلى طعن الآخر حتى إلغائه فاخترائه بعد تشيئته (جعله شيئا) الضحك دون الفرحة قد يوسع المسافة لا يقربها، أو لعله يُغدى أحيانا بلا شرط التواصل الحقيقي، أما ألفاظ هذه اللعبة فهى تشتت القرب والشوفان معا، حتى تتحقق المشاركة الحقيقية: "أنا نفسى" ... "مع حد شايفنى!!"

الاستجابات جاءت تدعم هذا الفرض: ولاء: "لازم نخس ببعضنا"، محمود: "اللى قدامى ده بيحرك اللى جوايا"، د. رانيا: "ما هو أصل يعنى دى الفرحة الحقيقية" (لم تقل الضحك)، د. مجيى: "ما هو أصل يعنى الضحك من غير ناس مالوش أى طعم، من غير شوفان مالوش لازمة"

الوحيد الذى لم يعش معنا بهذا البعد المضاف هو شريف حين جاءت استجابته مطلقة بأن الضحك ضرورى دون الالتفات إلى أصل العبارة (غالبا).

اللعبة العاشرة: لأه بقى !! أنا من حقى أضحك بصحيح حتى لو

عمود: يا شريف لأه بقى!! أنا من حقى أضحك بصحيح حتى لو اللى قدامى حزين

شريف: يا ولاء لأه بقى!! أنا من حقى أضحك بصحيح حتى لو فضلت المشاكل كلها زى ماهى، إنما أنا لازم أضحك

ولاء: يا دكتورة رانيا لأه بقى!! أنا من حقى أضحك بصحيح حتى لو كنت ناسية نفسى خالص

د. رانيا: يا دكتور مجيى لأه بقى!! أنا من حقى أضحك بصحيح حتى لو ماحدش حايشاركنى الضحكة

د. مجيى: عزيزى المشاهد لأه بقى!! أنا من حقى أضحك بصحيح حتى لو مش عاوز أضحك

المناقشة (الآن)

يبدو أن هذه اللعبة كانت لاختبار الفرض الأساسي وهو: "الحق في الفرح"، وقد جاءت ربما تكملة للعبة الإضافية التي ابتدعتها د. رانيا تلقائياً (ولو كنت تذكرت هذه اللعبة العاشرة بألفاظها كما أقرأها الآن، ربما كنت استغنيث عن اللعبة الإضافية لكن يبدو أنها كانت ذات فائدة إذ دعمت إحداهما الأخرى).

الفرق هنا هو أن هذه اللعبة تتحدث عن "من حقي أن أضحك" أما اللعبة الإضافية فكانت تشير إلى إمكانية الضحك "ينفع أضحك" وأيضاً هذه اللعبة بدأت بالتعجب المفيق بـ "لأه بقى!!!"، وكأنها تقلب الصفحة، وقد بدا أنها تكمل كلاً من اللعبة الثانية "من قلبي" والسابعة "بحق وحقيق" وهنا نجد "أضحك بصحيح".

ربما سهلت هذه الصياغة للمشاركين أن يتجاوزوا تحفظاتهم أو تبريراتهم التي تحول بينهم وبين استعمال هذا الحق (في الفرح).

فيها هو محمود يرفض أن يمنعه حزن "الآخر" من استعمال هذا الحق "حتى لو اللى قدامى حزين" هو لم يُلغ الآخر، لكنه لم يدعه يعوقه،

وشريف يركن المشاكل على جنب (لا يصر على نسيانها أولاً) "حتى لو فضلت المشاكل زى ما هي"

ود. رانيا تجاسرت ولم تعد تنتظر المشاركة شرطاً "حتى لو ماحدش حيشاركنى الضحكة"،

أما د. يحيى فقد بدا وكأنه يتخطى الحواجز التي بداخله هو "حتى لو مش عاوز أضحك"

بقيت ولاء، وأنا لم أفهم إشارتها إلى أنها حتى لو كانت ناسية نفسها، لأن ما أتصوره هو أن نسيان نفسها هو الذى يسمح لها أن تضحك بصحيح فلماذا "حتى لو" لم أفهم

التعليق الأخير جاء مؤيداً بشكل أو بآخر للفرض!! (يمكن أن ننظر التسجيل)

وبعد

أرجو أن يكون تقديم هذه اللعبة التي أثبتت - بشكل ما - إمكانية الفرح برغم كل الظروف،

وأنه حق لنا،

وأنه ليس مرادفاً للضحك،

وأنه يمكن أن يكون في أعماقه حزن رائع،

أرجو أن يكون في كل ذلك اعتذار عن ما ألقثت بالقارئ والزائر والمعقب من آلام عند تقديم لعبة النذل.

مع أننا نحتاج هذا وذاك معاً، جدا جدا

أى والله

هذه هى روعة النفس البشرية!

أليس كذلك!!؟

الخميس 13-03-2008

195-قراءة في أحلام فترة النقاثة نقد على نقد!!

بداية الدورية النقدية لأعمال: نجيب محفوظ
وقفة ضرورية:

الآن، وبعد أن بلغنا الحلم (40) ماذا بعد؟

ماذا كنت أعني بالضبط حين اقترحت المرة تلو المرة إصدار دورية نقدية تختص بنقد أعمال نجيب محفوظ؟ كانت البداية بعد حصوله على جائزة نوبل، (يومية "الدعوة عامة، والبداية مع نجيب محفوظ...!!") ثم كررت الدعوة في كل مناسبة، وغير كل قناة، حتى بعد أن رحل (برنامج مباشر "الذكرى الأولى الأستاذ لرحيل نجيب محفوظ") وما رحل، ثم إنى عجزت عن تحقيق هذا الأمل، وحين خصصت له يوم الخميس من هذه اليومية سحبتى أحلام فترة النقاثة إليها تماما، فحالت دون مواصلة تبادلها مع ذكرياتي "في شرف صحبة نجيب محفوظ".

هانحن قد وصلنا إلى الحلم رقم (40)، لكنني لم أرتج أبدا لانفرادى بالنقد دون حوار حقيقي، اللهم إلا ما يجيئني طيبا في بريد الجمعة (كما سأعود إليه في دراسة لاحقة).

لاحظت طوال ستة أشهر أن صعوبتي تتزايد باستمرار، ذلك أنني كلما تقدمت في القراءة خشيت أن يستهوي العثور على رمز هنا أو هناك فيطفو على حساب إعادة التشكيل نقدا، كذلك شعرت أنني بين الحين والحين أتلقى بعض الأحلام بفتور لاثير في حاسي النقدية، وأفسر ذلك مرة بأن من حق المبدع أن تتماوج حدة إبداعه لظرف أو لآخر، كما أن من حق الناقد أن تحمد مسام تلقيه لبعض العمل، وأن يتعامل معها بنفس الصدق الفائز الذي افترضه في المبدع (ربما دون وجه حق)، أي أن يستعمل نفس الحق (أن تتراخي حاسته النقدية)، تبدي هذا بعض الشئ في حلم (39) الأسبوع الماضي، وقبل ذلك ألفت إليه في حلمي (6، 11) وإلى درجة أقل (22) ثم حلم (41) الذي كنت أزمع نشره اليوم، وتأجل للأسبوع القادم.

حاولت أن أبحث فيما يصلني من بريد وتعليقات حول الأحلام بالذات عن ما يعينني في تذليل صعوبتي، أو تعديل وجهتي، أو ما يدفعني أن أؤجل الأمر برمته إلى حين أقدر على القيام

بالدراسة الطولية الجامعة، وجاءني الرفض واضحا من معظم المعقبين، وطلب أغلبهم مني أن أوصل.

كنت أرد على هذه الآراء أحيانا في بريد الجمعة، وأستفيد من ذلك، لكن ليس أبدا إلى درجة أن أتخذ قرارا حاسما.

أمس فقط وصلني نقد مطول لخلفي الأسبوع الماضي (39 ، 40) بشكل جاد مسئول، شعرت معه أن هذا هو ماكنت أنتظره منذ البداية، وهو ما أسميته "النقد الآخر"، أو "نقد على نقد"، المهم أن هذا النقد الذي وصلني التقط من حلم (39) ما غاب عني فعلاً حتى أعتبره حلما فاترا، وإذا بهذا النقد الجديد يكشف لي عما أغفلته، فرحنت به، بقدر ما خجلت من قصوري لما فاتني، فيما يتعلق بحلم (39)، دون حلم (40).

وبعد

لعل هذا بالضبط هو ما كنت أعنيه، وآمل فيه، حين طالبت بإلحاح إصدار دورية نقدية خاصة بأعمال نجيب محفوظ، ليس لنصفق له أو نتذكره باستمرار، فهو لا يحتاج (ولم يحتاج أبدا) إلى هذا أو ذاك، ولكن لنستح النظر إلى أعماله من أكثر من زاوية، وأيضا لتجاوز حولها، ومختلف، وبتكامل، إذ يكمل كل منا نقص الآخر.

فكرة "نقد النقد"، أو "نقد آخر"، أو "نقد على نقد"، هي التي يمكن أن تحيي الحركة النقدية عموما، وكان أملي أن تبدأ بشيخنا لأنه بحر زاخر، وأعماله قادرة على أن تفسح المجال لكل وجهات النظر. (سبق أن أشرت إلى أنه: خذ من محفوظ ما شئت لما شئت!!).

نقد النقد جائز، حتى لو كان الناقد هو هو، فإن من حقه أن يغير رأيه مع شحذ أدواته، أو تواصل نضجه،

هذا ما حدث لي شخصيا بالنسبة لبعض أعمال محفوظ، خذ مثلا: موقفى من نقدى للشحاذ (قراءات في نجيب محفوظ)، أو السراب، أو ملحمة الحرافيش.

مع ورود هذا النقد الأخير حالا من أ. أمل زكى، وهو ليس تعقيبا، وإنما هو نقد فائق برؤية مستقلة، تذكرت ما أودعته من نقد د. أميمة رفعت في زاوية "المحررون الضيوف"، وأيضا ما قمت به شخصيا من نقد على نفس الحلم في زمنين مختلفين، وأودعته هناك أيضا "مع الضيوف"، شككت مؤخرا أن أحدا فتح هذه الزاوية من أصله، ذلك أنه لم يصلني تعليق واحد على ما كتبته د. أميمة، ولا على ما أودعته أنا أيضا من نقد نفس الحلم (حلم 14) في تاريخين مختلفين،

قررت - الآن- لتأكيد فكرة نقد النقد، وربما أملاً أيضا في احتمال البدء في تحقيق الفكرة الخاصة بدورية محفوظ النقدية، قررت ما يلي:

• أن أنشر ما وصلني مؤخرا من "الناقدة" أ. أمل زكى مع

تعقيب محدود،

- ثم أعيد نشر نقد د. أميمة
 - وكذلك أعيد نشر نقدي المتباعد عن بعضه بفواصل عامين.
- أملأ أن يتضح بذلك ما قصدت إليه، من "نقد النقد" أو "نقد على نقد"،

هذا وسوف أنشر نص الأعلام من جديد - برغم التكرار - وذلك احتراماً لوقت المشاركين، بدلا من أن أحيل القارئ إلى يومية سابقة.

أرجو أن تكون هذه البداية حافزا حقيقيا لاستمرار المشاركة الجادة.

أولا: نص حلم (39)

دخلت حجرة الوزير ومعى بيان مكتوب على الألة الكاتبة بأسماء الموظفين المرشحين للترقية. اسمى بينهم وواضح أن الوزير يَحْصِنُ بالرعاية.

وقع الوزير البيان في أعلاه وذهبت به إلى إدارة المستخدمين لتنفيذه. اتجهت إلى الموظف المختص وكانت فتاة شابة وجميلة. نظرت في البيان ولاحظت أن الوزير وضع إمضاءه في أعلاه وأنه كان يجب أن يضعه في أسفله. وإلا فإنها لن تستطيع تنفيذ أمر الترقية على الموظفين المسجلين في أعلاه، اغتظت وشكوت ما نلقى من الروتين ولكنها أصرت على موقفها فحملت البيان من جديد إلى الوزير فوقع اسمه في الموضع الصحيح وهو يضحك. ورجعت إلى الفتاة وسلمتها البيان. وكانت تجلس على يمين مكتبها موظفة صديقة معروفة بالمرح فدافعت عن تصرف زميلتها قائلة إنها ترضن بالترقية على الموظفين العزاب وترى أن المتزوجين أولى بها. وتظاهرت بأنها الموظفة بأنها تضايقت من إذاعة هذا السر ولما قابلتني الموظفة المرحّة بعد ذلك سألتني عن رأي في موظفة المستخدمين فصارحتها بأنها أعجبتني فاقترحت أن تبلغها بإعجابي كمقدمة لجمع رأسين في الحلال. فطلبت مهلة للتفكير فقالت إنني لم أعد شابا وأن عمري يضيع في التفكير وأصرت على إبلاغها واستسلمت فلم أرفض.

نص: حلم (40)

قبيل المساء وأنا عائد إلى بيتي متدثرا بالمعطف والكوفية اعترض سيللى صبي وصبية غاية في الجمال والتعاسة وطلبا منى ما أجود به لوجه الله ومجثت في جيبي عن فكة فلم أجد فأخرجت ورقة من ذات الجنيهاات الخمسة وطلبت من الصبي أن يذهب الى أقرب كشك ويشتري لى قطعة شيكولاتة ويجيئنى بالباقي. وما غاب الصبي عن عيني حتى بكت الصبية واعترفت لى بأن أباها يعاملها بغضب شديد ويدفعها لارتكاب الأخطاء فهي تزداد كل يوم انحرافات وشرًا وتدعو الله أن ينقذها مما تعاني. تأثرت وتحيرت. ثم عرفت

أن الصبي لن يعود وأدركت مدى حماقتي لما أوليته من ثقة وتذكرت كيف يتهمني أهلي بالطيبة والغفلة ولكني لم أترك له أخته وأخذتها إلى بيتي لتبدأ حياة جديدة مع أهلي. وتحسنت أحوالها وبدت وكأنها من الأسرة لا شغالة لها.

و ذات يوم جاء لي شرطى ومعه الصبي الأخ ولما رأى أخته أمسك بها. وعلمت أني مطلوب في القسم وهناك وُجّهت إلى تهمة اغتصاب البنت والاحتفاظ بها في بيتي بالقوة وذهلت أمام ما يوجه إلى وطلبت من البنت أن تتكلم فبكت ووجهت إلى من الكبائر ما لم يحظر لي على بال. وكان المحضر يسجل كل كلمة والدنيا تسود في عيني وعلى الرغم من إيماني الراسخ فلم تغب عنى خطورة الموقف.

* * *

الجزء الأول: نقدٌ على نقد (1)

قراءة أخرى في أحلام نجيب محفوظ

قراءة لحلم (39 ، 40) أمل زكي.

علاقة محفوظ بالمرأة الظاهرة في كتاباته مثيرة للجدل. فحلم (39) لا يمكن قراءته بدلالاته المباشرة. ولا أعتقد أن محفوظ يكتب سرد الأحداث بعينها منقولة مباشرة من الواقع، وإلا أين الإبداع، هل الإبداع هو مجرد رسم صورة بكلمات متماسكة جميلة، تشبه لوحات الطبيعة؟

في تصوري أن التوقيع أعلى قائمة الترقيات، ثم أسفلها يشير إلى لغة خفية للحوار بين الوزير والفتاة الشابة، فتوقيع اسمه أعلى القائمة ربما يشير إلى أنه يبذئ نفسه على العزب المكتوب اسماءهم بقائمة الترقيات في علاقته بالموظفة الجميلة. فلم نر أبداً مسئولاً يوقع أعلى الأوراق الرسمية، المتعارف عليه أن المسئولين يوقعون أسفل الموضوع وليس اعلاه. لكن الوزير وضع اسمه على قمة القائمة، بينما ترفض الموظفة الجميلة تنفيذ الأمر، وتنفيذ الترقية بهذا الشكل يعنى موافقة الفتاة الجميلة على علاقة خاصة بالوزير، المتزوج غالباً. والجملة التالية "وإلا فإنها لن تستطيع تنفيذ أمر الترقية على الموظفين المسجلين في أعلاه" بها بعض الغموض المقصود فيما يتعلق بلغة الحوار الخفية بين الوزير والموظفة الجميلة، فلا يوجد موظفون مسجلون بالقائمة أعلى توقيع الوزير، بل جميع الأسماء أسفل التوقيع، وبالتالي فهي ترفض تنفيذ أمر الترقية على الوزير نفسه الذي يتصدر اسمه القائمة. وبالتالي فإن قبولها تنفيذ الترقية بهذا الشكل يعنى موافقتها على قبول علاقته به، ووقف زواجها من أحد الموظفين العزب الموجودين بقائمة الترقية. ولهذا فإعادة قائمة الترقيات للوزير مرة أخرى ليقع في الموضوع الصحيح، هي استمرار للحوار الخفى بين الموظفة الجميلة والوزير، وهي بهذا تحيره بين زواجه منها أو قبولها بتنفيذ أمر الترقية بالزواج من أحد العزب الموجودين بالقائمة.

ولهذا يضحك الوزير ويوقع في الموضوع الصحيح، ويعرف حدود العلاقة بينه وبينها فيضع اسمه في نهاية القائمة. إن إفشاء الصديقة المرحلة لسر الفتاة الجميلة بإدارة المستخدمين بأنها ترضن بالترقية على الموظفين العزاب وتعتبر المتزوجين أولى بها، يلقي الضوء على ما أشرنا إليه من أن الفتاه الجميلة تعطى نفسها للوزير المتزوج، ولا تسمح لأحد من العزاب الإرتقاء لمكانته عندها، ربما أملاً في الزواج منه. وبهذا يجعل عدم تنفيذ أمر الترقية معنى آخر غير معناه المباشر. وهو أن الفتاة تساوم الوزير إما بالزواج منها، أو استبدال آخر مكانه وترقيه لمكانة أعلى من مكانة الوزير لديها فيصبح الوزير في نهاية القائمة. لكن الوزير يضحك ويقبل بالأمر الواقع. ثم يأتي بعد ذلك دور الموظف "السادج" الذي لا يفهم هذه اللغة المشفرة الدائرة بين الوزير والموظفة الجميلة. ويعتبره روتيناً. ثم يتم فك اللغز في نهاية الحلم. بأن تذيع الفتاه المرحلة سر الفتاه الجميلة، بأنها تريد الزواج من أحد عزاب القائمة، و"تتظاهر" الفتاة الجميلة بالضيق من إذاعة سرها. ولم يكتب محفوظ أنها أغتازت من إذاعة السر، بل تظاهرت بالضيق، مما يعنى أنها قررت وضع الوزير في مكانة أذن، وترقية آخر مكانه. ثم تمارس الموظفة المرحلة دور الخاطبة بين الموظفة الجميلة التي تربطها بالوزير علاقة مشفرة وبين هذا الموظف "السادج" الذي لا يفهم هذه الشفرة ويعتبرها نوعاً من الروتين. وفي النهاية يستسلم الموظف "السادج" للزواج من الفتاه الشابة الجميلة، لكن محاولات التملص من عرض الزواج الذي حاولت الفتاه المرحلة (الخاطبة) إقناعه به مدعية بأنه لم يعد شاباً، وأن عمره سيضيع في التفكير تتكشف في نهاية الحلم عن رجل ليس ساذجاً كما بدا لنا في البداية، بل على دراية ولو غير واضحة المعالم، باللغة المشفرة الدائرة بين الفتاة التي أعلن إعجابها بها وبين الوزير. وهنا بدا استسلامه للعرض وعدم رفضه الزواج منها ليس اقتناعاً بالمبررات التي قدمتها الفتاه المرحلة، ولكن قبولاً بالواقع المر الذي لا مفر منه، واقع رغبة الرجل في هذه المرأة الشابة الجميلة واضطراره للقبول بها رغم توجسه وتردده في الزواج، ربما بسبب شعور خفى يجعله يتحفظ على سلوكها وهو ما ظهر بنفس الطريقة في الحلم (15) حين طلب الموظف الآخر الزواج من امرأة ليست بالجميلة بل وسيئة السمعة، لكنها رفضته. التقابل المستمر الذي يصنعه محفوظ في رواياته واحلامه بين المرأة حبيسة القضبان، التي يهرب منها زوجها للراقصات، والمرأة الراقصة، بائعة الهوى، سيئة السمعة، ناكرة الجميل يقدم في النهاية نموذجين سيئين للمرأة لم يستطع محفوظ التخلص منهما في معظم أعماله الأدبية. المرأة عند محفوظ اما حبيسة الجدران مثل الست أمينة، أو مضطرة لبيع جسدها بسبب الفقر، أو غير موثوق في أخلاقها كما في هذين الخلمين. ثم ناكرة للجميل كما في الحلم (40) الذي سنتعرض له. هذا لا يقلل من القيمة الأدبية لكاتبنا الكبير نجيب محفوظ، بل بالعكس يزيد من تقديرنا له، لأنه يمثل فكر الرجل الشرقى تجاه المرأة، وقد عبر عنه إبداعاً في أعماله. فهناك الرجل القاهر المستبد الذي يبيع لنفسه

تتكرر في هذا الحلم أيضاً صورة المرأة الغشاشة المخادعة، ناكرة الجميل. تماماً مثل موظفة الوزير، والفتاة سيئة السلوك التي رفضت الزواج من زمليها بالعمل.

على الرغم من أن هناك مثل هذه النوعية من النساء والرجال في الواقع الذي نعيشه، لكن تكرر وصف المرأة بانعدام الاخلاق في هذين الخلمين وغيرهما مثير للتساؤل في الحقيقة. كما أن تكرر وصف الرجل بالسذاجه والطيبة مثير للإندهاش أيضاً. فالرجل الذي أدرك مدي حماقته لثقته في الصبي، وتذكر اتهام أهله له بالطيبة والغفلة، لم يدرك أن هذه الصبية الجميلة التعيسة هي نفسها أخت هذا الصبي المخادع الذي أخذ النقود وهرب. والغريب أن الرجل انتقم من الصبي الذي لم يعد بأنه "لم يترك له أخته، بل أخذها لبيته". ولا نعرف ماهو الدافع الحقيقي الذي جعله يأخذ اخته، هل لجمالها، ام لأنه اشفق عليها من هذه الحياة التعسة. وهل هناك من البشر من هو خير على طول الخط، ومن هو شرير على طول الخط. أم أن الإنسان ليس سوى مزيجاً من هذا وذاك. يتزايد أو يقل شره أو خيره حسب الظروف التي يعايشها، ويخضع لها أو يقاومها.

أثارني في الحقيقة هذا الوصف المطلق للخير والشر، وتعجبت من هذا الحلم محفوظ لأنه يناقض أغلب الشخصيات التي رسمها في رواياته وغاص فيها بجريها وشرها. اللص والكلاب، السمان والخريف، بداية ونهاية، الشحاذ وغيرهم .

أما أن تقوم فتاه صغيرة جميلة بتوريطة في قضية اغتصاب بعد أن اكرمها وجعلها أحد افراد أسرته، فهو جائز الحدوث باعتباره شراً مطلقاً يمكن أن يلبس الإنسان في لحظة ما. لكن أن يصل الشر إلى حد تعريض الرجل الذي اكرمها لجبل المشنقة او السجن مدي الحياة فهذا أمر مدهش في الحقيقة. حتى اللص في اللص والكلاب لم يكن بكل هذا الشر. من الجائز أن الفتاه الصغيرة تعرضت لإيذاء شديد من قبل الرجل، أياً كان نوعه، حتى ولو كان هذا الإيذاء تمثل في إجبارها على التخلي عن حياتها السابقة. ولهذا أرادت أن تنتقم من الرجل بهذا الشكل الشنيع. فقد كان بإمكانها أن تهرب، أو أن تتحالف مع أخيها لابتزاز الرجل مادياً، لكن أن يصل موقفها لحد الانتقام منه وإنهاء حياته، وإعساس أسرته التي كانت أحد أفرادها، فلا بد من وجود مبرر قوى لديها دفعها لفعل ذلك. وهناك احتمال آخر ربما رغبه الأخ في الانتقام من الرجل الذي حرمه من التكسب من وراء اخته واستخدامها في التسول، أو غير ذلك. فمن الممكن أن يكون الأخ قد هدد أخته ودفعها لاتهام الرجل باغتصابها رغبة في الانتقام منه. ولهذا بكت وهي تتهمه بالكبائر.

تعقيب د. يحيى:

بقدر ترحيبي بما غاب عني في حلم (39) وفرحتي ببداية ما أسميته "نقد على نقد"، وتصوري أن مثل ذلك سوف يكون النواة لدورية نقد محفوظ، التي أأمل أن تكون حواراً جاداً

مثل هذا، ورغم كل ذلك فإنني تحفظت على هذا النقد الجديد لخم (40)، والتحفظ لايعني الرفض بقدر ما هو دعوة إلى ناقد ثالث ورابع، وأكثر، بأن يسهم كل بما لديه، فتتحرك الدورية.

"المرأة عند نجيب محفوظ"، أقصد في أديه، تمثل إشكالا قائما بذاته يحتاج دراسة ممتدة، حاولت أن أتذكر مقالا أو كتابا أحسب أنه قد ظهر بهذا العنوان، أو لعلها دراسة، لم تسعفني الذاكرة، وسوف أسأل الصديق د. زكى سالم عن ذلك .

أذكر أيضا أنه قد وصلني سؤال بهذا الصدد عن محفوظ والمرأة في بريد الجمعة وقد تحفظت في الرد عليه، فتصدى للرد زائر آخر في الأسبوع التالي وتحفظت أيضا في الرد على المعقب دون ذكر أسباب. وأورد فيما يلي نص ذلك:

د. محمد نشأت (الخم 31) 2008-2-29

ماذا المرأة غالبا هي محور أحلام نجيب محفوظ ؟

د. يحيى:

- (ما هذا؟) حتى لو كان شيخى حيا - وهو عندي مازال حيا على فكرة - وسألته لما أجابني على سؤالك (هذا).

د. هاني عبد المنعم: حوار بريد الجمعة 2008-3-7

رداً على تساؤل د. محمد نشأت (الخم 31) 2008-2-7 لماذا المرأة غالبا هي محور أحلام نجيب محفوظ. أستأذنك سيدي بالرد بشكل عام، فلست متخصصاً في كتابات النوبلى نجيب محفوظ، ولكن بشكل عام بالنسبة للرجل - المرأة علامة استفهام- جانب مظلم بداخله يبحث له دائما عن شعبة تضيئة فتظهر زاوية فتنتفضي ويشعل شعبة أخرى لتظهر زاوية أخرى وهكذا... بالإضافة إلى أنها وقود محرك للفكر الذكوري ومحور إلهامه.

هذا، والله أعلم.

د. يحيى:

الله أعلم، فعلاً !

(ما هذا؟)

ثم دعني لا أوافقك، لا بصفة عامة، ولا بالنسبة لنجيب محفوظ

كما أن نجيب محفوظ لا يوصف بالنوبلى، لا تؤاخذني، بدون تحيز، لقد شرف الجائزة أكثر مما شرف بها، وفي كل خير ومعنى.

(انتهى ردّ بريد الجمعة):

والآن أسمح لنفسى أن أضيف عدة تحفظات على هذا الحوار المؤجل:

أولاً: أنا أحفظ بشكل واضح على مثل هذه الانطباعات سواء بالنسبة لنجيب محفوظ أو بوجه عام، أحفظ ضد اختزال المرأة إلى

وقود محرك للفكر الذكوري، وضد اعتبارها بمثابة جانب مظلم بداخل الرجل، أو حتى محور إلهامه، ومحفوظ ليس له شأن بكل هذا.

إن مثل هذا الرأي. يصلني على أنه إهانة للرجل أكثر مما هو إهانة للمرأة، فإذا كان الرجل يستحق هذه الإهانة لأنه السبب فيها غالباً، فبأى حق يتمادى هذا الخطأ الذكوري؟ وما هو تبرير إهانة المرأة، هكذا؟ وكأنها حضور مكمل أو ثانوي، وهو أمر ضد كل التاريخ الحيوي، والبشرى، والآني بشكل أو بآخر.

في دراساتي لمحفوظ حتى الآن، ما نشر منها، وما هو قيد النشر لم تحضر المرأة أبداً بهذه الصورة. المرأة حضرت دائماً في سياق الإبداع في كل حال بما يقتضيه الحال: بما يكمل نسيج الإبداع في موقف بذاته: خديجة عائشة غير أمهما أمينة، زهيرة (شهد الملكة) في ملحمة الخرافيش غير ألفت الدهشوري، هذا فضلاً عن أن شخصيات محفوظ غير ثابتة، للرجل والمرأة على حد سواء، يحدث هذا في روايات "التطور التقليدي"، كما يحدث أكثر بكثير في قصص وروايات "التفجر التحولي" ذات النقلات النوعية، مثل "رأيت فيما يرى النائم"، و"ليالي ألف ليلة"، ثم هنا في "أحلام فترة النقاة"، كل هذا يشير إلى ضرورة أن يقتصر كل حكم نقدي على موقعه، إلا في الدراسات "المشتملة" التي لا يُرَدُّ عليها إلا بدراسة مشتملة مقابلة، مثلما ردّ د.محمد حسن عبد الله على د.غالي شكرى (المنتمي <==> الروحانية).

.....

أما بالنسبة لتحفظي على ما هو "نقد على نقد" بالنسبة لحلم (40) هنا، فمع أن الناقدة أقرت أن محفوظ غاص في "أغلب الشخصيات التي رسمها في رواياته، ليجمع فيها بين الخير والشر (اللس والكلاب، والسمان والخريف، والشحاذ ... الخ) إلا أنها رأت أن ذلك لم يتحقق لا في هذا الحلم ولا في حلم (15) وربما غيرهما.

فإن صح بعض ذلك، فلا بد أن يقتصر هذا الرأي تحديداً على نصّ بذاته دون غيره، وقد أجلت -شخصياً- البحث عن هذه الانطباعات الشاملة في، ومن، أحلام فترة النقاة إلى الدراسة الجامعة لاحقاً.

المنهج الذي أتبعه هنا، وهو المنهج التشرحي ثم إعادة التركيب، تعلمته من قراءتي لأصدقاء السيرة، وقد بدأت فعلاً الدراسة المشتملة لأصدقاء بفصل واحد عن "الطفولة: نبض دائم متجدد (في كل الأصدقاء: 223 فقرة)، هذا الفصل اضطررت أن الحلقة بما نشر لي مع الدراسة التشرحية، (كتاب أصدقاء الأصدقاء) خوفاً من أن يسبقني الأجل قبل أن أختم ما تعهدت به.

ملحوظة: قمت بمراجعة الأربعين حلماً التي نقدتها حتى الآن، لأبحث كيف ظهرت المرأة فيها، فلم تحضرن بتواتر كافي إلا "الفتاة" مقارنة بحضور "المرأة"، وقد أجلت التعليق على ما وجدت بصفة مبدئية إلى الدراسة الشاملة إذا كان في العمر بقية.

* * * * *

الجزء الثاني : نقد على نقد (2)

ثانياً: نص الحلم (20)

خرجنا باحثين عن مكان طيب نمضي فيه بعض الوقت. ونظرنا إلى الهلال ثم تبادلنا النظر. ورأيت على ضوء الصباح رجلاً عملاقاً لم تر العين مثله أرسل عموداً لا مثيل لطوله نحو الهلال حتى بلغ طرفه. وراح بحركة ماهرة يفرد طيات نوره حتى استوى بدراً وسمعنا اصوات تهليل فهللنا معها وقلت أنه لم يحدث مثل هذا من قبل فصدقت على قولي، وانساب النور على الكون رفعتني على سطح الماء فهتفت "ليلة قمرية" فقلت "القارب يدعوننا" وركبنا ونحن في غاية السرور، وغنى الملاح "رايداك والنبي رايداك"، وأسكرنا الفرح فاقتزحت ان نسبح حول القارب وخلعنا ملابسنا ووثبنا الى الماء وسبحنا ونحن في غاية الامتنان ولكن القمر تراجع فجأة إلى الهلال واختفى الهلال.. انزعجنا انزعاجاً لم نعرف مثله من قبل، ولكنني شعرت بأنه يجب مراجعة الموقف بما يتطلبه من جدية فقلت ونحن غارقان في الظلام "لنستطيع أن نسبح حتى الشاطئ فقلت: "سكون عاريين على الشاطئ" فقلت: فليؤجل التفكير في ذلك.

(الخط تحت بعض العبارات ليس في الأصل)

قراءة د. أميمة رفعت

لاحظت أيضاً الدهشة المتكررة، ولاحظت معها "البداية" كما وضعتوها بين القوسين، فما لم نره من قبل هو شيء جديد.. بداية جديدة والجديد يدعو دائماً إلى الدهشة... دهشة ممزوجة بالفضول، ولكنه هنا ليس فضولاً حذراً بل على العكس هو فضول فرح سعيد، وقد أشعل حماستهما حتى أنهما أخذاً يهلان ويغنيان بل "واسكرهما الفرح" فقدنا الشعور بالواقع.. بالفعل ونتائج "فخلعنا ملابسهما".... ومع إختفاء النور الذي لا مثيل له" وتراجع البدر "فجأة"، تكون الصدمه و"الإنزعاج" الذي يرجع بالوعي والإدراك للواقع ويضطرهما للتعامل معه.

الحلم به أكثر من بداية جديدة، بل أنه أوحى إلى بالولادة الجديدة... ولاده هلال جديد... ولاده حياة جديدة، تتطلب رجلاً وإمرأة ربما آدم وحواء يسبحان نحو "الشاطئ"، أو يتجهان نحو الأرض الجديدة، فأدركا ما هما عليه من عرى ويتدبران أمرهما.

وأنا اتفق معكم في الرأي تماماً فالحلم يجسد دورة الحياة، البداية والنهاية، فالنور يبدأ وعلو ويمتد ليغمر الكون ثم يجبو ليعم الظلام، فهو يأتي من الظلام لينتهي إليه مرة ثانية والهلال يكبر ويكون في أوج

جماله ليتراجع هلالاً مرة أخرى، والحالة الشعورية تأتي من مستوى هادئ، لإثنين يبحثن عن "مكان طيب" يقضيان به "بعض الوقت" إلى فرحة غامرة ثم حالة حماسية لا شعورية لتخبو في النهاية مثل كل شيء وترجع لمستواها المعتدل الواعي الذي "يتطلب الجدية". أما رحلة العودة التي بدأت من الشاطئ ولا بد لها أن تنتهي أيضاً عند الشاطئ فقد تركزت مفتوحة... فرحلة الإنسان تملؤها الخيارات والاحتمالات... فربما تنتهي به في "القارب" أو "يضل الطريق" أو يصل إلى شاطئه عارياً مفضوحاً... في كل الأحوال هو يحتاج إلى "التفكير"... أليس الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يفكر ويختار أولوياته خلال دورة حياته حتى النهاية؟

وقد أعجبتني جملتكم "الحوار الفاعل بين الإنسان و الكون"، فأنا أؤمن تماماً بأن الإنسان يؤثر في الكون ويتأثر به، أليس هو جزء منه في النهاية؟.

وقد ذكرني هذا الحلم / الإبداع بفكرة (التقابل أو التشابه) أعتذر عن إلمامي بالترجمة العربية للكلمة، وقد كانت فكرة شائعة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في ألمانيا ثم فرنسا. La correspondance ، وتبعاً لهذه النظرية فكل شيء في الكون له ما يناظره في الأشياء الأخرى، فما في السماء له ما يناظره على الأرض، وما على الأرض من مجاد له ما يناظره في الكائنات الحية، حتى الحواس تناظر بعضها البعض: فيمكن للرائحة أن ترى والسمع أن يبصر وهكذا...

وفي الحلم يظهر التقابل بين الكون والإنسان، ويكون الاتصال بعمود عجيب من النور يصل الأرض بالهلال، ينشر النور بالكون فيقابل هذا النور حاله مزاجية عالية في الإنسان على الأرض، يختلف النور وفي المقابل تخبو هذه الحالة المزاجية عند الإنسان... نعم هو حوار فاعل بلا شك بين الإنسان والكون...

حلم مبدع - بفتح الدال- جميل و تفسيركم للنص بديع، وقد إستمعت حقاً

* * * * *

الجزء الثالث : نقد "بعد" نقد: د. يحيى الرخاوي

قراءتان بينهما سنتان وشهران

نص حلم (14)

تريضة على الشاطئ الأخضر للنيل. الليلة ندية والمنجاة بين القمر ومياه النهر مستمرة تشع منها الأضواء. هامت روحى حول أركان العباسية المفعمة بالياسمين والحب. ووجدت نفسى تردد السؤال الذى يراودها بين حين وآخر. لماذا لم تزرني في المنام ولو مرة واحدة منذ رحلت؟ على الأقل لتأكد من أنها كانت حقيقة وليست وهماً المراهقة. وهل الصورة التي طبعت في خيالى هي الصورة الحقيقية للأصل؟

وإذا بصوت موسيقى يتزأى إلى من ناحية الشارع المظلم. صارت أشباحا ثم تجلت مع ضوء أول مصباح صادفها في طريقه، أدهشني أنها لم تكن غريبة على، فهي الموسيقى النحاسية التي كثيرا ما استمعت إليها في صباى ورأيتها تتقدم بعض الجنازات، وهذا اللحن أكاد أحفظه حفظا، أما المصادفة السعيدة غير المتوقعة فهي أن حبيبتي الراحلة تسير وراء الفرقة. هي هي بطلعتها البهية ومشيتها السنية وملامحها الأنيقة، أخيرا تكرمت بزيارتي وتركت الفرقة الجنازية تسير ووقفت قبالي لتؤكد لي أن العمر لم يضع هدرا، وقمت واقفا منبهرا وتطلعت إليها بكل قوة روحى. وقلت لنفسى إن هذه فرصة لا تتكرر - لألمس حبيبة القلب.

وتقدمت خطوة وأحطتها بذراعى ولكنى سمعت طقطقة شئ يتكسر وأيقنت أن الفستان ينسدل على فراغ. وسرعان ما هوى الرأس البديع إلى الأرض وتدحرج إلى النهر وحملته الأمواج مثل ورد النيل تاركة إياى في حسرة أبدية.

القراءة الأولى: نشرت بتاريخ 30 - 9 - 2005

هذا الذى يتريخ على الشاطئ، حضرنا مستيقظا يتذكر، كان يتساءل عن الحبيبة ولماذا لم تزره "في المنام ولو مرة واحدة" ؟. أثير احتمال من البداية أن هذه الحبيبة لم تكن واقعا أصلا، يقول النص: " على الأقل لأؤكد من أنها كانت حقيقة وليست وهما" ؟ ثم يشككنا النص في الصورة التي طبعت في خيال الراوى، على احتمال أنها ليست الصورة الحقيقية كذلك. تردد كل ذلك بعد أن رحلت الحبيبة الحقيقية أو المتصورة: هل ماتت أم أنها اختفت مرحليا: من الذاكرة أو الحلم أو الخيال ؟. هذه الزيارة المحتملة في المنام بدت وكأنها هي الحكم في تحديد الحد الفاصل بين وجود الحبيبة أصلا، ناهيك عن رحيلها، كما جعلها النص أيضا الحكم الذى سيحكم على مطابقة زائرة المنام مع أصل مشكوك فيه، وعلى صورة ربما مصنوعة من البداية!!!

إلى هذا الحد داخل هذا النص بين مستويات الحلم، واليقظة، والأصل، والصورة، والواقع، والخيال. ويا ليتته توقف عند هذا المستوى، نكمل معا :

تترامى إليه أصوات تنقلب إلى أشباح (وليست أشباحا تصدر أصواتا)، وهى أصوات مألوفة، لكنها جنازية دون حزن كئيب. هذه الاحتفالية الجنازية عادة ما تتقدم نعشا لا شخصا حيا، لكنها هنا تتقدم الحبيبة بلحمها ودمها "هى هي بطلعتها البهية، ومشيتها السنية، وملامحها الأنيقة"

يبدو أن إبداع النص يحاول أن يؤكد للراوى أن الحبيبة كانت (وما زالت) حقيقة ماثلة وهامى تسير خلف فرقة موسيقية جنازية، وقد جاءت "...لتؤكد لي أن العمر لم يضع هدرا".

المعنى المباشر هو أن الراوى عاش التجربة فعلا، وسعد بها، وأن هذه التجربة لم تكن أبدا أوهاما، وأن حبيبته هى حبيبته، وأنها أخيرا تعطفت عليه وزارته، وإن كانت في ظرف غير مألوف للقاء الأحبة، فهى تسير وراء فرقة الموسيقى الجنازية

تنتقل الحركة والراوى يتقدم إلى محبوبته بكل قوة وثقة، لكننا نلاحظ أن تلك القوة كانت "قوة روحه"، فننتبه (أو نتذكر) أنه منذ البداية أقر أن روحه هي التي كانت تهيم: "هامت روحي حول أركان العباسية المفعمة بالياسمين والحب"، ومع ذلك، فإن مطلب الروح الأخير كان حسيًا وباللمس للتحقق من الواقع ماثلاً عيانياً "... وتطلعت إليها بكل قوة روحي. وقلت لنفسى إن هذه فرصة لا تتكرر - لأمس حبيبة القلب."

المفاجأة الأخيرة هي أن الحبيبة لم تكن إلا هيكلها العظمى المخفى وراء صورتها بطلعتها البهية ومشيتها السنية، وبالته هيكل عظمى متماسك، بل تجسيد فراغ هش لم يجتمل مجرد التفاف ذراعى الحبيب حوله "...وتقدمت خطوة وأحطتها بذراعى ولكنى سمعت طقطقة شئ يتكسر وأيقنت أن الفستان ينسدل على فراغ"

هكذا نجد أنفسنا في نهاية النهاية أمام وهم الأوهام "... وسرعان ما هوى الرأس البديع إلى الأرض وتدحرج إلى النهر وهملته الأمواج مثل ورد النيل"

رحيل آخر أخير، لعله الرحيل الحقيقي، الذى لا عودة بعده خيال، أو حقيقة ملتبسة، أو حقيقة أصلية، أو لصورة هي، أو كأنها هي. هذا هو الرحيل العدم الذى يسمح الخيال مع الحقيقة مع الحلم مع الواقع ويساوى بينها جميعاً، هو النهاية الباعثة على الحسرة الممتدة، "تاركة إياه:" في حسرة أبدية. "لكن أبداً، حتى هذا الرحيل، هو ذخيرة الداخل!

وبعد

نتذكر أن أحلام فترة النقاها ليست إلا إبداعاً أصيلاً، وأن العنوان (أحلام) لا يلزمنا أن نتعامل مع النص إلا بصفته إبداعاً متميزاً لا حلماً مروياً. هذا النص -كما قرأناه - يظهر لنا بشكل جلى أكيد: كيف أن الخيال هو واقع آخر، وأن الموت هو وهم آخر، وأن العودة هي غياب آخر، وأن الواقع هو خيال آخر. ليس معنى ذلك أن ثمة دعوة لتداخل محل يسمح لكل شئ أن يكون ضده باستسهال غي، لكن الدعوة هي إلى رفض سجن ما نسميه واقعا.

هي دعوة لإعادة النظر في مدى واقعية الواقع المزعومة، وفي نفس الوقت هي دعوة لاحترام مستويات أخرى من الواقع لا نسميها كذلك، ثم التحرك بينها بأكثر قدر من الإبداع، لتظل الكينونة الجدلية الحقيقية تتخلق باستمرار.

القراءة الثانية: نشرت بتاريخ 6-12-2007

(نفس الناقد - أنا - دون أن أرجع للقراءة الأولى أو أتذكرها)

قفزة أخرى فوق الحاجز بين واقع اليقظة، وواقع الحلم،

وفي نفس الوقت هي قفزة فوق الحدود بين الحياة والموت، ثم إن نعمة تداخلات موازية: بين الخيال والحقيقة، وأيضا بين الامتلاء بالحب والضياع في الفراغ...!!

محفوظ هنا يستدل على الحقيقة من الحلم "لماذا لم تزرني في المنام..... لأتأكد أنها كانت حقيقة؟".

ذلك أنه يجعل الحلم هنا هو المقياس الذي يقيس به مطابقة صورتها على الأصل!! (إن كان هناك أصل).

وصول صوت الموسيقى قبل التيقن من طبيعتها استجلب الماضي مفتوحاً للأنغام (ربما أنغام المراهقة بالذات)، ثم تتعين الأنغام في أشباح، لا تتحد معالمها إلا في نور مصباح بالصدفة، يتعمى الموقف أكثر حين تتحدد الموسيقى في هذا اللحن الجنائزى، لكن متى كانت جنازتنا العادية يصاحبها الموسيقى ويتقدمها العازفون؟ ومتى كانت تعزف لحناً يُحفظ؟ فننذكره.

لم تستجلب الموسيقى الجنائزية أية ذكريات حزينة: لا ذكريات الموت ولا ذكريات الفراق، لعلنا لاحظنا في الفقرة الأولى كيف أن السؤال كان حول عدم زيارة المحبوبة (الحقيقية أو المتخيلة) له منذ رحلت. هو لم يقل إن كان هذا الرحيل هو إلى بلد آخر أو إلى عالم آخر. أقول لم تستجلب هذه الموسيقى الحزن أو الأسى أو الحنين، بل جاءت "بالمفاجأة السعيدة".

هذه المفاجأة قد تقتصر على أن الخبيبة عادت بعد طول غياب، وقد تمتد إلى أنها ليست هي التي بداخل النعش، فهي تسير وراء الفرقة بين المشيعين، هي لم تُمُتْ إذن.

هذه المفاجأة لم تتجلّ حليماً، حضر المنظر وهو ينتظر يقظاً مشتاقاً إلى محبوبته، يتمنى أن تزوره حتى ولو في الحلم، حل المنظر المحكى في بؤرة واقع حلمي أكثر إغراباً من الحلم.

الخبيبة تركت المشيعين والجنازة والموسيقى والميت ووقفت قبيلته ترد على تساؤلاته: أنها موجوده لم تمت، أنها لم تنسَهُ، وأنها هاهي قد عادت إليه.

قوة روحه جعلتها أوقع من الواقع، ومع ذلك فاللمس هو الحد الفاصل (نحن نعرف كيف يقرص الواحد منا نفسه ليتأكد ان ما هو فيه: علم لا حلم).

لماذا افترض من البداية أنها فرصة لن تتكرر؟

إن كانت قد عادت، حتى لو كان حلماً، فلماذا لا يتكرر

وإن كانت ليست هي التي داخل النعش وإنما هي تسير بين المشيعين، فلماذا لا يتكرر اللقاء؟

ثم إن قوة روحه هي التي ربطته بها، فكيف لا تتكرر الفرصة؟.

لعله عرف أنها فرصة لن تتكرر لأنها لم تكن موجودة أصلاً.
حتى الهيكل العظمى الذى طقطع لم يكن إلا فراغاً: الرأس
البديع الذى هوى كان رأساً وليس جمجمة، وقد تعرف عليها من
خلاله (هى هى بطلعتها البهية.. وملاحظها الأنيقة).
أما ما تحت الرأس، ما ينسدل عليه الفستان، فلم يكن إلا
الفراغ حتى لو طقطع داخله ما يمكن أن يكون هيكلًا عظمياً هشاً.
هذا الرأس البديع - وليس الجمجمة - هو الذى هوى إلى
النهر.

هل هو نفس نهر البداية؟

البداية كانت مياه النهر تشع منها الأضواء وهو يتريش
على شاطئه الأخضر.
أما نهر النهاية فقد توارى خلف ستائر ورد النيل،
لتغوص فيه رأس الخبيبة بلا رجعة.
الحسرة الأبدية هنا لها أوجه متعددة، تثير تساؤلات
مقابلة:

هل هى حسرة أنها لم توجد أبداً إلا فى خياله؟

أم حسرة أنها عادت لتثبت أنها كانت حقيقة، ثم تختفى؟

أم حسرة للتيقن من جوعه الذى لا يرويه خيال ولا حقيقة؟

أم كل ذلك معاً؟

لعله كل ذلك معاً

الخلاصة: (الآن)

مع كل شكرى للمشاركين واحترامى للجدية والجهد والإبداع،
دعونا نأمل أن نكون بذلك قد أوضحنا فكرة "نقد على نقد"

أو "نقد النقد"

أو "قراءة أخرى فى النص"

ونكون بذلك قد أعلننا مرة ثانية :

بداية الدورية النقدية لأعمال محفوظ.

والدعوة عامة.

- ("هل نحن نعرف ما هو الخيال؟!") جريدة روزاليوسف

- نشرة "يوميا" "الإنسان والتطور" قراءة فى حلم (13)
وحلم (14)

مقدمة

يظهر هذا الحوار اليوم، وأنا خارج البلاد، وغالباً سوف أعود هذا المساء، إلا أني قدرت أنه لا بد أن يدخل الموقع قبل عودتي، لذلك تركته قبل أن أسافر منذ يومين حتى لا تتوقف النشرة، (بصراحة أشعر أنها إذا توقفت يوماً فهي سوف تتوقف إلى الأبد، لا أعرف لماذا، ربما هذه واحدة من بديهيات نظرية "القصور الذاتي")،

وأنا أعدّ مسودة هذا الحوار، وصلني فجأة تبادل آراء بين دكتورين محمدين رخاويين: ابن أخي، وإبني، وهو حوار تابع من خلال ما بدأت مع كل منهما على حدة في هذا الحوار الريدي المتعل من صدور هذه النشرة، وأيضاً هو متعلق بقضية أساسية تناقشها هذه النشرة منذ صدورها (أول سبتمبر 2007) كما ناقشتها مجلة الأم "الإنسان والتطور" أيضاً منذ صدورها (يناير 1980)، وهي قضية نعيشها جيلاً بعد جيل، ولا يبدو أن لها حل قريب، لكن المؤكد أن لها حل عظيم آت لا ريب فيه، أو نقرض!!

لا أريد التعريف بالمتحاورين، فالمتتبع لهذه النشرة، أو حتى لرييد الجمعة فقط، لا بد وأنه تعرّف عليهما المرة تلو المرة، بما يكفي، فقط سوف أذكر بعض ملامح رسمتها لكل منهما (وليست ملامح أي منهما بالضرورة) وذلك لمن لم يتابع برييد/حوار الجمعة بانتظام:

الدكتور محمد أحمد الرخاوي هو ابن شقيقي، وأنا أحبه (أحب شقيقي)، ولي موقف مع محمد ابنه هذا، ابني، أنا أيضاً أحبه حباً من نوع آخر، هو حب خذّر، متحفظ، قاس، و متحمل، ومرحّب، ورافض، هو قد هاجر إلى استراليا بعد السعودية ولحقته أسرته، وهو طبيب استشاري أشعة حصل على الزمالة، واستقر هناك جسدياً وسكنياً ومهنة، ولم يستقر!

أما الدكتور محمد يحيى الرخاوي، فهو إبني من ظهري، وهو مدرس في كلية الآداب قسم علم النفس جامعة القاهرة، وقد سافر أيضاً مهاجراً إلى نيوزيلندا منذ سنوات (لا أذكر عددها) لكنه عاد بسرعة، وهو يعمل، ويتحاور، ويتشاجر، "ويتعشى" (أمس) معي في كل هذا (أي ضدي)، منذ ولد، وحتى تاريخه

محمد ابن أخی - كما لاحظ من تابعنا - في بريد الجمعة ساخط بالطول وبالعرض، على الشرق وعلى الغرب، علينا وعليهم، على الجميع، إلا على نفسه، وهو يستشهد بآيات قرآنية كريمة كثيرة، لا تصلني كما أعرفها، حيث أشم رائحتها - التي ألفتها- في ما يصلني منه عبر البحار، لعل العيب في أنفى.

محمد إبنى مفرط في التفكير والمحاولة والمراجعة والتنظير والتحدى، أختلف معه بشدة ظاهراً، لكننى ألمح باستمرار نقطة لقاء وراء اختلافاتنا كلها تقريباً، أحاول أن أجث عن مثلها عند ابن أخی، فأفضل (ربما - مرة أخرى - العيب منى)

برغم تشابه الأسماء، والالتقاء عند نفس الجد، بنفس الاسم (الرخاوى) فإنه لا توجد شبهة توريث، لأن الأفكار والمعاناة والمحاولات - أخطأت أم أصابت - لا تورث، لكن الشبهة قائمة في إتاحة هذه المساحة كلها لهؤلاء الثلاثة الأقارب من الدرجة الأولى والثانية،

ولكن عندك، هل أرسل لنا أحد شيئاً بهذا الحجم ولم نُجزُ نشره هكذا؟

ومع ذلك لا أنكر خجلي من الاستيلاء على هذه المساحة هكذا، وأبرر هذا الذى أفعله بما يلى:

أولاً: إن القضية التى يتحاوران حولها ليست خاصة،

ثانياً: إنهما يمثلان جيلاً مُهماً (50 سنة ابن أخی، 46 سنة، إبنى) وهو غير جيلى طبعاً، مع أن جيلى، والجيل الذى سبقنى، بل ومن سبقه أيضاً عاشوا جميعاً نفس الأزمنة، موضوع الحوار، لأسباب أخرى في ظروف أخرى،

ثالثاً: إن ثمة خبرة مشتركة بين المتحاورين فكلامها هاجراً، إلى نفس المنطقة تقريباً، (استراليا-نيوزيلندا) واحد رجع، وواحد بقى، ولعل رسالة تصل الأصدقاء من الاتفاق والاختلاف معاً.

رابعاً: إننى على سفر ولم استطع أن أكتب الحوار المعتاد، على راحتى، فانتزعتها فرصة لأملأ، المساحة المعتادة (!!)

.....

أكتب كل ذلك ولم أطلع على حوارهما بعد،

كل ما همنى هو أن حجمه مناسب، كذا صفحة!!

قبل أن أترك لهما الحوار، الذى لن أعلق عليه طويلاً اليوم، أقدم اعتذاراً جديداً للأصدقاء المعقبين (اختياراً أو اضطراراً) ولنا عودة. مكثفياً بعينة محدودة أرد فيها على بعضهم من باب إثبات حسن النية وادعاء "الذوق"، والباقى يسامحونى.

قبل الحوار العائلي/العام

من د. د. يحيى إلى د. جمال التركي وأ. عماد الشمري
[العراق]:

وصلني على الموقع ثم محولا من د. جمال التركي، يريد يقترح فيه أ. الشمري:

.... أن تتضافر الجهود لإنشاء "محنة فضائية عربية للعلوم النفسية" تكون أكثر قربا في قراءة الواقع النفسي العربي وتحليله و التصدي لمشاكله حتى يتعرف المواطن على علمائه، فلاسفة، مفكرين.... الخ

د. يحيى

الأخ الكريم د. عماد الشمري. كان قد وصلني اقتراحك قبل أن أطلع على بريد الموقع، ثم وصلني عبر الموقع، وهانذا أكتب لك الآن نص الخطاب الذي أرسلته إلى جمال، بهذا الشأن، ويهمني أن أرسل لك صورة منه وفيها رأي بالذات حول الاقتراح.

عزيزي جمال

قرأت الاقتراح المتحمس للزميل أ. عمار الشمري وقرأت ردكم الكريم الواقعي عليه، ونظرا لخبرتي بالإعلام ومصائبه وأفضاله معا، فإني أرجو أن تزوّوا كثيرا جدا جدا قبل الإقدام على هذه الخطوة مهما بلغ الإغراء، وإلا وجدنا أنفسنا تحت رحمة شركات الدواء دون اختيار، وأنت أدري بما يترتب على ذلك حتى بعد عمر طويل

آسف، ولكن ربما كان هذا الرأي نابعاً - على الأقل جزئيا - من خبرتنا في المنتدى (الإنسان والتطور) واختبار مدى الجدوية في التواصل

ذرا أن أربط الخاص بالعام، ولكنني لم أستطع إلا أن أبوح لك بما عندي كله احتراما وشكرا لك، وللزميل صاحب الاقتراح (أ. الشمري) مع تقديري واعتذاري

د. أسامة عرفة: الإدمان ظاهرة (5-3-2008)

مع عولة السوق واختزال الآخر الى سلعة استهلاكية أو كائن مستهلك هذا الاختزال والتهميش لكل ما له قيمة أرقى في الانسان، يضع الهدف وتواري أهمية منظومة القيم وتتحول طاقة الحركة الإنسانية من طاقة حركة بنائية إلى طاقة حركة دائرية مغلقة، يحلك سر هنا يأتي المخدر المهدئ لتهميد الطاقة المحتقنة في المسار الدائري المغلق وتأتي الإدمانات المنشطة لمحاولة إطلاق هذه الطاقة وتحريرها من الحركة الدائرية

د. يحيى

أنت أدري يا أسامة، فتخصصك الدقيق هو في الإدمان، أرجو أن تكون قد تابعت بقية النشرات، وأن تواصل الإضافة

والنقد من خلال خبرتك فعلا، لأنني سأرجع إلى الإدمان كثيرا وطويلا، فهو مدخل إلى مشكلة هامة، نتعرف من خلالها على أنفسنا معا، كما ذكرت سابقا.

د. ناجي جميل: "تخثر الوعي والثقافة" (1-3-2008)

لا أوافق امريقيا على فكرة أنه لا يوجد ما يجمعنا بهذا الشمول في ظل القبول والسكون الظاهرين. أكيد فيه حاجة عامة مؤدية إلى هذا، ربما ثقافة الاستسلام والسلبية.

د. يحيى

يا خبر يا ناجي!! إذا كان ذلك كذلك، يعني إذا كان الذي يجمعنا هو ثقافة الاستسلام والسلبية، فيستحسن ألا يجتمع. أم ماذا رأيك؟

أ. أين عبد العزيز: "قراءة في أحلام فترة النقاة" (28-2-2008)
برجاء توضيح جملة "الأصل والوصل في ناحية والإنكار الجمود في ناحية أخرى".

د. يحيى

الأصل الوصل هي حركية الوجود كله، وأظن أنها ترتبط علميا (مدرسة العلاقة بالموضوع) ببرنامج الدخول والخروج in-and-out program سواء المقصود من ذلك حركية "النزوع للعودة إلى الرحم ثم بعيدا عنه"، التي يمكن أن تتمثل أبسط في إيقاعية النوم واليقظة.

ومما يقصد من ذلك أيضا ما يمكن قراءته في حركية التواصل بالآخر "الموضوع" أو حتى في الممارسة الجنسية الصحيحة، التكامل البعث، وكل من هذا لا ينجح إلا بالوصل الفصل،

الوصل الدائم سكون ميت، والفصل الدائم عزلة هامة.

أما من الناحية الصوفية فربما نفهم حركية الفصل/الوصل وبالعكس، من قول أحدهم "كل من انفصل عن أصله بطلب أيام وصله"، ضمن حركة كدح جهادي توجهها إلى المطلق فوجه الله، ثم نعود إلى الذات المحدودة نسكن إليها لتتوجه من جديد إليه، وهكذا باستمرار،

أما أن يكون ذلك في ناحية والإنكار والجمود هو عكسه (في ناحية أخرى) فأظن أنه أمر لا يحتاج إلى توضيح.

أ. أحمد صلاح عامر: "الفروق الثقافية والعلاج النفسي" (25-2-2008)
الحاجة لكل أنواع الحوار

هل المواكبة هي شكل العلاقة بين المعالج والمريض أم أنها مواكبة داخل المريض نفسه بين ما عليه وما هو "سيمصبه"، اختلط الأمر على؟

د. يحيى

المواكبة هي أساسا شكل العلاقة بين المعالج والمريض، (بين أي منا وأي آخر. في محاولة علاقة!).

أما أنها مواكبة داخل المريض نفسه، فأنا لم أقصد ذلك أبداً
 إن تركيبات المريض المتعددة، أو ذواته، تتبادل وتتجادل
 باستمرار لو كان نموه مازال نشطاً، وهي تنشط بالعلاج
 الصحيح إذ يستعيد حيويتها بعيداً عن "الحركة في الخلد"، إذ
 تكسر الدوائر المغلقة الواحدة تلو الأخرى وهذا لا يسمى
 مواكبة،

وأرجو أن أتمكن من إيضاح أكثر فيما بعد

أ. عبير محمد رجب: الفروق الثقافية والعلاج النفسى (2)
 لا أستطيع فهم كيف ينجح الفرد الذى يمارس حوار الكر
 والفر فى العلاج النفسى!! وعلى هذا الأساس فهل الشخصية
 السيكوبائية هى أنجح الأشخاص فى القيام بالعلاج النفسى؟ وإن
 كان كذلك فكيف يؤمن أى منهم على تغيير أو تعديل مسار
 النمو لدى المريض؟

د. يحيى

يا بنت الخلال: حوار الكر والفر يُفرض على المعالج فرضاً،
 وهو ليس أبداً من صفات المعالج، المريض هو الذى يبدأه،
 وأحياناً يصر عليه، وبالتالى فهو لابد أن يجد من يحذقه أمامه
 كأنها مبارزة، لكن بدلاً من أن تكون المبارزة للقضاء على
 أحد الخصمين، فهى تجرى هنا فى هذه الحالة للحفاظ على الخصم،
 بل بصراحة على الخصمين، بل إنها ليست للحفاظ عليهما فقط،
 بل هى لإطلاق سراحهما من سجن نفسيهما.

أ. عبير محمد رجب: تخثر الوعى الوطنى (تعتعة)
 إذن ماذا؟

ما الذى يجمعنا وقد تخثر الوعى إلى كل هذه القطع
 المتباعدة؟

ألا توجد حلول واقعية لما وقعنا فيه، لا أدرى كيف
 أستفيد من هذه اليومية؟

د. يحيى

وهل المجتمع العلاجى الذى تعملين فيه إلا جزيرة يتخلق
 فيها وعى جديد ضام مفيد؟

وبعيداً عن العلاج توجد مجتمعات جيدة وجديدة تتخلق فى
 كل مكان فى العالم

ومع تخلق كل مجتمع جديد - جزيرة بشرية واعدة - يتخلق
 وعى جديد، فتتعدد الجزر الصالحة للحياة بسرعة وقوة ثم تأتي
 التكنولوجيا الأحدث فيتخلق التواصل رغماً عنا، ونعيش معاً
 بقوانين جديدة وعلاقات جديدة،

ما المانع؟

قولى: "انشالله"!

د. محمد عبد الفتاح خليل: "الفروق الثقافية والعلاج النفسى(1)"
 لفت نظرى التعليق على المعرفة بأنها: "هى نشاط يشمل
 الجسد والوجدان والحركة"
 وان لم استطع فهم المقصود جيداً ولكن أعتقد أن جزءاً من
 الفكرة قد وصل لى.

د. يحيى
 أنا يكفينى يا محمد هذا الجزء، وأعتبره - مجد - أهم من أى
 حماس يا شيخ.

أ. هيثم عبد الفتاح: "ظاهرة الإدمان: خلفية وتساؤلات!"
 لا أعتقد أن الأبحاث العلمية الموضوعية والإعلام من الممكن
 أن يثلا سبباً ضمنيّاً لزيادة ظاهرة الإدمان. وأعتقد أن
 دورهم ليس سلبياً تماماً ومع ذلك هذا لا يلغى إمكانية وصول
 رسائل سلبية قد تغذى هذه الظاهرة المرضية.

د. يحيى:
 أنا لم أقل أنهما سبب في ظهور الظاهرة، ولكنى نبهت
 أولاً: أن زيادتها لا تقلل الظاهرة
 وثانياً: أنهما يتزايدان والظاهرة تتزايد في نفس الوقت
 ولا يمكن أن نعزو هذا إلى ذاك أو العكس بهذه البساطة.

أ. أحمد صلاح عامر: "حوار بريد الجمعة"
 وصلنى إنى كنت قاعد كل ده محاول أفهم وماكنتش عارف إن
 ينفع أقول أى حاجة على بالى دون مراجعة، حبيت التلقائية
 أكثر ما كنت، ولكن فاشل فى تطبيقها.

د. يحيى
 يا بوهيمد، الفهم ليس ضد التلقائية، والتلقائية هى
 عدم إعاقة الفهم السلس، وهى ممكنة حتى بدون فهم (أعنى بفهم
 كامن) وأنا واثق أنك على الطريق السليم مادمت تمارس
 وتقرأ، وتقرأ وتمارس، وتراجع كل ذلك باستمرار.

أ. محمد اسماعيل: (المواجهة 1) 2008-2-26
 كيف نولد بدون الميكانزمات مع أن الوراثة تلعب دوراً
 ما فى ضعف بعضها على حساب الآخر.

د. يحيى
 برغم اعتقادى أن الميكانزمات ليست إلا برامج نيورونية
 يمكن أن تورث، إلا أننا نولد قبل تشغيلها، وبالتالي فنحن
 نرث برامج قابلة للشحن، فالتشيعل فالتحور .. إلخ، فهى
 ليست ثابتة، ولا جامدة، وهى أيضاً قابلة للتبادل والتخفيف
 والجدل .. إلخ مما سنعود إليه حتما يوماً ما.

حوار "قطاع خاص"!!

والآن ننتقل إلى هذا الحوار (قطاع خاص) بين أولاد العم (الرخاوى) على شرف المعقب!!

د. محمد أحمد (الرخاوى)

الظاهر ان احنا حنخش في جدل "رخاوى"

د. محمد يحيى (الرخاوى)

شكراً يا عم محمد على التفاتك، ومن قبل على التفات يحيى الرخاوى لردى على كل من يومية "الشعور بالذنب في السياسة"، ويوميات "الذل"، ربما كانت أهم وظيفة لكل هذا الذى يفعله يحيى الرخاوى بهذه اليوميات هي إثارة حوارات يبدو أننا نفتقدها دون حتى أن ندرى؛ فشكراً له بجد الجدل.

أما بعد، فأنا شخصياً رافض في الحقيقة إنى أدخل في حكاية الجدل الرخاوى دى. دى عيلة صعب يا عم، صعب قوى، لذا دعنا نأتنس بالناس ونتكلم دون هذه الصفة الرخاوية التى أرى أن في بعض التواضع عنها ثواباً. ثم إنك محمد الرخاوى، وأنا محمد الرخاوى (واللى حصل حصل، بل إن هناك كثيرين، غيرنا، ممن اسمهم أيضاً محمد الرخاوى)، هل ينقص الناس خبطة وارتباك بسبب كل هؤلاء الرخاوية الذين يتمسكون بالقول في جميع الاتجاهات بعنفوان يخض؟ أليس من حقهم أن يكتفوا منا بيحيى الرخاوى وحده؟ لا يا عم، هذه الصفة العائلية تحتاج لمقاومة حتى تتسع الدائرة وتتعم (من النعومة) شوية، إن كان لها أن تتسع أو تتنعم.

د. محمد أحمد (الرخاوى)

أولا يا محمد يحيى مسألة الشرق والغرب دى من قضايا عمرى، زى مانت عارف فضلت رايح جاي لحد ما قررت مؤقتا انى ابقى هنا بمجسد عليل ووجدان ملئ بالأم لا يداويه رؤية، ووعى يرمقنى أكثر مما أحمل طول الوقت.

د. محمد يحيى (الرخاوى)

كان الله في عونك يا أبا حميد. بس الحقيقة أنا متصور إنك هنا أو هناك في نفس الحالة، زينا كلنا كده يعنى. مينا غرباوى كان قال لى يوم ما وصلت نيوزيلاندا (مهاجراً): لو انت كنت مبسوط في مصر حتنبسط هنا، لو ما كنتش مبسوط في مصر موش حتنبسط هنا. فاهم قصدى (قصدى: قصده!!)؟

وبعدين بصراحة هذه الصيغ اللغوية كبيرة شوية. أنا زيك مسألة الشرق والغرب بهدلتى وسفرتنى ورجعتنى، والحقيقة إنى فخور إنى أخذت قرار الرجوع النهائى قبل أقل من 60 ليلة من حصولى على ما يتمناه كل من يهاجرون من: ضمان قانونى ورسمى للإقامة والانتماء والاستمتاع الدائم بما أنت فيه (أسف أن أقول لك إن تجربتك المتزوّخة، التى كنت أتابعها جيداً، كانت أكثر ما دعانى لاتخاذ القرار بهذا الحسم

العنيف). بهدلتني مسألة الشرق والغرب دى لغاية ما قررت فى الحقيقة إنى أتعالي عليها شوية (بلعبة التركيز على نظرية المعرفة وخاصة اللغة بوصفها التشكيل الرئيس للمعرفة، ودول هم اللي باعتبارهم قضية عمرى أنا بقى، دلوقتى).

إيه حكاية الشرق والغرب دى بقى بإذن الله؟؟ ولحد إمتى حنفضل نشعر بمهانة الانتماء لما لا ننتمى إليه فعلاً؟ ومهانة عدم الانتماء لما يمكن أن ننتمى إليه جداً، وفوراً، وغضباً عن حبة عين أى خائب ممكن يخاف مننا أو يبخل علينا مجرد إنه افتقر من جوة؟

د. محمد أحمد (الرخاوى) :

زى ما ابوك قال وعاد المسألة فعلا خرجت من اطار شرق وغرب، المسألة بقت تحدى وجودى صارخ لا ينتصر فى نهاية النهايات الا بتوجيه مستويات الوعى وكل الكدح وكل العمل الى غائية قد تكون مجهولة ولكنها حاضرة طول الوقت.

د. محمد يحيى (الرخاوى) :

كلام جامد قوى، محتاج له مقالات لوحده. موش باهزر وبس والله، أنا موافقك جامد فى حاجات أساسية. سأعود لقولك الأخير هذا (المسألة بقت تحدى صارخ.....إلخ) فى مقال سأستغل لكتابته بإذن الله. لكن تعالي حكاية الشرق والغرب دى بقى. من زاوية معينة، أظن هى اللي تهمنى بحق وحقيق فى الحوار ده، وما دمنا لا نتكلم بقصد عملى سياسى أو اقتصادى، ولكن بقصد معرفى أساساً -ليصّب فى الحياة، إن قدرنا- لا مؤاخذة بقى يعنى إيه حكاية إن المسألة خرجت من إطار الشرق والغرب؟ هى خرجت إمتى بالذمة؟ يعنى قصدى هية إمتى كانت دخلت أصلاً بالنسبة لك وبالنسبة لى وبالنسبة لجيلنا عموماً وبالنسبة للأجيال اللي بعدنا؟ معلش خللى يحيى الرخاوى على جنب دلوقتى بس. احنا عايشين فى عالم غربى من زمان أصلاً، المشكلة موش فى إنه كان شرقى فى يوم من الأيام وانهمز لإنه شرقى، موش فى إنه شرقى ولا غربى، المشكلة هو فاشل ولا ناجح، وانت عارف طبعاً الإجابة، إنت واللى يتشدد لك. بصراحة لما ابويا (زى ما بتسميه هنا) يقولك إن المسألة خرجت من إطار الشرق والغرب يبقى متأخر قوى.

شرق إيه يا عم محمد؟ يا عم محمد أنا اتولدت فى شارع منيل الروضة وانت اتولدت فى مصر الجديدة، كانت شقق (موش بيوت) فيها كهربا وبتطل على أسفلت وخرسانة ومترو وأتوبيس وترولى وكل ما هو غربى النشأة والتصميم، ووعينا أنت وأنا (ونحن حول الخمسين الآن) على الراديو (الترانزستور كمان) والتليفزيون والتليفون والعربية/السيارة وكل ما يسابق فى سرعته سرعة حياة الغربيين بدون لازمة، وكل ما مجرمننا من روعة "الاضطرار" للبطء والتمهل والصبر...إلخ، بل إن أبويننا الشقيقتين كانا يركبان العربية والمترو والترولى والفسبا وحتى قطار الدلتا فى الجامعة وفى المدرس وما قبلها، كما أننا تعلمنا الأجدية

الغربية جنباً إلى جنب العربية. أى شرق وأى غرب بالذمة؟؟
هو كل ده شرقى؟ ولا كل ده موش مهم فى نظرك؟؟!!!

لما ييجى أبويا (زى ما انت بتسميه هنا) ما ياخدش باله من ده كله، ويقول إن المسألة خرجت من إطار الشرق والغرب عندما بدأ يتعامل مع الكمبيوتر والإنترنت بالذات؛ يبقى بصراحة هو اللي متأخر قوى، لأ ويبقى ظالمنا قوى، قوى قوى كمان. ثم إن أبويا ده حالة خاصة جداً أساساً، وخصوصاً فى حكاية الشرق والغرب. أبويا ده "مخاوى" (مُها اللي بيقلوا عليه كده، يعنى تلاميذه اللي بيحبوه ويشوفوه وهو بيعامل العيانيين والناس اللي أصغر منه بالذات، [وبعدين ده رامى عادل هو اللي زقنى وقال لى: قول متخافش]). وموش مخاوى بس، لأ ده بالقصد وبالعنية. ساعات يتهيأل إنه حكاية تعدد الذوات ده هو اللي عملها مع نفسه بالقصد، فى الأول كان عاوز يفهم العيانيين، واسترشد له بكام نظرية كده، وبعدين كبرت معاه، ويبدو للأمانة إنها زودته (يعنى أضافت إليه) بالكثير، لكن كمان بقى صعب عليه يلهمها (هو اللي بيقول كده والله). طبعاً لما يبقى مخاوى يبقى الشرق أنسب له ميت مرة. يقوم يعايرنى إن أنا ماليش ذوات كثير؟؟ يا أحمى ربنا خلقنى عندى فقر فى الذوات، أنا ذنى إيه؟ ذنى إيه إنه خلقنى فى عالم مفهوش بنى آدمين كثير ليهم ذوات كثير (حتى لو كان عالم غربى)؟؟ بصراحة بقى ثرائى موش مرتبط بتعدد الذوات قوى، ولا بالضرورة. موش يمكن فيه ثراء ثنائى؟؟!! موش يمكن فيه اتساع ثنائى؟؟ أقولك مثلاً: المجاز، ده بقى أنا بافهم فيه، والحقيقة إن يحبى الرخاوى ظالم نفسه جداً برغبته "غير المجازية" فى صياغة ما يعيش فى اللغة (ولا حتى فى الفيديو حينفع)، بدليل الموقع ده، لأ، قصدى اليوميات دى. معلش الاستطرد طال منى، كان قصدى أقولك إن حكاية الشرق دى خلصانة من زمان، وبواقياها استثنائية، وموش حينفع لكل من يرى نفسه متميزاً عن الغرب إلا إنه يستوعب الغرب وهو يحاولها.

يا عزيزى يابن عمى أغلب الظن أننا عندما نقول الشرق لا نعنى شرقاً، بل نعنى "زمان"، خاصة ذلك الزمان الذى لم تكن عبقرية الفلسفة اليونانية (أصل الفكر الغربى) قد أظهرت فيه كل هذه القدرة على مراكمة المعلومات الجزئية لصياغة العالم المصنوع وفرضه وفرض قوانينه وقوانين أسواقه على حساب عبقرية أخرى هى عبقرية قوانين التاريخ الحيوى الأكثر أصالة وشمولاً وتجذراً فى قلب الوجود نفسه، أو على حساب عبقرية ثالثة هى عبقرية الصياغة المجازية للعالم أو للوجود (الصياغة المجازية ليست أقل دقة -على الإطلاق ونهائياً- من الصياغة الحرفية، أو التى تسعى للحرفية، وهذا كلام علمى، آسف لا أحب استخدام سلطة العلم، ولكن لزم التنويه بعجالة).

أى شرق -إذن- هذا الذى نعبه عدا ما هو "قبل" هذا التطور التكنولوجى التجارى القاهر؟؟ من الطبيعى أن تجد فى إطار هذا التطور، كما هو الأمر فى أى إطار آخر، من هو شاطر ومن هو خائب، من هو سابق ومن هو متأخر. ونحن

الخائبون المتأخرون، وعلينا أن نتشطر (نبقى شطار) بعيداً عن حجج الشرقية ايها. لو اتشطرنا قوى، سنجد أننا نحى الحق (الذى نسميه شرقاً مؤقتاً) حتى لو لم نتمد. مين ده ان شاء الله اللى ممكن يغير جيناتى اللى فيها حق (برضه بنسميه شرق، أو حتى إسلام، مثلاً)؟

على فكرة يا محمد يا أحمد: فى الغالب التأخير ثمنه غالى قوى. أظن جزء من الثمن اللى بندفعه، أنا وانت، ويحى الرخاوى كمان، هو ثمن التأخير فى الاعتراف بكل ده، يعنى بالهزيمة. يا أخی ما يعترفش بالهزيمة إلا الجدع. اللى واخده العزة بالإثم بيدفع الثمن أغلى بكثير، أصله بيتعطل. ألا تظن معى أن تأخرنا عن إدراك هزيمتنا هو مسؤولية كبيرة تقع أساساً على عاتق إصرار جيل آبائنا على التمسك بما تمتمعوا به ما لم يستطيعوا أن ينقلوه إلينا إلا كإشاعة هوية وجدناها فارغة ومنهزمة وملزمة بسبب أبوتهم الطاغية؟؟ يا عزيزى هذا التأخير تأجيل أكثر قسوة مما أدعونا إليه؛ فعلى الأقل دعنا نكتشف ولا نقول إنها ثورة الاتصالات والكمبيوتر والإنترنت؛ فما هذه إلا السلالة الشرعية جداً لما بدأت به المسألة من أسفلت وسيارة وتليفون وسينما وخلافه. لقد تمتمعت أجيال من قبلنا بزيادة السرعة فى كل شىء، وبالتكنولوجيا، وأنجبونا وهم متمسكون بها تمام التمسك، متنافسين فيها كل التنافس، فكان عليهم أن يعيدوا صياغة حكاية الشرق والغرب، ولكنهم اختاروا أن يتأخروا ليتمتمعوا بتعدد غير متسق. ولم يكن هذا التأخير إلا لحساب تعميق هزيمتنا كشرقيين جميعاً، أى لحساب تعميق لن يمكننا إنكاره وادعاء أن مجيء الكمبيوتر والإنترنت (أول امبارح) هو ما أزال الحواجز بين الشرق والغرب. ولو لم نستوعب عمق الهزيمة المتمثلة فى أن حياتنا فى معظمها غربية؛ وأن التليفون مداراة الهزيمة لم يفعل إلا أنه عمقها، لو لم نستوعب ذلك سنظل نعمقها أكثر فأكثر ونحن لا ندرى.

لا أنا ولا أنت نعرف شرقاً بمعنى الثقافة المعيشة التى تتمتع بدرجة من التناغم والتكامل تمكنا من الحديث عنها بوصفها مقابلاً حقيقياً لما يمثلونه فى الغرب. نحن منتهكون من زمان قوى، وخسرناها من زمان قوى، وقد اكتسب جيلنا (أنت وأنا) الوعى كله فى ظل هذا الانتهاك وهذه الخسارة وهذا الاستهلاك لكل ما هو غربي. لا أظن أن من حقنا أن نصور أنفسنا ونتكلم بوصفنا ممثلين لأى شرق. ربما ما لدينا محض حنين لماضٍ أكثر طبيعية وأقل اغتراباً، تماماً كالخنين الذى تجده فى كثير (جداً) من عملهم (الغربيين) الفنى (خاصة السينمائى) والمعرفى (خاصة فى تناولهم للحدائث والعقل الغربى) والعملية (خاصة عند المهتمين منهم بالبيئة)، أى كذلك الذى تجده فى "نقدهم لأنفسهم". ربما تتمتع بقراءة مشوشة مع مصطلحات ومفاهيم وثقافة ننتمى لذلك الماضى الشرقى، ربما لدينا فرصة متميزة فى عجزنا عن الانتماء الكامل لهذا النجاح المغرب والانتصار به، ولكننا غربيون. باختيار أو باضطرار نحن غربيون. وحكاية الشرق والغرب تحتاج لإعادة صياغة متمهلة وأمينه، إعادة صياغة تجعل من فرصتنا (المتتملة فى

عجزنا عن المواكبة والانتماء والفخر) ووطأتنا (المتمثلة في اضطرارنا للعبور عبرهم، بكل ما نحمله من اغتراب وهزائم وذل)، إعادة صياغة تجعل من هذه الفرصة وهذه الوطأة جدلاً نقلنا لما بعدهما، وهو ممكن.

د. محمد أحمد (الرخاوي)

انت عارف الآيه اللي بتقول أما الزيد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض، اللي ينفع الناس دلوقتي هوتشكل نوعية جديدة تماما من الوعي والحياة كى لا ينقرض النوع فعلا يا محمد

د. محمد يحيى (الرخاوي)

ما ينقرض يا عم محمد!! الله!! يا عم محمد لما نتكلم على مستوى مسؤولية الانقراض دى؛ يبقى لازم لغتنا تختلف تماماً. اللعب على مستويات اللغة موش بالسهولة دى ربنا يكرم أصلك. هو أنا ولا انت حنمنع انقراضه؟؟ بإيه؟؟ بالدريكة دى كلها؟؟ ده انت جايب عاليها واطيها ومضلمها ف وشنا!! وموش عاوزها تنقرض!!؟؟ اللغة التي تنظر من أعلى لدرجة تتوقع الانقراض لازم تفضل متعالية عشان ما تناقضى نفسها بالجان كده. يعنى قصدى إن اللي بيتكلم عن الانقراض لازم يبقى عارف إنه بيتكلم عن شىء أكبر منه بكثير، عن دائرة أو مستوى أكبر من وعى اللغة العادى بكثير (هو أحد مستويات الميتا meta)، ولازم لغته تبقى منتمية لهذا الشىء أو هذا المستوى أولاً، وطول الوقت. أقولك ازاى: أنا مثلاً لو حاتكلم عن الانقراض لازم حاكون واخد بالى طول الوقت إن قوانينه وقوانين البقاء أكبر منى بكثير، وإن أنا حته فرد تافه، يا حينفع يلتحم بيها بصيغة تفضل وتعمر؛ يا هيرحل زيه زى غيره، واهو العدد فى الليمون. فيكرك ربنا ناقصنا إن كنت إنت ولا أنا؟ ولا احنا بنخى أنانية شديدة واستعجال موش من حقنا؟؟ يعنى بنستعجل نهاية على مزاجنا، بس بنسمى ده كله "خوف من انقراض النوع"؟؟ ثم انت لو مصدق يوم القيامة بحق وحقيق حتعرف إنه فيه انتماء لما هو أكبر مما يمكن أن ينقرض، هو الانتماء الوحيد اللي ممكن يحميك من انقراضنا. أنا موش بخوفك من يوم القيامة، دى موش مسؤوليتى وموش ده مستوى الحوار اللي ينفع فيه كده. أنا بس شايف فى لغتك ما ينبغى أن يتسق مع كونها ممكن تنقرض ويبقى ده خير برضه، خير على مستوى احنا موش شايفينه بس. لو انتميت للمستوى ده يا محمد، موش حتخاف تنقرض، موش حتنقرض، ولما تنقرض موش حتبقى انقرضت، أو يبقى كان لازم وضرورى وحتماً ولا بد تنقرض عشان الأكبر منك والأحسن منك ما ينقرضش.

إوعى تقوللى (انت ولأ عمك) إن ده تحلى عن مسؤولية البقاء والاستمرار، عن مسؤولية نقل الجينات التي أحملها وأحمل مسؤولية إبقائها وتطورها. ده برضه مستوى من اللغة لازم يبقى متسق مع نفسه. يعنى قصدى إن أنا بموقفى ده فى الحقيقة باوافق على قوانينها، باوافق على اللي حاصل بما إنه من قوانينها (هيجل العظيم يقولك: العالم الحقيقى هو كما ينبغى أن يكون عليه)، المطلوب منى هو إنى أستوعب

قوانينها، وبهذا فقط يمكنني أن أبقى على ما أمثله. وبعدين أنا لما أقول أحاول أستوعب قوانينها، قصدي: بما في ذلك النقلة اللي عملوها اللي انت مسميهم اصحابي في الغرب (أهو انت! اصحابك انت ياخويا! وانت اللي عايش في وسطهم موش أنا)، فلما أستوعب قوانينها وألقى لي صيغة أستوعب بيها يمكن أطور، وتبقى هي دي مسؤوليتي.

إيه!! موش من حقى أتصور إن هو ده الخل؟؟ أظن إنه حل مناسبى على الأقل، خصوصاً وأنا باحاول طول الوقت مايقاش مقصّر (بطريقي، وفي حدودى يا سيدى، انت حتحاسبني؟؟)، وخصوصاً إنه هي دي الصيغة اللي بتخرجني من تعددية يحى الرخاوى في اتجاه واحدة واتساق مستويات اللغة، حتى ولو تناقضت جدلياً.

وبعدين بتقوللى "اللى ينفج الناس دلوقتى هو تشكيل نوعية جديدة تماماً من الوعى والحياة"، يا نهار احوس!! مين ان شاء الله؟؟ مين ده اللى حيشكل نوعية جديدة من الوعى؟؟ وعايزنى اكسبها؟؟ أنا بصراحة عاوز اكسبها وشايفك ممشيتى في سكة بتخسرنى مهما تعملقت الألفاظ، وساعات باحس كده مع يحى الرخاوى نفسه (من غير حكاية تعملق الألفاظ دي)، للأسف. نوعية الوعى الجديدة ونوعية الحياة الجديدة بتتشكل من غير كلامنا ده يا عم محمد، ولعلمك ساعتها لا أنا ولا انت حتقبلها أصلاً، وده الطبيعى على فكرة، لكنها حتكون أهم منى ومنك ومن يحى الرخاوى. وعلى فكرة برضه؛ هو اللى علمنى كده لما طلب مننا قراءة كتاب تى. إس. إليوت عن الثقافة. كتاب رائع وإليوت مشاور فيه على إنه لما الثقافة تتغير هو نفسه موش حيقبلها بسهولة وحرى، لأن لا نوعية الوعى ولا نوعية الحياة بتتغير بسبب إن أى حد "عارف" نوعية الحياة أو الوعى الصح، أو الأمخ، هي بتتغير لما تكتمل مقومات تغيرها ومقومات عمل منظومة جديدة، يصعب على القدام أن ينتموا إليها. اقرا معايا يوميتين (رائعتين بالمناسبة) هما: "طقوس السبوع وجدلية الانفصال/الاتصال" العدد 144، بتاريخ 2008/1/22، وبعدها يومية "التراث الشعبى: حضور في الوعى؟ أم ديكور للحكى؟" العدد 166، بتاريخ 2008/2/13، ثم قل لي بذمتك، من منا "يستطيع" أن يعيش ثقافته الشعبية وأن يأتنس بوعى جمعى حاضر بهذا الشكل؟ يحى الرخاوى عبقرى لا شك في ذلك، وقدمه حاضر، ولكن هل تستطيع أنت يابن امبارح؟ دي حسبة على بعضها، نسق أو منظومة في تناغم فعال، هو ده اللى ما يخليهاش ديكور للحكى. يا أحمى ده ولا هو نفسه قادر، لأن لا الحسبة ولا المنظومة متوفرين النهاردة. اقرا برضه كده طيب يومية التعتة (تختر الوعى الوطنى (والثقافة)، العدد 183، بتاريخ 2008/3/1)، دي مرحلة انتقالية يا نستحملها "بقوانينها" يا ما نستحملهاش، إنما نتصور إننا عارفين الخل؟؟: صعب. نحن لا نعرف إلا أن نصغى لفطرة خلقنا الله عليها، وهذه لا تحمل حلولاً تفصيلية، ولذلك علينا أن نسامح، لا محبة متعالية في السماح كما يدعى الغربيون، ولكن تواضعاً واعترافاً بحقيقتنا، لا بشرقيتنا، فلم يعد هناك ما يمكنه أن يخفى حقيقة كون هذه الأخيرة (أى شرفيتنا) "عزة بالإثم"

د. محمد أحمد (الرخاوي)

تعملق أصحابك في الغرب ظانين أنهم قادرين عليها ودخلوا في الذنوب عشان يتعلموا زى ما انت قلت، بس الدافع مكانش العلم فاللتطور؛ ولكن العند بالعمى الحيسى كى يقننوا عدمية وجودهم، إلا من أدرك حقيقة كل المأزق

د. محمد مجيى (الرخاوي)

بالراحة يا عم محمد، الله يكرم والديك. أولاً الذنب ده دخوله موش بالمزاج، الذنب ده دخوله هو الأصل، هو اللى عمله آدم وخرج بيه من الجنة، واحنا كلنا -بما نحن من ولاد آدم- داخلينه داخلينه. المشكلة موش في اللى بيتحمل مسؤولية فعل آدم، دى مافيهاش اختيار، المشكلة في اللى يحاول يزوغ. يا عم الباشا كلنا اتدبسننا، أنت إن أردت أو لم ترد حملتها وكنت ظلوماً جهولاً، حترج منها فين؟ أنا بس كنت بشاور على إن مدعى الرقة، تحاشياً للذنب، بيستهبلوا، أصل حيروحوا منها فين؟؟

ثانياً: حكاية إن هُما "دخلوها بدون دافع العلم فاللتطور". يا أخى الواحد بيخش الحاجة عشان دافع ما، حتى لو كان تافه، لكن النتيجة اللى بتتحقق بتتجسب له أو بتتجسب عليه بغض النظر عن الدافع، حتى لو كان الدافع التافه. إنك تخش الحاجة هو ده الموضوع، الباقي، يعنى الفعل ونتايجة؛ ليه قوانين هي قوانين الحياة موش قوانين النية، ولا حتى قوانين الرؤية. أما حكاية إنهم يقننوا عدمية وجودهم؛ فاحنا إيش عرفنا يا عم محمد؟؟

د. محمد أحمد (الرخاوي)

كمية الانتحار والأمراض النفسية والشقاء واللامعنى أكبر من كل ما تتخيله منا يا محمد وليس من رأى كمن سمع.

د. محمد مجيى (الرخاوي)

(على فكرة أنا باعتبر نفسى من الرائيين لا من السامعين) عندك حق، شقاء طبعاً ولا معنى، لكن هذه اللغة لا تطمئننى نهائياً. قائلها يبدو وكأن لديه المعنى والصحة والاشقاء، وكأن للشقاء والأمراض النفسية واللامعنى دلالات واحدة هو يعرفها. إذا وافقتنى أنها أمانة حملناها بسبب كون "كل منا" ظلوماً جهولاً، أفليس هذا ثمناً مقبولاً لمن لم يتجاوز عتية الانهزام في التحدى؟؟ أفليس من الواجب علينا أن نواجه هذه الاختيارات بدلاً من الخنوع دونها بادعاء الرقة والدعة والسكينة والعبادة التى تمنعنا من الانتحار؟؟ موش عارف!!

د. محمد أحمد (الرخاوي) :

طبعاً احنا عندنا بلاوى سودا ولكن بشكل تانى وهما ياتى المأزق الوجودى الرهيب حيث تمخض أغلب نوع الحياة هنا وهناك على إما ادعاء حريات وتجارب دون وجود أى غائية، أو عندنا، فيما يسمى الشرق، جمود واستمناات وهمية لا تحت للحياة ولا للوجود بأى صلة

د. محمد يحيى (الرخاوى)

طيب أديك قلبتها أهه، بالذمة ده بقى وصف للحياة؟ ولأ هو محض كلام واحد شايف كل ما هو أسود وعارف يركز عليه؟ أو موش عارف يركز غير عليه؟، موش فيه احتمال الحياة تبقى أكبر وأشد من كل رؤيتك دى؟ بل وتقدر تستوعب كل المظاهر دى لصالحها (يعنى لصالح تطورها) زى ما عملت طول تاريخها الحيوى؟ بأى حق والنبي، وبحق من نبى النبي نبي؛ نحكم عليها كل الأحكام دى؟؟ يعنى أنا وانت جينا منين أصلاً عشان نقول إننا عايشين فى حياة لا تمت للحياة ولا للوجود بأى صلة؟؟ ولأ أنا وانت لينا قوانين خاصة يعنى؟؟!!!!

د. محمد أحمد (الرخاوى)

العاقل مثلى ومثلك ومثل أبوك (اى من جن) على رأى أبوك هو من يرى كل ذلك ويرفضه ويحاول برغم كل شئ

د. محمد يحيى (الرخاوى)

لا والنبي الله يجليك ارحم! أنا شخصياً يا عم موش حابب إني أبقي فئة خاصة تدعى عقلاً متفوقاً يراه الآخرون جنوناً. بالنسبة لى دى حاجة كده زى السماعيل ياسين لما خرج من مستشفى المجانين فى أول الفيلم ليعود إليها مختاراً فى آخره رافضاً عالم أولئك الذين يدعون العقل (باكره الفيلم ده جداً). أنا حتى ولو كان لى غرورى (طبعاً لى غرورى الفطيع، وباحبه كمان، هه!)، إلا إني فى الحقيقة أفضل إني أتكلم بلغة غير دى خالص.

ثانياً يا أخی مين قال إن الناس، وبالذات الغرب اللى انت بتهاجمهم موش شايفين ويحاولوا رغم كل شئ؟! كل واحد يشوف بطريقته ويحاول بطريقته. الحياة ليها وسائل عجيبة جداً لفرض قانونها وحقوقها، بما إننا معترفين إن ليها قانون وحقوق. أما إذا ما كانش ليها قانون وحقوق بقى، يبقى نخرس كلنا أحسن، لإننا ما بنتكلمش إلا بلسان من يتصور عن نفسه صلة وثيقة ودرجة من المعرفة بما تريده الحياة وما هو جوهرها وغايتها. والحقيقة إن موش احنا بس اللى من حقنا نمثل الحياة.

د. محمد أحمد (الرخاوى)

أنا مش متأكد قوى من الأمل فى تكاثر الأمل الذى يتكلم عنه عمى لأنه ما زال أقل القليل تحت زحف قوى الانقراض فى الشرق والغرب والشمال والجنوب

د. محمد يحيى (الرخاوى)

يا نهار إحوس!! شرق وغرب، وشمال وجنوب كمان!!!؟ يا أخی أنا بيتهياىل إن الأمل ده كان طول عمره أقل القليل، لكن بعد ملايين السنين وصل لحد عندنا برضه، واديني أنا وانت بنتكلم أهه، ولسه مانقرضناش. وبعدين انت حاتطلع عين أهلى ليه يا أخی!!!؟ يا أخی أنا اللى مصيرى على لغة يحيى الرخاوى إنه لسة ما اتنازلشى عن الأمل ده، يعنى معناها إنه لسة مراهن على حاجة ما يعرفهاش، يمكن تكون أنا، أو حد من اخواتى، أو انت، أو الغرب، أو التاريخ، ، ولأ عاوزنا ننتحر بينما انت بتاخذ على الغرب إنهم بينتحرروا؟؟؟؟!!!!

د. محمد أحمد (الرخاوي)

النقطة الثانية يا محمد هي أن تذل لله فتتعلم فتتموه، هو هو بالضبط اللي ما يعرفهوش أغلب الغرب لأن أغلبهم يرفض الذل بكر وواضح ولا يعرف جوهر ما ترمى اليه من أن ذلك لله هو هو أول وآخر وجودك كله وعشان كدة يا محمد البيعة أغلبها خسرانة هنا، وطبعاً أنا موافق إنها عندك كمان خسرانة لأنها مغيث لعبة أصلاً!!!!!! والله الأمر من قبل ومن بعد

د. محمد يحيى (الرخاوي)

طبعاً لله الأمر من قبل ومن بعد، وده بالضبط اللي تخليني معترض عليك، وعلى ابويا -زى ما بتسميه هنا- لكن الحقيقة أنا موش شايف أبداً إن حكيم على الغرب سليم. أعتقد، من قراءة التاريخ، إنهم بيعرفوا ينهزموا أكثر منا بكثير، وإنهم استفادوا من الحكاية دي أكثر بكثير منا، لدرجة إنهم انتصروا. إحنا واخدانا العزة بالإثم لدرجة عمالين نعمق في هزائمنا دون أن نستطيع الاعتراف بأننا ذللنا. يا أخی أنا أعرف من بعض مناهجهم الحياتية كمان إنهم عارفين ده كويس قوى (بعضهم على الأقل). برنامج علاج الإدمان مثلاً (والمدمنين أكثر المغرورين بالخلول العملية الخارجية الكيميائية لو تعرف) لا يقوم ولا ينجح إلا على أساس الذل لله والفرح والالتزام به في نفس الوقت. والبرنامج ده غربي جداً على فكرة. طبعاً فيه في الغرب ناس معترضة عليه عشان معترضين على المعنى ده بالضبط. لكن كمان هو ده نفس الغرب اللي ساب البرنامج يشتغل وينمو وينجح ويساعد ناس. أنا موش عاوز أدافع عنهم (ما أنا برضه باحس بالغيرة)، أنا كل الحكاية خايف حسن نكون بندافع عن نفسنا وعن اللي احنا فيه واحنا موش واخدين بالناء، حتى واحنا بنشتم "نا" معاهم. اللغة اللي بنستخدمها في هذا الموضوع محتاجة تغيير كامل، زى ما نكون محتاجين نخترع (نبدع فعلاً) لغة ثانية ومفاهيم ثانية وموقف ثاني من الحياة عشان نكمل معاهم، وإذا كان عندنا حاجة نسيقهم بيها نعملها، وإذا كان عندنا حاجة نعلمها لبعض ونعلمها لعيالنا يبقى نعملها صياغة عشان تفضل. موش مستريح أنا خالص للفتك الحكامة والتقييمية دي يا محمد، لا الحكم له لازمة ولا التقييم، ولا بينفعوا في حاجة والنعمة، ومن قبلها موش باستريح للغة يحيى الرخاوي لما بتشبه لغتك دي في حاجات، وبصراحة بقى: حتى لو عنده حق في حاجات. عشان كده أنا ناوي أكتيلك (يعني وليه تقريباً برضه) مقال حاركز فيه على موضوع اللغة، يمكن أوضح لك قصدي، يمكن يكون لينا مخرج بعد ما نزهق من الأحكام والتقييمات، يمكن نقدر فعلاً نعمل حاجة تخلي ربنا ينصرنا على أنفسنا وعلى مآزقنا، وينصرهم على أنفسهم وعلى مآزقهم "في نفس الوقت".

د. محمد أحمد (الرخاوي)

ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله

د. محمد يحيى (الرخاوي)

آمين يا رب العالمين

تعقيب اضطرارى

لم أستطع أن أمنع نفسى من التعقيب:

د. يحيى

"الله يجيبك منك له"

ملحق التعقيب

حتى لو كنت قد نشرت ذلك من قبل، فإن أرسله إليكما لأننى كتبتة وأنى مقارب لسنكما (41 سنة).

لو حتى الليل طال ست شهوْر، والتلج اجمّع فوق قلبى، والطفل اجمّد ما السقعة، والدم اتوقف فى عروقى، والنهر بقى صخر بئلمغ، والوادي بقى صخرا بتلسغ، والبني آدمين بقوا مش هما:

أنا حاعملها...

وحدى؟... وحدى .. وفّ وسط الناس،

والخب حايرجّع من تانى يزرع فى قلوب المرومينذ بذرة حاترعرع من تانى، تطرخ شجرة لها ضل كبير، والبقرة خاتحلّب من تانى، والشمس حاتطلغ يوم تانى، والمطره حتنزل تروينا، والدنيا حتتملى حب ونور،

- إبقى قابلنى!!،

وطلعت أدب، قابلت الدب، سرقت الرد، قتلت الغول...

يا حلاوة الناس،

يا حلاوتى.

ملحق الملحق

عاجبكم كدا يا ولاذ ال..... ،

والله اسمع يا عيل انت وهوه غنيوه كتبتةا للعيال السنة دى

سوف أعيدها عليكما مادامت حضرثنى

وأنتم مش محصلين العيال اللى كتبتةا لهم

"الحياه هى الحياة، أعلى حاه فيها هيا: إنى عايش، وسط ناسنا الطيبين، حتى ناسنا النّس نّس، هما برضه، أحلى ناس: طيبين، ما أنا منهم، يبغي لازم زئهم، حلو خالص، بس انا برضه بلاقينى ساعات كدا نّس نّس، قلت أتعلم ، وابّس:

الحياة الحلوة حلوة، حتى لو مرة وتثأمل شويه، راح تشوف مراتها حلوة، الحياة مش هيصه سايبه منعكشه، الحياة حركة جميلة مدهيشه، بس بتخوف ساعات، لما بنعزى الحاجات..

باترعب من خطوتى الجايّة ، ولكن، باترعب أكثر لو اتى فضلت ساكن.

كل ما بالثاني ماشى: ما بناتكم، أنيسط،

إيدى ماسكه فى إيديكم، بابقى خايف إن واحد ينفرط،

يا حلوا لو تكون الدنيا ديّه، زى ما ربى خلقنا: هيا هيه، تيجى رايح، نحوها، تلقاها جايّه،

الحياة الحلوة تحلى بكننا، إنت وانا،

كل واحد فينا هوا بعضنا، بس مش داخلين فى بعض وهربانين، زى كتلة قش ضايعة فى بحر طين.

كل واحد هوا نفسه،

بس نفسه هيا برضه كلنا،

مالى وعيه بربنا.

.....

يا محمد يا بن أخى: كفاية نفخ شم هارى .

يا محمد يا ابنى: كفاية خوف من كلكم.

ولنا عودة.

السبت 15-03-2008

197- السياسة واللغة الشبابية والتراث الشعبي [من 3]

عُتِبَتْ غالوقت قال لي الوقت: إيه مَالِكُ
عَمَّالْ بتبكي من الأيام، إيه مَالِكُ
إللي جرائك يكون في الأصل إهمالكُ

* * *

عُتِبَتْ عِ الوقت قال لي الوقت: وأنا مالي
أنا كل ما اعطيك تفضي الجيب، وأنا مالي
إعمل لنفسك "قانون" وي بطل إهمالكُ

"وأنا مالي" في الشطر قبل الأخير يعني: أنا أملاً، قرأتها
أعطيك قروضاً، داخلية أو خارجية... إلخ).

هل هذا الموالم يحتاج إلى تعليق؟ متى ابتدعه الوعي الشعبي؟
وهو لم يكن يعرف لا: د.نظيف ولا أحمد عز، ولا د. بطرس غالي؟
متى سُجِّل؟ كيف حفظه الزمن؟ كم من الوزراء يعرفونه؟ وهل
إذا عرفوه سوف يعيدون النظر في أخذ القروض، وتفضية جيوب
خزانة الدولة؟ (لأن جيوب الناس لا تحتاج إلى تفضية!)

القانون الذي توصي به نهاية الموالم ليس هو قانون
الطوارئ، ولا قانون مكافحة الإرهاب، ولا قانون تنظيم
الفضائيات، لأن حقبة تاريخ ظهور الموالم لم تكن بحاجة إلى كل
هذه القوانين.

وبعد

حين قدمت أطروحتي في ندوة اللغة في المجلس الأعلى للثقافة
لجنة الثقافة العلمية، كانت بعنوان "حركة اللغة بين
الشعر والشارع" وكان التساؤل جاهزاً عن علاقة الشعر،
بالشارع، باللغة في تطورها وتدهورها، قد يكون سهلاً أن
نشرح كيف يترك الشعر اللغة فيحييها، ولكن إيش أدخل
الشارع في حركة اللغة، فما بالك بحركة السياسة؟

زادت دهشة حضور الندوة بعد أن بدأت التقديم، وقرأت على
وجوه الحضور قدراً ليس قليلاً من الرفض والحذر وأنا أتكلم عن
الشارع "الآن"، وبالذات عن اللغة الشبابية، وأكاد أذاع
عنها (لاحظ أننا في المجلس الأعلى للثقافة شخصياً)

في تعتعة سابقة قلت إنني تعلمت السياسة من على المضطبة (وليس "المضبطة" كما صححوها لي، الله يسامحهم)، السياسة مثل اللغة، يبدأ حراكها من القهوة، ومن الغرزة، ومن السويقة، ومن الشارع، ومن المدرجات، ومن الملاعب، ومن الطوابير، ومن داخل قطارات الدرجة الثالثة بالذات، السياسة مثل اللغة كائن حي، هي ليست طلبات توصيل المنازل (ديلفري) تأتي ساخنة، ولا هي بناء "سابق التجهيز"، علينا أن نستورد وحداته "على التشطيب" من البنك الدولي أو الكونجرس الأمريكي.

اللغة الشبابية التي يرفضها الصفوة حتى قبل أن يستمعوا إليها، وقبل أن يتأملوا معنى ظهورها، تقابل المثل العامي قديما، وربما تقوم بدوره، تماما مثل هذا الموال الذي بدأنا به التعتعة اليوم، الشعر يحفز حركية اللغة بتشكيل سياق تدب فيه دلالات الألفاظ بشكل جديد، فتحيي الموتى، وتبعث الحياة، الشارع كذلك يخلق اللغة تخليقا، هكذا بدأ الشباب في الشارع بالنسبة للغة، فهل تمتد الموجة السياسة؟

ضبط نفسي متلبسا بوصف موت اللغة في شعر عامي قديم حين قلت

اللفظ مات من ركبته
من لعبة العسكر وطول تحيئته
ظرف رصاص فاضي مصدى في عليته
لما القلم سنه اتقصف
عملته تلبيسه تمكّن مشكته
واهي شخبطة

هي ليست شخبطة تماما هي لغة جديدة، بدأها الشباب، وعلينا أن نفهم مغزى ظهورها إذا كنا نريد أن نحافظ على حيوية لغتنا،

ويبدو أن هذا هو ما أملت فيه من قديم حين قلت في نهاية القصيدة المقدمة:

اللفظ قام رقدته
ربك كريم ينفخ في صورته ومعنيته
يرجع يغني الطير على فروع الشجر ... (إخ "أغوار النفس")

هذا الطير ربما يكون الشاعر، وربما يكون الشارع.

التدهور الذي يلحق باللغة القائمة يتمادى حين تعجز الأجدية القديمة (القائمة) عن استيعاب الحاجات الحاضرة، وحين يتزايد الاغتراب السلبي، ويتفكك المجتمع، وتزيد الشرذمة الإعلامية والكلبائية، فتظهر اللغة الجديدة،

هل ينطبق ذلك على السياسة؟ باليت!!

الشعر - بمعناه الأوسع - نشأ في الشارع قبل أن يكتب أو ينشر أو يلحن، الشعر من أهم معالم الحضارة الشفاهية (أصل اللغة) الملاحم بتاريخها التليد هي وليدة الشارع أيضا (وهي شعر كذلك)، الأساطير - وهي شعر آخر- هي عمق نبض شارع التاريخ بامتدادها الأسطوري، الأمثال العامية، بما فيها من نقد وتعزية وحكمة، هي كاريكاتير مجسم، أو شعر مكثف!

اللغة الشبابية تشير إلى مثل ذلك.

ومن هنا السياسة!!

كيف؟ هذا ما سوف نراه معا لاحقا.

الأحد 16-03-2008

198-الإشراف على العلاج النفسي (4)

(احتمالات التدريب عن بعد)

مقدمة:

عدت أمس من مؤتمر محدود في بلد عربي شقيق، كنت قد أشرت إليه أول أمس في بريد الجمعة، وقد قابلت الكثير من طلبة (بعضهم أو كثير منهم أساتذة ومستشارون في الطب النفسي فضلا عن المعالجين النفسيين وأخصائيي النفس والأسرة والطفل وخلافه)، وقد أتيت لي الفرصة أن أسأل بعضهم عن سبب عزوفهم عن التعقيب على ما أكتب يوميا في هذه النشرة التي وصلت أعضاها إلى مائتين إلا اثنين اليوم، أجابوني إجابات مختلفة، ولم ألق في الاستفسار.

كان من بين ما قدمت في هذا المؤتمر بالاشتراك مع ابنتي د. "منى" (أستاذ مساعد في قصر العيني) هو ورشة عمل عن "دور الأسرة الوقائي والعلاجي في الصحة النفسية، ورشة العمل هي غير جلسات المؤتمر العامة، فمدتها أربعة ساعات، يديرها اثنين إلى أربعة، ومادتها عملية تجريبية تدريبية حوارية، أكثر منها تقديم أوراق أبحاث رقمية أو رص معلومات نظرية.

من بين فقرات هذه الورشة طلبت عددا محدودا (أربعة إلى ستة) من الحضور الذين لم يسمعوها عما يسمى الألعاب النفسية، ولعبنا معهم بالاشتراك معي شخصا ومع د. منى خمس لعبات حاولنا من خلالها أن نكشف عن بعض أبعاد المؤسسة الزوجية بشكل يختلف عن أسلوب النصح والإرشاد والسؤال والجواب، بعد أو بدون الاعتراف المرسل، بعد اللعبة سألني الكثيرون عن كيفية الحصول على فكرة مثل هذه الألعاب وفائدتها العلاجية والتنويرية، وحولتهم إلى نشرات الموقع فكانت دهشتهم، وطلبت بعضهم أن أوصل هذا الذي أسميته "التدريب عن بعد".

وما أعرضه اليوم هو استجابة لبعض ذلك، وهو أيضا مواصلة لما سبق، وإن كنت ما زلت أشك في مواصلة الحوار،

ماذا أفعل؟

محاولاتي السابقة لنشر ما هو "حالات وأحوال" (يومية 6-2008 "تنشيط حركة النمو أثناء العلاج: إلى أين)،
 (يومية "صعوبة الحياذ وضرورته في العلاج النفسي والحياة"
 2008-2-12).، ثم عينة محدودة من الإشراف على العلاج النفسي
 بعرض حالات حقيقية تم مناقشتها في بضع دقائق، كانت تتسم
 بالشرح والتعقيب أولاً بأول على بعض مقاطع العرض أو
 الحوار، وقد استدعى ذلك دهشة الزملاء، بما فيهم من تدرّبوا
 معي في قصر العيني، دهشتهم عن مدى الاستفادة من عرض
 مناقشات الإشراف هكذا، فشرحت لهم كيف أن تعقيباتهم، ونقدم
 هي التي يمكن أن تهديني أن أستمّر أو لا أستمّر، وأيضاً يمكن أن
 تشير على "كيف أستمّر".

ما دامت المسألة هي محاولات مستمرة ، وتجريب متجدد، قلت
 أنشر اليوم حالة من حالات الإشراف بشكل (تجريبي) مختلف، وذلك
 بأن أنشر نص الحوار الذي دار بين المتدرب والمشرّف، دون
 تحوير، إلا ما لزم من بعض الاختصار والتحوير البسيط لأخفى
 حقيقة الأشخاص تماماً حتى يستحيل التعرف على أي منهم،
 وأيضاً بدون تعقيب أولاً بأول كما حدث في الحلقات السابقة
 التي عرضت فيها عينات من الإشراف (يومية 6-2-2008 "
 تنشيط حركة النمو أثناء العلاج: إلى أين)، (يومية "صعوبة
 الحياذ وضرورته في العلاج النفسي والحياة" 2008-2-12).

الحالة

أقول له أم لا أقول ؟!!!

(ملحوظة أساسية سوف تتكرر:

كل الأسماء المعروضة في الحلقة استبدلت بأسماء أخرى،

بما في ذلك أسماء الأطباء - فيما عدا المشرّف،

وأيضاً الوظائف، والعناوين،

دون مساس بالحقائق العلمية،

أو المعلومات الدالة ، شكراً)

د. وائل: هي الأولى من أربع إخوة وأخوات، عندها 27
 سنة، بتجلى بقالها تقريباً شهرين بانتظام كانت مشكلتها
 اللي جاية بيها الأساسية إنها جاية تشتكي إنها مش عارفة
 تتكيف مع جو البيت مش عارفة تتعامل مع باقي أفراد الأسرة

د. يحيى: هي بتشتغل؟

د. وائل: لأ مابتشتغلش، يعني هي اتنقلت من كذا شقة،
 بس حالياً ما بتشتغلش

د. يحيى: كام أخ وكام أخت

د. وائل: 3 غيرها: بنت وولدين غيرها وهي الكبيرة هو
 والدها رجل أعمال هي عربية لكن الأسرة في مصر من زمان

د. يحيى: رجل أعمال فين ؟

- د. وائل: هنا، هو شغله هنا أساسا، لكن له علاقة برضه بیره
 د. يحيى: أنا اللي حولها لك؟
- د. وائل: آه حضرتك حولها لي من شهرين ووصيتني عليها خصوصا إن لها أتنين من أخوتها دخلوا في قصة التعاطي وواحد حالته وصلت لمرحلة صعب، وبيتعالج.
- د. يحيى: إنت بتشوفها بقالك شهرين بتقول مش كده؟
 د. وائل: أيوه شهرين، آه
- د. يحيى: طيب فيه إيه؟ مش هي بتحضر باتظام؟
 د. وائل: أيوه ما مابتفوتش مواعيد، المهم يعني أنا قعدت قى الأول بس أجمع معلومات عشان أفهم
- د. يحيى: طيب ما هو دا طبيعي، ومستعجل على إيه، دول شهرين، المهم، فين بقى السؤال؟
- د. وائل: المشكلة إن البننت دخلت من سنتين ونص بالظبط دخلت في علاقة كاملة مع واحد من الشباب تعرفه، كان في علاقة عاطفية بينهم قبلها
- د. يحيى: طيب وبعدين؟
 د. وائل: وبعد كده هي انفصلت عنه وسابته خالص
- د. يحيى: وبعدين؟
 د. وائل: وهى دلوقتي اتعرفت على ولد تاني واضح إنه ولد كويس من اللي بتحكيه عنه، ومن طبيعة تصرفاته
- د. يحيى: والولد الأولانى؟
 د. وائل: لأ أنا باحكي عن التاني، هي إتعرفت دلوقتي على واحد تاني
- د. يحيى: سابت الأولانى بعد العلاقة الكاملة دي بأد أيه
 د. وائل: بسنه
- د. يحيى: واستمرة العلاقة الكاملة مع الأولانى قد إيه؟
 د. وائل: حوالى سنة ونص
- د. يحيى: سؤالك بقى عن إيه؟
 د. وائل: البننت متقدم لها التاني ده، الولد الكويس، وهى مختارة تعرفه باللى حصل ده ولأ لأ
- د. يحيى: أنا فاكر إحنا ناقشنا الموضوع ده قبل كده، آه، إتعرضنا له أظن في أكثر من حاله
 د. وائل: أيوه

د.جيجي: طيب إيه اللي انت فاكركه منه ، هو مافيش قاعدة عامة طبعا ، لكن نربط المسائل ببعضها .

د . وائل: طبعا

د.جيجي: طيب ، إيه في اللي إحنا ناقشناه يمشى على الست دى؟ وإيه اللي عايز تعرفه جديد؟

د . وائل: أنا فاكركه آه ، فاكركه إحنا قلنا إيه .

د.جيجي: طيب قولنا فاكركه إيه

د . وائل: يعني هو حضرتك وقتها، اللي أنا فاكركه، أصل الكلام دا بقاله أكثر من سنة، حضرتك قلت للدكتور "...". حاول تتقمصها من ناحية، وتتقمص خطيبها يعني إلی حايبقى جوزها من ناحية ثانية، بالدور يعني، وإن الواحد يشوف ممكن يتصرف في الموقف ده ازاي

د.جيجي: طيب: وبعدين؟

د . وائل: أيوه أنا فاكركه إن في الحالة اللي فاتت قلنا لأ ما تقولش

د.جيجي: مش قوى كده، إحنا اتناقشنا وفضلنا إنها ما تقولشي في المرحلة المعينة بتاعتها، كل حالة لها حاجة، وبرضه كل مرحلة، إيه الفرق بين الحالة دى والحالة اللي فاتت، مش قلنا ما فيش تعميم، حصل إيه لك لما قلنا كده زمان؟

د . وائل: انا شخصيا اتخضيت من الموقف، بس قلت هوا ده يمكن الصح، لما جت الحالة دى لقيت نفسي مستصعب إن هي ماتقلهوش، برضه في نفس الوقت يعني مستصعب إنها تقول ، لما سمعت حالة د." ما كنتش جوا الموقف، لكن لما لقيت نفسي مسئول عن مريضة بالذات، فرقت معايا، لقيت نفسي في وسط موقف مشابه، فرقت..

د.جيجي: في الحالة اللي فاتت كان رأيك إلی بصحيح إيه

د . وائل: أنا قلت أنا كنت موافق على رأى حضرتك

د.جيجي: هوا ما كانشى رأى حضرتي قوى، إحنا اتناقشنا ووصلنا للممكن ساعتها

د . وائل: آه

د.جيجي: طيب ، أنا محترم إنك شايف موقفك بأمانة، محترم ملاحظتك إن اللي بيسمع غير اللي بيمارس، وده مهم جدا، إحنا مش بنحفظ ونروح نسمع للعيانين، وأنا ما عنديش مانع نتناقش ونعيد ونزيد مهما اتكررت نفس الحالات، لأن ما فيش حالة زى الثانية، ثم إن الإشراف زى ما اتفقنا بينا ناقش مشاعر ومواقف المعالج المتغيرة طول الوقت، تمام زى ما بينا ناقش مشاعر ومواقف المرضى، أنا متشكر يا وائل إنك خدت بالك من الفرق بين السماع وممارسة الصعوبة من جديد

د. وائل: بصراحة أنا احتشت

د. يحيى: ده جيد، بس خلى باك إنك فى النهاية مش انت اللى حاتحكم عليها إيه اللى تعمله، إنت حاتناقش وتقترح بوضوح، ولازم تحط مرحلة المجتمع بتاعنا فى الاعتبار، مش بس المجتمع العام، لأ مجتمعها الخاص.

د. وائل: يعنى أعمل إيه، وما هو انا جزء من المجتمع ده برضه .

د. يحيى: أيوه ولأه، يعنى لا إنت تمثل المجتمع، ولا هى، ولا عيلتها، إحنا جزء من المجتمع صحيح، بس كل واحد له دوره المختلف.

د. وائل: طيب، بس يعنى

د. يحيى: شوف يا وائل الرجالة بصفة عامة فى مجتمعنا وصلوا خد فىن، لما يكون الرجاله هفأ ، والمجتمع أى كلام، تاخذ بالك من كل ده، مش معنى كده أنا باعمم ، أنا صحيح باستهيف الرجالة اليومين دول، وبرضه مش واثق فى نضج المجتمع، بس ده مش معناه إن الكل كده، خلى بالك المسألة مش مسألة تحضّر وحرية وكلام من ده، المسألة مسألة احترام وتعلم وكبران، من أيام "من كان منكم بلا خطيئة"،

د. وائل: يعنى إيه؟ أنا حاسس إن شعورها بالذنب ورا رغبتها إنها تقول له .

د. يحيى: إوعى تتظمن لحكاية الشعور بالذنب دى، دا انا كتبت فيها كثير، أنا شرحت ازاي إن فى الغالب إالى بيشعر بالذنب زيادة عن اللزوم هو اللى ما بيتعلمش، وده برضه مالوش دعوة بالتوبة أو بالاستغفار، التوبة هى إعلان التعلم، مش عقاب النفس زى ما بيحصل مع الشعور بالذنب.

د. وائل: طيب ونفّرّق ازاي؟

د. يحيى: المفروض ده متروك ليك إنت وخبرتك ولدى معرفتك بالبنّت وباللى حواليتها، وباللى حايقتدم لها، ثم إن شهرين مش كفاية، لازم تاخذ وقتك خد ما تقدر توزن الوضع، مش معنى كده إنك تقعد محتار وتدعى الخياد، لأ، إنت تبدأ بمسئوليتك وإحساسك وخبرتك، وتشوف لو انت أبوها، أخوها، هيا ، تشوف حاتعمل إيه دلوقتي وبعيدن، وما تفرضشى إالى شففته فى نفسك عليها، مهما تصورت إنك صح، إالى انا بقول لك عليه أهميته مش إنك تفهم نفسك وبس، هوه مهم إنك تعرف احتمال تداخل موقفك الشخصى مع دورك العلاجى، حاتعرفه من خلال أمانتك دى، يقوم ببقى حكمك أقرب للموضوعية، إنت بتشوف نفسك فيها ومعها ومعاه، مش عشان تحكم عليها أو عليه باللى ينفع لك انت، لأ، دا عشان تقرب من الموضوعية، وتبعد عن الأحكام المطلقة سواء من الناحية الأخلاقية أو من الناحية الاجتماعية أو حتى الدينية، إنت طيب تساعد الناس إنهم يبقوا سلام عشان يحكموا بأنفسهم ويتحملوا مسئولية حكمهم

زى ما انت بتتحمل مسئولية حكمك، المسألة مش مسألة حياذ، إنت بتعلن رأيك مش بتخبيه، وبس، أنا مثلا رأي المبدئى هوا إنها ما تقولشى، لازم اعترف بده لنفسى ابتداء، باقول كده لأنى عارف الرجالة، أنا بقولك نقطة البداية عندى مش نقطة النهاية، باقولك الأصل، لكن ده مجرد اعتراف بالاحتمال الأرجح عندى ، وليا شروط إنها ما تقولشى، لو وصلنى إنها اتعلمت بصحيح، اتعلمت قوى، واتوجعت قوى لدرجة إنها اتغيرت فعلا، يبقى للأغلب باعتبار بينى وبين نفسى إن مش هى اللى غلطت الغلط ده، دى اللى كانتها، كأنها لما تتعلم بصحيح تبقى واحدة تانية، يبقى هى لما بتخى مش بتكذب أو بتضحك عليه ، يمكن تخبيتها دى تكون نوع من التقدير لضعف الرجل عموما، أو ضعف الشخص ده بالذات، وده مش عيب، وأيضا يمكن تخبيتها تكون برضه حسن فهم للى وصل إليه المجتمع اليومين دول، المجتمع بتاعنا عمال يتدهور بسرعة فظيعة جداً فى هذه المناطق بالذات، أظن إن الممارسات دى زادت، وفى نفس الوقت الادعاء زاد، والشهامة تراجعت، وأيضا السماح ما عدشى فيه سماح من غير لى دراع.

د. وائل: يعنى إيه

د. يحيى: الرجالة ساعات تقولك آه آه وبتاع ومش عارف إيه ومسامح وما يجراش حاجة، سنة اتنين تلاثة، أكثر أقل، بعد كده الرجل من دول يتهز أى هزة، هب الحريقة تولع، وهات يا: " إنتى مش فاكرا كنتى كذا كذا، يالى انت كيت وكيت، وحاجات فظيعة عمرها ما كانت باينة عليه فى الأول، ده ساعات بيحصل بعد 30 سنة وساعات أكثر، أنا شفت مصايب من دى كتير، يقعد الواحد من دول يقول لنفسه أنا راجل جدع وبتاع وعامل نفسه شهم وفهمان ، وبعدين ييجى عند سن مثلاً 55 أو حتى 80 يقول بقى مش إنتى بقى اللى مش عارف إيه!! انا كمعالج لما اعرف إن موقفى كده من خلال خيرتى، أعلنه لنفسى أولاً، واقول إن الأرجح إنها ماتقلوش ، آجى بقى بالنسبة للبنات دى بالذات، المسألة تتوقف عليها، ومدى قدرتها على احتواء التغيير، والمسئولية الجديدة، وده متروك لك ولها، إذا كانت البنات يعنى واثقة من نفسها فعلا (مش بس بتقول أنا واثقة) ، وكانت قادرة تحط الخطأ فى مكانه ، وتتحمل مسئولية اللى حصل، ومسئولية إنها تخى ده، مش تكذب، وتقول ما هو ربنا عارف كل حاجة ومش محتاج قوالة، ، إذا كان الأمر كذلك، فهى حاتوصل لقرار سليم برضه من خلال وضوح موقفك إالى حايوصلها غصين عناك، يعنى لو انت شخصيا من غير ما تعرف حكمت عليها حكم نهائى إما بسوء الخلق زمان، أو بالكذب دلوقتى، فده حايوصلها بشكل أو بآخر.

د. وائل: يعنى موقفى أنا شخصيا حا يآثر عليها؟

د. يحيى: طبعا من غير ما تقوله، ثم خلى بالك: فيه حاجة تانية مهمة، ساعات قولانها ده ما يكونشى مجرد تجنّب الكذب، أو نتيجة للشعور بالذنب، ده ساعات يكون نوع من إيذاء

النفس، وتشويهه لصورتها ، قال يعنى بتعاقب نفسها بكده، ثم إنها برضه يمكن تطلب منه ثمن اعترافها ده بشكل خفى من غير ما تاخذ بالها، وكلام من ده .

د. وائل: بس انا حاسس إنها عايضة تقول له، إيه موقى أنا؟

د. يحيى: ما هو انت مش حا توافق ولا حاتعترض بشكل مباشر، إحنا بنقلب فى المسائل.

ثم فيه حاجة غير ده كله: يمكن هي عايضة تقول له عشان تختبره، يعنى تروح رامية الكرة عنده، يقوم بيان إن كان حايستحمل ولا لأ، وحتى لو استحمل سنين، يمكن يسقط فى أول امتحان بعد كده، يسقط ويتفقس من حاجة بسيطة، خناقة، اختلاف رأى، رز شاط، يروح قالب الدنيا زفت، يعنى مش ضرورى تحصل حاجة كبيرة عشان بيان اللي جواه، مش ضرورى بعد الجواز يشك مثلا إنها حاتعمل علاقة، مش ضرورى يخاف على بنته لتتطلع لامها، كل دي حاجات كبيرة سخيطة وقبيحة، باقولك حتى لو المسائل ما وصلتشى كده قوى، ما حدش يقدر يحسبها بالقلم والورقة، إنه وافق أو ما وافقشى، إنه سامح أو ما سامعشى، إحنا ما نقدرشى نلزم إالى جواه بموافقتة أو سحاحه، الحاجات دي أنا شفتها فى عيادتي ، حاجات بسيطة خالص، خناقة مع اخته يروح فايع فى مراته يقولها دي ستك، وهو عينه أو لاشغوره بيشارورا على حاجة ثانية، أتأخرت مثلا عن النزول عشان تركب العربية معاه، تروح العاصفة قايسة، مجتمعنا ضعيف جداً، عشان كده أنا بابتدى بالأرجح عندي ، إنها ماتقلهوش كده بمعية وكأنها عملت إالى عليها ومسحت ذنبيها وهو حر، هي مسئولة عن اللي حصل، زى ما هي مسئولة عن قرارها دلوقتى، وهي لو اكتسبت خبرة حقيقية من كل ده، ومن العلاج، حاتبقى قوية وواثقة، وحاتعرف مين د اللي حاتقوله، وهو يستاهلها ولا لأه .

الحكاية محتاجة وقت ومحتاجه وعى منك أنت زى منها تمام، لو انت رايح تتجوز واحدة فى الظروف دي، حاتفضل إيه؟ حا تفضل إنها تقول لك طبعاً، وبعد ما تقولك حاتكذب على نفسك وتقول ساعت، ولا فيه احتمال إن حاجة حا تحصل جواك ما انتش عارفها؟

مرة ثانية إنت مش مقياس، بس ده يساعدك على نوع من العدل ولو بنسبة بسيطة، وأيضاً على احترام ضعف البني آدمين، المسألة عايضة شغل شريف فى كل اتجاه، مع كل الأطراف وربنا يستر،

د. وائل: ربنا يسهل

د. يحيى: فيه حاجة بايخة أنا أحب أقولها فى الآخر، هي يمكن تكون مخرجة لكم شوية، بس ده علم، احنا هنا بنتعلم، هوا الجدع الأولانى ده كان إيه بالنسبة لها، كان بيغذى أى حنة فيها، لازم برضه تخترم ده مهما كانت فاقت وسابته، الحنة دي خلقة ربنا برضه، إيه اللي خلاها تقعد معاه المدة دي كلها؟

مش يمكن هي عايز تعترف للجدع الجديد ده عشان يمشى، عشان مش لاقية اختة دى فيه، أنا متأسف إنما احترام النفس الإنسانية لازم يكون ما لوش حدود، وإلا ما نبقاش دكاترة، العلاقة اللى تقعد سنين ما هياش لعب عيال، لازم بتغذى حاجة، لازم تدور عن بقايا الخبرة الأولى وتحترمها وانت بترفض الغلط، الخبرة ما بتتناسشى بس بالغلط والصح، الخبرة خبرة، والنمو نمو، أنا آسف، المسائل صعبة عليك يا وائل فى الأول إنما إنت كمان بتكبر، بنكر سوا، إمال عاملين الإشراف ده ليه. خلى بالك الخبرة إالى فيها تجديد اختيار حاجة ثانية، عشان كده الجواز إالى هوا جواز بصحيح وايز ينجح يستحسن يكون فيه تجديد اختيار من نوع تانى، وإلا يا إما يفشل يا إما يتقلب كذب وتلصيم، البنى آدم بنى آدم زى ربنا ما خلقه، والمسألة صعبة مجد، واحنا اعرضنا بمهنتنا دى لخدمة البنى آدم كله على بعضه، ولا إيه!! وربنا يقدرنا.

د. وائل: طيب وحكاية اخوها واخوها التانى وإنهم عندهم حاجات هما رخرين

د. يحيى: آه، عليك نور، دى حاجة مهمة جدا برضه، مش المسألة إنها عيلة سايبة وطلع منها كل الأخطاء دى، لأ،، إنت لازم تاخذ بالك إن فيه برامج جاهزة فى تركيبة العيلة دى، لازم نوفر لها الظروف إالى تستوعبها صح، وإلا خد عندك، أنا باسمى الاستعداد الوراثى "برامج"، والبرنامج هنا مش استعداد للبوظان، ولا للمرض، هو استعداد وخلص، استعداد بينبهننا إن مع العيلة دى لازم نبذل جهد أكثر، ونحسبها حسابات أصعب، المسألة مش ده وحش وده كويس، المسألة نبتدى من جديد ازاي

د. وائل: بس حضرتك بتصعبها علينا كده

د. يحيى: الله!! مش انت اللى بتقدم الحالة، مش انت اللى بتسأل، ثم خلى بالك أنا ما ردتشى على سؤالك

د. وائل: آه صحيح، بس انا عرفت

د. يحيى: أنا أشكرك

د. وائل: شكراً يادكتور يحيى

وبعد

هذه الحالة التى نشرت دون تعقيبات ملاحقة بين الفقرات كما فعلت سابقا (يومية عن العلاج النفسى وطبيعة الإشراف عليه" 2008-2-5)، (يومية 2008-2-6 "تنشيط حركية النمو أثناء العلاج: إلى أين)، (يومية "ضعوبة الخباد وضرورته فى العلاج النفسى والحياة" 2008-2-12). تثير قضايا تحتاج إلى مناقشة، وأعتقد أنه يمكن العودة إلى التعقيب عليها فقرة فقرة إذا ما وصلتني استفسارات أو اعراضات مناسبة، أو نقد يحتاج فتح ملفها من جديد، كما فعل الإبن د. جمال ترك (يومية "مداخلات مضيئة، تتجاوز الحوار" مع د. جمال التركي" 2008-2-3)

ثم إنى أنتظر من القارئ أو الزائر أن يرشدنى إلى الأفضل ، هل هذا العرض دون تدخل شارح، هل هو هكذا يوصل رسالة تدريب أفضل مع الوعد بالشرح المناسب والرد بعد التعقيبات، أم أن الأفضل أن نشرح أولاً بأول ما يثيره مثل هذا الحوار، بالطريقة السابقة؟ (يومية 2008-2-6 "تنشيط حركية النمو أثناء العلاج: إلى أين)، (يومية "صعوبة الخباد وضرورته في العلاج النفسى والحياة" 2008-2-12).

وإلى لقاء فى حلقة إشراف لاحق

الإثنيـــــن 17-03-2008

199- ســـــرا اللبـــــة: لـــــبـــــة جـــــديـــــدة

أنا خايف اتغَيّر، لِحْسُنْ... !!

مقدمة:

هل أحدٌ يتغير؟

وهل أحدٌ يمكن إلا أن يتغير؟

يتغير إلى ماذا؟ إلى من؟ كيف؟ لماذا؟

وهل التغير ميزة أم عيب؟

وإذا صح أنه "يحيا الثبات على المبدأ" (وهو عندي غير صحيح) فهل يصح أنه : يحيا الثبات على ما هو "أنا"؟ أو على ما أعتقد أنه "أنا"؟

الغريب أن معظم الناس يزعمون أنهم قادرون على التغير وراغبون فيه، مع أنهم في واقع الأمر مرعوبون من التغير، مقاومون له طول الوقت.

المفهوم الشائع عن ما يسمى "تحقيق الذات" أو "إثبات الذات"، مثله مثل الفخر بالشخصية القوية، (أو تصوّر ذلك) مقابل إهمال الشخصية الحقيقية دائمة التحول، كل هذا يمكن أن يكون وراء هذه المقاومة للتغير.

على الجانب الآخر توجد الخدعة وراء تصور التغير بمجرد إعلان نية التغير، التغير بحسن النية دون أي فعل حقيقي هو أسخف وأكثر تعطيلا من الاعتراف بعدم التغير.

هذه اللعبة اليوم تتناول هذه القضية - كالعادة - بشكل غير مباشر.

دعونا نأمل أن تجيب عن بعض هذه الأسئلة،

و أن تثير ما تيسر من تساؤلات،

ربما نهتدي من خلال هذا أو ذاك، أو كليهما، إلى بعض الحقائق وبعض الاحتمالات

هذه هي ألعاب اليوم:

يمكن أن تبدأ بها، أو تنتهي بها،

ترسلها، أو لا ترسلها،

ولا تحف!

اللعبة الأولى: أنا خائف اتغير... لحسن.....

اللعبة الثانية: أنا لو فضلت زى ما انا كده على طول .. يمكن.....

اللعبة الثالثة: أنا لابد اتغير ... علشان.....

اللعبة الرابعة: أنا علشان اتغير لازم أحسبها ميت مرة.... وإلا.....

لعبة إضافية: أنا علشان اتغير لازم أحسبها شوية يمكن....

اللعبة الخامسة: أنا لو عرفت لما اتغير حابقى إيه أو حاروح فين كنت.....

اللعبة السادسة: أنا مستحيل أقبل انى اتغير ... إلا لو

اللعبة السابعة: أنا لو حاتغير لازم أعمل حسابى إفى.....

اللعبة الثامنة: الظاهر أنا باتغير غصب عنى، إنما.....

اللعبة التاسعة: أنا حتى لو عرفت حاتغير أبقى إيه فأنا.....

اللعبة العاشرة: أنا أتغير بتاع إيه !! مش الأول.....

ضيوف اليوم هم:

الاستاذ خالد : صحفى.

الاستاذ شريف: صحفى

والاستاذ إيهاب: مدرب الناقلين

والاستاذ عمرو: مدرب الناقلين

الاستاذ عمارة: ??? وشاعر

بالإضافة إلى د. يحيى

اللعبة الأولى: أنا خائف اتغير..... لحسن.....

أ.عمرو: يا أستاذ خالد أنا خائف اتغير..... حسن يبقى
دمى ثقيل

أ.خالد: يا أستاذ عمارة أنا خائف اتغير..... حسن
أخسر الآخرين

ا.عمارة: يا أستاذ شريف أنا خائف اتغير... حسن
التغيير يكون له مردود عكسي عليا وعلى الآخرين

أ.شريف: يا إيهاب أنا خائف اتغير..... حسن الناس
تفسر التغيير ده بتفسير خاطئ

أ.إيهاب: يا دكتور يجي أنا خائف اتغير..... حسن أبقى
وحش

د.جيمى: عزيزى المشاهد أنا خائف اتغير..... حسن
ماتعرفش على نفسى

المناقشة (الآن) :

بهذه المباشرة، أقر الجميع خوفهم من التغيير، وكما
اعتدنا أن هذه الألعاب تقول شيئاً آخر غير السؤال والجواب،
نلاحظ أن معظم الاستجابات كانت تبين "أن اللي أعرفه (انا)
أحسن من اللي ما تاعرفوش"، و "أن "الطيب احسن" : ثلاث
استجابات خافت من رأى الناس أو حكم الناس، أو عملت
حساب الناس، أ. خالد: "أخسر الآخرين"، شريف: **حسن الناس
تفسر التغيير غلط، عمارة : مردود عكسي عليا وعلى الآخرين،**
وحتى إيهاب وهو يخاف أن "يبقى وحش" لا يمكن استبعاد أن هذه
الوحاشة هي من وجهة نظر الآخرين مثلما في نظره، كذلك أن
يكون "عمرو" دمه ثقيل، يمكن أن يكون أساساً على قلوب
الآخرين، أما د. جيمى فجاء تركيزه على خوفه من أن يفقد
صورته عن نفسه، "**حسن ماتعرفشى على نفسى**" وليس ابتداء
صورته عند الآخرين.

في المناقشة بعد اللعبة

عقب عمرو قائلا: "حسيت إن المفروض إن ده يحصل لى، حسيت
.. إن أنا لازم اتغير علشان نفسى مش أتردد علشان خاطر
قلقت من الناس، عمارة قال أنه "كان عليه أن يكتشف خوفه
من التغير من قديم" أ.خالد: أكد على خوفه من التغيير "**هي
المسألة إن أنا خايف من التغير، التغيير مرتبط بالخوف،
بيبدأ بالخوف هو ده اللي أنا لاحظته**".

د.جيمى عقب على ما قاله في اللعبة كما يلي "**.. أنا
لاحظت ان كل حياتى مبنية على التغير والتغير والتطور
وباطالب بيه الآخرين، ولما تيجي عندى الظاهر تبقى الحكاية
صعبة. فيه صعوبة صعوبة، حتى لو الواحد ادعى غير ذلك،
أظن، الله أعلم**"

يبدو أن الاعتراف بالصعوبة، والخوف والتردد، هو البداية الأفضل لاحتمال التغيير، بديلاً عن إعلان النوايا، أو زعم التغيير من حيث المبدأ دون تغيير.

اللعبة الثانية: أنا لو فضلت زى ما أنا كده على طول.. يمكن....

أ.شريف: يا أستاذ عمارة أنا لو فضلت زى ما أنا كده على طول.. يمكن ماقدرش أتكيف مع اللي حوائى

أ.عمارة: يا أستاذ إيهاب أنا لو فضلت زى ما أنا كده على طول.. يمكن الحياة تكون ملة يعنى يكون فيها حاجة أنا ما احبهاش

أ.إيهاب: يا أستاذ خالد أنا لو فضلت زى ما أنا كده على طول.. يمكن ماقدرش أعيش

أ.خالد: يا أستاذ عمرو أنا لو فضلت زى ما أنا كده على طول.. يمكن أتأخر كتير ويمكن أموت

أ.عمرو: يا دكتور مجيى أنا لو فضلت زى ما أنا كده على طول.. يمكن أسبب تعاسة للناس حوائى.

د.مجيى: عزيزى المشاهد أنا لو فضلت زى ما أنا كده على طول.. يمكن استمر فى عمل حاجات اللي باعملها بس مش ضامن تكون صح ولا غلط

المناقشة (الآن) :

بالرغم من الخوف من التغيير الذى أجمع عليه اللاعبون فى اللعبة الأولى، فقد أظهرت هذه اللعبة رفض عدم التغيير، رفض أن يستمر الحال على ما هو عليه، فى المناقشة بعد اللعبة قال أ.عمارة:.. "مهودى ما باحبش ترسيخه، والتغير بالنسبة ليا مهم جدا حتى على مستوى الحياة اليومية العادية، مهم لى خالص أن أنا أكون غير تقليدى" أ.شريف أقر انه : "صعب جداً على الإنسان إن هو يبقى على طول على وتيرة واحدة أكيد بتحصل تغيرات فى حياة سواء كانت إراديه أو غير إراديه، بس السؤال هى رايحة على فى؟ أ.عمرو قال : "مش عارف أنا أول ماقلت الجملة دى (أسبب تعاسة للناس حوائى) حسيت إن أنا ركزت شوية على الجزء اللي مش كويس فىها أو الجزء اللي مش حلو فىها، وحين اقترح عليه د. مجيى أن بعيد، أعاد قائلًا أ.عمرو: أنا لو فضلت زى ما أنا كده على طول يمكن أقدر أساعد حد، وكأنه عاد يطمئن نفسه إلى أنه حتى لو كان فيه ما لا يقبله، ومن ثم يحتاج إلى تغيير ما، فإن الموجود لديه من خير أو فاعلية طيبة للناس يمكن أن يكون فيه ما يبرر استمراره، خالد: أعلن خوفه من السكون الجمود الذى يعنى التدهور، وربما الموت. أما أ.إيهاب: فقد أعلن أن خوفه من التغيير هو خوف من الجهول: "خوف من التغير أنا مش عارف"

حا ابقى عامل أزاي، الخوف من مجهولية الحاجة اللى ماتتغير فى نفسى" أ.خالد: أفر مثل ذلك بطريقته الخاصة حين عبر فى المناقشة بعد اللعبة عن الجهول بقوله "....وانت بتفكر فى التغيير بتلاقى نفسك وسط مساحة واسعة....، فاتبص حواليك تلقى مش حاتقدر تجاوب على قد الشوف، فإذا قارنا تعقيبته باستجابته أثناء اللعبة "تأخر كثير يمكن أموت" لأمكن تقدير موقفه الواعى، وفى نفس الوقت الحيزر.." د. يحيى خاف من أن يكرر ما عمله، وهو ليس على يقين من صحته، وكأن التغيير قد يعطيه فرصة تقييم ما يفعل.

اللعبة الثالثة: أنا لابد اتغير... علشان.....

أ.إيهاب: يا خالد أنا لابد اتغير... علشان أساعد نفسى
 أ.خالد: يا أستاذ عمرو أنا لابد اتغير... علشان ماينفعش كده، ماينفعش أفضل كده
 أ.عمرو: يا شريف أنا لابد اتغير... علشان أحس بالرضا عنى
 أ.شريف: يا دكتور يحيى أنا لابد اتغير... علشان أغذى طموحى فى انى أكون أحسن
 د.يحيى: يا أستاذ عمارة أنا لابد اتغير... علشان كده ما ينفعش
 أ.عمارة: عزيزى المشاهد أنا لابد اتغير... علشان الحياة تكون ممتعة ويكون ليا قيمى فيها... لأن الرقود سلى وأنا ضد ده
المناقشة (الآن) :

نلاحظ أن التدرج فى الألعاب حتى الآن جعل المشاركين يكتشفون الجوانب التى تعتبر لأول وهلة متناقضة، وهى ليست كذلك بالضرورة، فقد ظهر أن الخوف من التغيير ليس بالضرورة مانعا له، ولا هو إقرار بسلامة الموجود وحسنه، أ.شريف لاحظ هذا الاستدراج حين انتقلت المسألة من قبول الأمر الواقع خوفا من التغيير (اللعبة الأولى) إلى تعرية هذا القبول ورفضه (اللعبة الثانية) إلى حتمية التغيير (هنا) مع اختلاف الأسباب. يقول شريف "أنا حسيت فى اللعبة الثالثة دى بقى..، حسيت دلوقتى إن احنا انتقلنا من مفهوم التغير والخوف منه، إلى ضرورة التغيير، حسيت من الإجابات إن احنا وصلنا لمرحلة إن التغيير دا ضرورى فعلا فى حياتنا. فيعقب د. يحيى قائلا : هو من ضمن الحاجات اللى مفرحان فى المحاولة دى إن هى لعبة بصحيح إنما بتتقلب مجد، بس على الله ماتتقلبش غم .

ومع ذلك فقد بدت أغلب الإجابات فى اتجاه تحقيق حلم أو أمنية أو راحة ما أ.عمرو:.. علشان أحس بالرضا عنى
 أ.شريف: علشان أغذى طموحى فى إنى أكون أحسن .إيهاب:..
 علشان أساعد نفسى، أ.عمارة: علشان الحياة تكون ممتعة
 ويكون ليا قيمتى فيها... ، أما

أ.خالد: و د. يحيى، فقد أقرأ أن التغيير ضرورة رفضا لاستمرار الوضع الخال الذي لم يؤد ما كان ينتظر منه أ. خالد ... **علشان ماينفعش كده ماينفعش أفضل كده** ، و د. يحيى: ... **علشان كده ماينفعش**. يبدو أن ثم فرقا هاما بين التغيير لتحقيق حلم آميل، والتغيير لأن الموجود استفد أغراضه .

اللعبة الرابعة: أنا علشان اتغير لازم أحسبها ميت مرة.... وإلا.....

أ.عمرو: يا شريف أنا علشان اتغير لازم أحسبها ميت مرة.... **وإلا مش حاضن العواقب بتاعتها**

أ.شريف: يا أستاذ خالد أنا علشان اتغير لازم أحسبها ميت مرة.... **وإلا ممكن أرجع أسوأ من الاول وأفقد حاجات كثير**

أ.خالد: يا أستاذ عمارة أنا علشان اتغير لازم أحسبها ميت مرة.... **وإلا ممكن أضر ناس كثير باحبهم**

أ.عمارة: يا أستاذ إيهاب أنا علشان اتغير لازم أحسبها ميت مرة.... **وإلا الخسارة ممكن تكون كبيرة جدا جدا**

أ.إيهاب: يا دكتور يحيى أنا علشان اتغير لازم أحسبها ميت مرة.... **وإلا حاتوه أكثر ما أنا تايه**

د.يحيى: عزيزي المشاهد أنا علشان اتغير لازم أحسبها ميت مرة.... **وإلا حاروح في ستين داهية**

المناقشة (الآن) :

يبدو أن هذه اللعبة فرضت على المشاركين أن يبالغوا في النظر في حسابات التغيير وعواقبه (ميت مرة)، فإذا كان التغيير ضرورة تصل إلى درجة "الختم: **أنا لا بد اتغير**"، وفي نفس الوقت كان خوف منه واقع قد يمنعه نهائيا، فإن هذه اللعبة الرابعة تعرض حلا صعبا، وهو أن تكون الحسابات الدقيقة قادرة على تجنب مضاعفات التغيير، أو على الأقل على التخفيف منها. لكن هذه الحسابات إذا زادت جدا كما عبرت عنها اللعبة بـ "ميت مرة"، فإنها قد ترجح جانب الخوف حتى يصل إلى درجة التعطيل الكامل، يقول أ.عمارة في تعقيبه بعد اللعب : **أنا حسيت من اللعبة دي إن تغييرى مهم إنّه يكون محسوب، وإن هذا التغيير لو لم يتم حسبته بشكل صح ممكن يؤدى إلى كوارث بالفعل، ودى لعبة المشاهد نفسه حايستفيد منها أكثر من أى حد تانى**" نلاحظ هنا كيف أن أ.عمارة لم يكتف بان يكتفى في حساباته، بل إنه يكاد يوصى الناس أن يفعلوا مثله، ربما تهربا لتراجعه، هذا أيضا هو ما أقره شريف بشكل آخر مشيرا إلى قدر من الحسابات لو تأملنا ألفاظه وهو يشير

إليها لاقتربنا من ترجيح احتمال أنه تحول فعلا بعيدا عن التغيير مهما أعلن ضرورته، يقول شريف (بعد اللعبة) :
"...أنا ممكن أكون من جوايا راضي عن نفسي جدا في المرحلة الحالية، لكن برضه في فترة من الفترات أنا محتاج الى التغيير، بس لازم أعرف كويس أوى : أنا لما اتغير ح اتغير ليه وعلشان إيه وياترى التغيير ده في الآخر هايبقى في مصلحتي ولا ضدى: إن إقراره بالرضا عن نفسه جدا، مع فرحته بالسماح بالحسابات الدقيقة جدا هكذا، هو بمثابة انتهاز فرصة باب فتح الحسابات للضمان المسبق حتى يظل هذا الرضا جدا عن نفسه قائما من داخله، فتمر عليه رغبة التغيير كل فترة، ثم تؤجل بالحسابات وهكذا. د. يحيى أعلنها صريحة أنه إن لم يحسبها فسوف يذهب في ستين داهية، وكأن الحسابات المائة (ميت مرة) يمكن أن تحميه بقدر أكبر أربعين نقطة!! من الدواهي الستين، وإلا فهي المغامرة الخطيرة بما لا يطيق.

لاحظ خالد في نهاية المناقشة أن ألفاظ اللعبة ، وبالذات حكاية **"ميت مرة"** قد أوحى بمخاوف أكثر من الواقع فاقترح لعبة أخرى تخفف من وطأة ذلك (وهذا مسموح به كما ذكرنا في لعبة الحق في الفرحة) اقترح أن يجعل الحسابات **"شوية"** بدلا من **"ميت مرة"**، وصاغ لعبة إضافية هكذا :

أ.خالد: أنا أكتشفت حاجة واحنا بنتكلم بخصوص السؤال ده، **مش لازم أقول أحسبها ميت مرة** أنا حاسس إن من **الافضل إن السؤال يبقى لازم أحسبها شوية** .

وافق د يحيى على الاقتراح على الفور، فجاءت الاستجابات على الوجه التالي:

أ.خالد: يا إيهاب أنا علشان اتغير لازم أحسبها شوية **يمكن اتغير**

أ.إيهاب: يا أستاذ عمارة أنا علشان اتغير لازم أحسبها شوية **يمكن أنا مش عامل اعتبارات لحاجات أنا مش شايفها**

أ.عمارة: يا أستاذ شريف أنا علشان اتغير لازم أحسبها شوية **يمكن التغيير يفيد**

أ.شريف: يا أستاذ عمرو أنا علشان اتغير لازم أحسبها شوية **يمكن أكسب احترام الناس أكثر، وقبلهم احترام نفسي**

أ.عمرو: يا دكتور يحيى أنا علشان اتغير لازم أحسبها شوية **يمكن أعيش مبسوط**

د.يحيى: عزيزى المشاهد أنا علشان اتغير لازم أحسبها شوية **يمكن لو حسبتها أكثر لا حاتغير ولا هاتنيل**

علق شريف على الفرق قائلا : كده حصل يعنى فيه كاششان ، بعد ما كانت مية في المية قصدى ميت مرة (تخوف). لكن لو حسبتها **"شوية"** برضة تلاقى فيه سنة تردد جؤانا إن مش ممكن نتغير حالا، مش لازم نتغير دلوقتى. عقب د. يحيى على إضافة

هذه اللعبة من واقع الممارسة، قائلًا: د. يحيى: هو أنا الحقيقة استفدت لما أستاذ خالد اقترح حكاية "شوية" دى، انتبهت حقيقة غريبة جدا هو إن مافيش تغيير لو الحسابات كترت قوى، يبدو إن كل ما زدنا عدد الحسابات كل ما قلت فرصة التغيير، مافيش تغيير من غير مخاطر، المخاطرة تعنى إن لازم يبقى فيه احتمال خلل فى الحسابات. لما اشرطنا إن الحسابات تكون "ميت مرة" راحت سادّه الباب فى وشنا ، أنا شايف إن النقلة دى الفضل فيها للاستاذ خالد

اللعبة الخامسة: أنا لو عرفت لما اتغير حابقى إيه أو حاروح فين كنت...

أ.شريف: يا إيهاب أنا لو عرفت لما اتغير حابقى إيه أو حاروح فين كنت برضه أستنيت شوية

أ.إيهاب: يا خالد أنا لو عرفت لما اتغير حابقى إيه أو حاروح فين كنت اتغيرت فوراً

أ.خالد: يا عمرو أنا لو عرفت لما اتغير حابقى إيه أو حاروح فين كنت دُست على الزرار فوراً

أ.عمرو: يا أستاذ عمارة أنا لو عرفت لما اتغير حابقى إيه أو حاروح فين كنت أفضل أبقى زى ما انا دلوقتى

أ.عمارة: يا دكتور يحيى أنا لو عرفت لما اتغير حابقى إيه أو حاروح فين كنت خططت لده من زمان

د.يحيى: عزيزى المشاهد أنا لو عرفت لما اتغير حابقى إيه أو حاروح فين كنت ما اعتريتش ده تغيير خالص

المناقشة (الآن) :

نلاحظ أن هذه اللعبة كشفت بقدر مناسب أن التغيير المحسوب جدا، والمعروف مسبقا، ليس تغييرا أصلا، بالمعنى الذى تحاول اللعبة أن تكشف عن طبيعته أو حقيقته،

إيهاب يقرر أنه لو عرف إلى أين سوف يذهب به التغيير، فهو يفضل أن ينتظر قليلا (بصراحة ربما يمتد "قليلا" هذا إلى ما لا نهاية، السلامة أولا)، إيهاب يقرر ببساطة أنه سوف يتغير فوراً، الأمر الذى عبر عنه خالد بالضغط على الزرار فوراً أيضاً، لكن خالد يعقب فى المناقشة، أنه اكتشف من خلال استجابات اللعبة، واستجابته بوجه خاص أن **ذلك يصبح انتقالا وليس تغييرا**، (أنظر بعد فى المناقشة رأى خالد)

عمرو يقرر بأمانة أنه لو عرف مسبقا فسيبقى كما هو ويختار ألا يتغير، ربما أنه بعكس خالد وإيهاب رأى أن التغيير الحقيقى هو إما إلى أسوأ، أو إلى مجهول يعترف أنه لا يريد أن

يغامر بارتياحه، أما أ. عمارة فهو يقرر أنه لو عرف خسبها بالتخطيط المناسب قبل المغامرة بـ مدة طويلة "كنت خطت له من زمان"، وهو بذلك يكاد يجعله أقرب للانتقال فعلا. د. يحيى الذى سوف يكشف أوراق ما وراء اللعبة فى المناقشة، يقر ويعترف أن هذا الشرط - بالنسبة إليه ابتداء - بلغى فكرة التغيير من أصلها د. يحيى : " كنت ما اعتبرتش ده تغيير خالص"

هذا الفرق بين "الانتقال" (بالمعنى الذى اكتشفه أغلب اللاعبين) وبين "التغيير" بالمعنى الذى تحاول اللعبة كشف ضرورته ومخاطره فى آن واحد، يمكن أن يُظهر كيف أن التغيير الذى يتصوره أغلبنا، وهو يتقن حساباته حتى يعرف تفاصيله مسبقا ليس إلا انتقالا فى المحل، أظن أن هذا ما عبرت عنه فى قصيدة . "من شطى لشطى" أغوار النفس:

الشط التانى المِشْ بايــــنُ:

كل ما اقْرَبْ لُهُ، يتأخِرُ.

ومراكبُ، وقلوع، وسفائينُ،

والبحر الهُوْ مالوش آخِرُ.

لأ مِشْ لايِبُ.

حاستنى لما اعرف نفسى، من جُوْه.

على شرط ما شوفشى اللئى جُوْه.

وإذا شفته لقيتُه مش هُوْه،

لازِمُ يفضَلُ زى ما هُوْه.

أنا ماشى "سريع" حوالين نفسى،

وباصبَحْ زى ما بامشى،

وان كان لازم إني أعدى:

رَاحْ أعدى مِنْ شَطَى لَشَطَى،

هَوَّا دَا شَرَطَى.

فى المناقشة بعد اللعبة لاحظ بعض المشاركين أن اللعبة قد سرقتها بشكل أو بآخر، فحاول التراجع مثل خالد حين قال بعد المناقشة : أنا حسيت فى الاول إن السؤال ده إنتوا مخبينه مش تبع الاسئلة، أنا كنت قاصد ... حادوس على الزر فورا إن دى حاجة مش طبيعية يعنى إنت .. لو عرفت (اللى حاصصل) يبقى انتقال مش تغيير

يعترف د. مجيى بأنه سرّب الفرق **بين التغيير الحقيقي** المغامر وبين ما أسماه خالد " **ده انتقال، مش تغيير**" حيث قال د. مجيى في المناقشة بعد اللعبة د.مجيى: إحنا بنسررها على إنها لعبة، (بنستعيط يعنى)، باينها مش لعبة ولا حاجة. أضاف شريف - في المناقشة- ما يشير إلى أن التغيير الحقيقي برغم ما فيه من مخاطرة، إلا أن ثم شيئاً يشير إلى ما يمكن أن يسمى "**لذة التغيير**" (ربما هذا هو ما يدفع أغلب المدمنين إلى البحث عن البديل الكيميائى لتغيير الوعى السريع ولو بالسموم) يقول شريف: "**أنا حسيت برضه إن لو السؤال ده إتسأل فى الحياة العامة جدا يعنى لو أتسأل كده، حاحس بعدم لذة التغيير، فيعقب د.مجيى: شفت بقى أكننا بنرجع تانى نقول التغيير لا يكون حقيقياً الا إذا كان فيه المفاجأة والمخاطرة، بنتحفظ بحسابات معقولة وبنتحمل مسئولية ناتجة تحت كل الظروف، ثم يضيف تحذيراً أن نتائجه - خاصة المؤذية منها- قد تصل إلى الآخرين الذين لم يشاركوا في اختيار قرار التغيير، حيث أضاف د.مجيى: وعلى فكرة، علشان الأمانة بقى، عليا وعلى غيرى، إقرض التغيير ده ضرّ اللى حواليا، لأه، أنا لازم اتحمل نتيجته عليا وعلى غيرى، فينتبه أعمارة، وربما يجد في هذه المسئولية الممتدة إلى الغير سبيلاً للتراجع يُسقطه على المشاهد بقوله: أ. عمارة " هى دعوة للمشاهد إن التغيير العشوائى ممكن يؤدى الى كوارث لكن التغيير المخطط له بالشكل الصحيح (حاجة تانية) :، فينبهه د. مجيى إلى تراجعه مشيراً إلى حكاية التغيير المخطط أنه " : ممكن يؤدى إلى **اللاتغيير** " ، لكن ذلك لا يصل إلى أعمارة فيصير : أ.عمارة: الى تغيير صحيح ميا فى المية ، فيعقب د. مجيى شارحاً وجهة نظره عن علاقة الإيمان بالغيب، بأن هذا الإيمان هو متعلق بعجز الحسابات عن كشف أبعاد مسيرة التغيير، وذلك عكس ما يفهم أغلب الناس من كلمة "الغيب"، يقول د. مجيى: الناس اللى بيهاجموا الحكاية دى يقولوا : طب ازاي؟ حانؤمن بالغيب حانؤمن بجاهة مانعرفهاش، يبقى كده إحنا بنسلم للخرافة ، أنا متصور إن الإيمان بالغيب هو المخاطرة نحو هذا المجهول الرائع ، كأنه دعوة للإبداع، إنه دعوة لاحترام الآتى بغض النظر عن صلابة وصحة الجارى. هذا هو توظيف تحريك الوعى نحو غايته دون تحديد هذه الغاية بشكل تفصيلى. لكن يبدو أن خالد لم تصله الرسالة أو لعله خاف منها فعقب مستشهداً بآية كريمة، طالما تردد دون تمنن ، قال أ.خالد: بس هو واضح إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، فينبهه د.مجيى إلى الخذر من الاستسهال بالاستشهاد، قائلاً: "ماهى **"بأنفسهم"** دى طلعت كبيرة أوى.**

(يمكن متابعة هذه النقطة - وغيره- فى التسجيل).

نقطة منهجية

أشرنا فى لعبة سابقة، كيف يمكن أن تحضر أحد المشاركين استجابةً ما، كان ينوى أن يقولها حين يأتى عليه الدور، ثم إذا ما جاء دوره وجد أنه قال شيئاً آخر، وليس بالضرورة أن يكون هذا الشيء الآخر هو الأقرب إلى الصحة مع أنه يكون أكثر تلقائية عادةً، وهنا دار حوار هام (ويمكن الرجوع إلى التسجيل للاستماع إلى تفاصيله) يوضح هذه النقطة ويفسرها ويبررها، ونورد نص ما دار كالتالى :

أ. إيهاب: لأ بس أنا وصلتلى حاجة يعنى فيه حاجة وصلتنى من اللى أنا قلته، ساعات لما شريف كان بيكلمنى طلعت فى دماغى حاجة أقولها، لما جيت أقول والسكته اللى أنا سكتتها فى النص دى، **طلعت حاجة تانية خالص** حسستنى إن أنا زى ما أنا قلت قبل كده فى بداية اللعبة إن وردت ليا أن أنا فعلا باخاف ساعات من التغيير ومش عارف التغيير ده هايبقى شكله إيه حاجة ذى توكيد حاجة أكتشفتها جوايا دلوقتى

د. يحيى: هو أنت عملت فينا حاجة كويسة جداً يا إيهاب علشان المشاهد ودعوتة للمشاركة، عملت فينا حاجة جيدة جداً، أنا بتحصلنى برضه، أنا عادة بالعب فى الآخر، مش دائماً فابلاقينى محضر حاجة، مش قصدى محضر، بس بيخطر على بالى حاجة غامضة كده، أجي أقول (لما يجي على الدور) تطلع حاجة تانية، تمام زى ما انت عشت التجربة دى بالظبط.

وأنا بادعو المشاهد بصراحة إنه لو كان هو سامعنا وشايفنا وماشى معانا أو عمال يلعب معانا، وحتى بعد ما خلصنا البرنامج وحانقول له الألعاب فى الآخر كلها علشان يسجلها، إذا حب يلعبها معانا أو مع نفسه ويغامر بمغامرة إيهاب، يعنى إنه مايقاش وصى على إالى حايقله، يعنى تجيله فكرة يجي يقولها ما تطلعشى هية، تطلع مطرحها حاجة تانية، ماشى!! الألعاب دى تتلعب فى السر حتى لو مالقاش حد يلعبها معاها يلعبها فى المراهية، بس لو جرى له حاجة أنا ماليش دعوة،

الواحد لما يبقى وصى على نفسه وهو بيلعب، يحرق اللعب،

الحكاية زى ما إيهاب عمل بالظبط، تبقى عنده فكرة إنه كده حايقول كذا، ويجي يقول تطلع حاجة تانية، دا بالظبط اللى بيحقق أماننا فى هذا البرنامج من تحريك الوعى

وبعد

غدا نكمل الألعاب الخمس المتبقية.

200- أنا مستحيل أقبل أتغيّر... إلا لو...

مقدمة

قدمنا أمس الخمس لعبات الأولى من لعبة التغير، وأوضحنا كيف أن التغير بقدر ما هو حتمي، هو مرعب ومخوف بالمخاطر، وأن الإنسان العادي يدرك ذلك من بُعد معين، وأنه لا يوجد تناقض (بين هذا الخوف وذاك الحتم) إلا ظاهرياً، وأن فرط الحسابات معطل حتى التوقف، وقلة الحسابات تهلكة وتهور،

وننبه الآن إلى أن هذه القضية لا ينبغي أن نتناولها من منطلق نسبي مسطح، يسعى إلى أي "حل وسط"، ذلك لأن التناقض هنا يضعنا مباشرة في مواجهة جدل الكمون والتغير، وهو من أصعب وأهم قواعد النمو، بالإضافة إلى تناوب السكون والتفعيل طول الوقت، من منطلق "الابقاء الحيوي".

ونكمل اليوم الألعاب الخمس الباقية وهي :

اللعبة السادسة: أنا مستحيل أقبل اني اتغير، إلا لو... .

اللعبة السابعة: أنا لو حاتغير لازم أعمل حسابي، اني... .

اللعبة الثامنة: الظاهر أنا باتغير غضب عني، إنما... .

اللعبة التاسعة: أنا لو حتى لو عرفت اتغير أبقى إيه، فأنا... .

اللعبة العاشرة: أنا اتغير بتاع إيه؟! مش الأول... .

* * * *

اللعبة السادسة: أنا مستحيل أقبل اني اتغير، إلا لو... .

أ.خالد: ياعمرو أنا مستحيل أقبل اني اتغير... إلا لو لقيت عربيات التغير وقفه مستناني تحت البيت

أ.عمرو: يا أستاذ عمارة أنا مستحيل أقبل اني اتغير... إلا لو قبلت نفسي الأول

أ.عمارة: يا أستاذ إيهاب أنا مستحيل أقبل اني اتغير... إلا لو كنت مخطط لتغيري بشكل دقيق

أ.إيهاب: يا شريف أنا مستحيل أقبل اني اتغير... إلا لو لقيت ناس أثق فيهم جدا يساعدوني

أ. شريف: يا دكتور يجيى أنا مستحيل أقبل انى اتغير... إلا لو حسيت واتأكدت واقتنعت بإن مهم **إنى اتغير**

د. مجيى: عزيزى **المشاهد** أنا مستحيل أقبل إنى اتغير... إلا لو اضطريت اضطرار مطلق

المناقشة (الآن)

أرجعتنا هذه اللعبة إلى تجسيد صعوبة التغيير لدرجة الاستحالة، هذه المرة: المسألة ليست مجرد خوف من التغيير، وإنما افتراض استحالته إلا بشروط معينة، هذه الشروط بدت عبثية عند خالد، الذى بدأ فى اللعبة الخامسة (أمس) جاهزاً **للدوس على الزرار** لو ضمن نتيجة التغيير، أما فى اللعبتين الأولى والرابعة فقد كان حريصاً على الناس، وخائف من أن يلحقهم الأذى لو سمح لنفسه بالتغيير، وفى نفس الوقت أقر فى اللعبة الثانية والثالثة أن عدم التغيير يكاد يساوى الموت (الثانية) "وأن كده (الثبات فى موقعه) **"لم يعد ينفع"**، نكرر ذلك - كمثال- حتى تؤكد أن التناقض الظاهر فى نفس الشخص هو أمر طبيعى ومقبول، هنا فى هذه اللعبة بدأ خالد ساخراً بشكل واضح، وقد أفاد - بطريق غير مباشر - أنه إنما يؤكد بسخريته أن المسألة ليست بالساهل .

أ. عمارة يشترط أن يخطط بدقة (ارجع إلى فرط الحسابات: اللعبة الرابعة) وشريف يشترط الاقتناع أولاً، المناقشة بعد اللعبة دارت أساساً بين شريف، ود. مجيى حول فكرة **"الاقتناع"** هذه، حيث نبهه د. مجيى أن الاقتناع يتم على مستوى عقلى (أو حتى معقلن) وأنه لا يمكن الاعتماد عليه ، ومع أن شريف دافع عن ذلك وهو ينبه د. مجيى أنه قال **"لو حسيت"** قبل **"اقتنعت"**، إلا أن د. مجيى نبهه أنه بدأ التعقيب بقوله **"أنا شايف يا دكتور إن المسألة مسألة برضه إنك تقتنع انك انت تتغير، بقى انت مقتنع ان التغيير ده حابضف لك."**

مجرنا كل هذا إلى إعادة التأكيد على أن فكرة التغيير المطروحة هنا ليست إضافة اختيارية (option) بقدر ما هى **خاطرة نمائية**، وبالتالي يكون الاقتناع المسبق غير كافٍ لحفز مغامرة التغيير، اللهم إلا إن كان نتاجاً لتراكم **فشل البقاء سكوناً** بشكل أو بآخر .

إيهاب وضع شرطاً شديد الأهمية يجعل التغيير مهما بلغت المخاوف حوله، لا يخفف منه إلا أن يتم تحت مظلة الآخر (الآخرين) بما يجمع الثقة والسماح وربما الاعتمادية المشروعة **"إلا لو لقيت ناس أثق فيهم يساعدون"**

اشتراط عمرو أن يقبل نفسه أولاً، هو شرط جيد لكنه إشكالي ، فلو أنه قبل نفسه أولاً، فما الداعى للتغيير، لكن ربما يعنى بذلك: أن يشبع من مرحلة **"تأكيد الذات"** فينتقل إلى مرحلة **"حركية الذات النامية أبداً"**، أما د. مجيى فقد أضاف تأكيداً جديداً عن صعوبة عملية التغيير، وهو يشترط **اضطراباً مطلقاً** حتى يضطر أن يفعلها، ربما هذا هو ما يتفق مع ما جاء فى كتابه **حكمة المجانين** (رقم [750]) **" لن يتطور إنسان"**

بأختياره فما أصعبها خطوة، ولن يكمل الطريق إلا بأختياره، فما أشرفها رحلة".

* * * *

اللعبة السابعة: أنا لو حاتغير لازم أعمال حسابي....إنى.....

أ.عمرو: يا إيهاب أنا لو حاتغير لازم أعمال حسابي....إنى
أتكيف مع الوضع الجديد طول عمري

أ.إيهاب: يا خالد أنا لو حاتغير لازم أعمال حسابي.... إنى
أكيد حاتعب أوى

أ.خالد: يا شريف أنا لو حاتغير لازم أعمال حسابي.... إنى
حواليًا ناس كثير بيحبونى

أ.شريف: يا دكتور يحىي أنا لو حاتغير لازم أعمال
حسابي.... إنى أستريح

د.يحيى: يا أستاذ عمارة أنا لو حاتغير لازم أعمال حسابي..
إنى أتحمل مسؤولية اللى يحصل لى

أ.عمارة: عزيزى المشاهد أنا لو حاتغير لازم أعمال
حسابي.... إنى أفيد أسرتى ومجتمعى ووطنى

المناقشة (الآن)

مزيد من الشروط والحسابات ، لكنها هذه المرة ارتبطت باحتمال تحقق التغيير، وقد اختلفت الاستجابات هذه المرة أيضا حتى كادت تتعارض، ففى حين ركز شريف على مكسب التغيير "انى استريح" وكأنه وصل نهاية المطاف، صبغت استجابة "عمارة" نيرة خطابية "أفيد أسرتى ومجتمعى ووطنى" حتى بدت لى كلا من الاستجابتين وهى تتناول التغيير من الظاهر، وكأن التغيير هو بمثابة الحصول على جائزة أو ترقيه تريح أحدهم وتلزم الآخر برد الجميل، يبدو أن عمرو اعتبر التغيير هو مرة واحدة (وليست عملية مستمرة) وأنه سوف يستريح بعدها بقية عمره، خالد شارك استجابة إيهاب فى اللعبة السادسة "ناس أثق فيهم يساعدونى"، حيث طلب خالد هنا أيضا مظلة الناس "حوالى ناس كثير بيحبونى"، أما إيهاب ، ود.يحيى فقد ظلا على خط المخاطرة والتعب والمسئولية فى حركية أى تغيير جاد، إيهاب "أكيد حاتعب قوى"، د. يحيى: "أتحمل مسؤولية اللى يحصل لى".

* * * *

اللعبة الثامنة: الظاهر أنا بتغير غصب عنى إنما.....

أ.إيهاب: يا شريف الظاهر أنا بتغير غصب عنى إنما بزاجى

أ.شريف: يا عمرو الظاهر أنا بتغير غصب عنى إنما هى دى
سنة الحياة

أ.عمرو: يا خالد الظاهر أنا بتغير غضب عنى إنما أنا مش
واحد بالى
أ.خالد: يا دكتور يحى الظاهر أنا بتغير غضب عنى إنما
قَطُر ماشى بسرعتة
د.مجيى: يا عمارة الظاهر أنا بتغير غضب عنى إنما خير
وبركة
أ.عمارة: عزيزى المشاهد الظاهر أنا بتغير غضب عنى إنما
مش حا قبل هذا التغير

المناقشة (الآن)

التغير ليست عملية واعية طول الوقت، هى كذلك بعض الوقت وبدرجات متفاوتة، التغير إلى أعلى أو إلى أدنى هو سنة الحياة، الموت هو نهاية المطاف، حتى الموت يبدو أنه أيضا تغير إلى أعلى أو إلى أدنى.

الوعى بالتغير، والإسهام فيه إراديا، هو استثناء جيد، فمن ناحية هو يطلعنا على طبيعة المسار، ومن ناحية أخرى هو ما يتميز به الإنسان - في حدود ما نعلم - بشكل يجعله مساهما إيجابيا أو سلبيا في نموه أو اضمحلاله، هذا التغير "الغضب" يصل إلى الوعى بدرجات مختلفة، وبأشكال مختلفة ، قد تصلنا من خلال نتائجه التى تظهر في السلوك أو الطبع بعد كل مرحلة من العمر، وهى (النتائج) إنما تعلن التغير بأثر رجعى، وقد تصل إرهافات وعلامات التغير إلى الوعى الظاهر بشكل محدد في أزمنة النمو، سواء احدثت حتى بدت مرضا، أو تحددت حتى بدت ثورة أو إبداعاً للذات بإسهام إرادى نسبيا.

الذى يحدث بعيدا عن الوعى الظاهر هو فعل إرادى على مستوى آخر (هذا ما يساير، ويدعم فرض فكرة اختيار الجنون خصوصا والمرض النفسى عموما على مستوى وعى كامن)، بدا ذلك بشكل شديد الوضوح (رغم احتمال وصفه بالتناقض) في استجابة إيهاب "غضب عنى إنما بمزاجى"، إن قبول "حتمية التغير"، يقلبها "إرادة التغير"، وبرغم أن هذا يبدو عكس استجابة عمرو "إنما مش واحد بالى" إلا أنه لا يوجد تعارض مباشر، فمن لا يأخذ باله من التغير ويقبله في نفس الوقت (أو حتى يعيش نتائجه) فهو قد اختاره بأثر رجعى، التسليم بأن التغير هو الأصل في حركية الوجود ظهر بشكل مباشر في استجابة كل من شريف "هى دى سنة الحياة" ، وخالد "قَطُر ماشى بسرعتة"، أما عمارة، فهو بخلاف كل المشاركين رفض حكاية الغضب هذه "إنما مش حا قبل التغير"، وهذا تأكيد من الناحية الأخرى لدور الإرادة أيضا، مع العلم بأن عدم قبول التغير، أو رفض الاعتراف به، لايجوز دون تهاديه وتواصله، أما د.مجيى فقد اعتبر هذا الذى يحدث غضبا عنه "خير وبركة" وكأنه بذلك قد شارك في فعل إرادى بالتسليم لفعل مفروض عليه ، فذل ذلك كيف أنه من الجائز أن يكون في عمق وجوده يقره ويمغزه .

* * * *

اللعبة التاسعة: أنا لو حتى لو عرفت اتغير أبقى إليه.....
فأنا.....

أ.عمرو: يا خالد أنا لو حتى لو عرفت اتغير أبقى
إليه..... فأنا على الأقل مبسوط دلوقتي

أ.خالد: يا إيهاب أنا لو حتى لو عرفت اتغير أبقى
إليه..... فأنا عاوز أغير

أ.إيهاب: يا عمارة أنا لو حتى لو عرفت اتغير أبقى
إليه..... فأنا محتاج مساعده

أ.عمارة: يا دكتور يحيى أنا لو حتى لو عرفت اتغير أبقى
إليه..... فأنا مصر على تغيرى

د.يحيى: يا شريف أنا لو حتى لو عرفت اتغير أبقى
إليه..... فأنا مش موافق على إن هو ده التغير الحقيقي

أ.شريف: عزيزى المشاهد أنا لو حتى لو عرفت اتغير أبقى
إليه..... فأنا برضه الحمد لله راضى عن نفسى

المناقشة (الآن)

معرفة نتيجة التغيير مسبقا ليست دائما مصدر طمأنينة،
فمن ناحية: إيش أدرانا أنها هي حقيقة ما يحدث أو ما سوف
يحدث، ومن ناحية ثانية هي أمر يكاد يكون مستحيلا، ومع ذلك
فإن افتراضها يحرك مواجهة من نوع آخر.

"عمرو" ألقى جدوى هذه المعرفة مكثفيا بأنه "مبسوط
دلوقتي" وكان هذه المعرفة لا تحفزها إلى، ولا تثنيه عن، التغيير،
شريف، في نفس الاتجاه يؤكد من جديد موقفه "الراضى الساكن
هنا قبل وبعد التغيير" وهو هو الذى ظهر في من قبل "إني
استريح" (السابعة) "هى دى سنة الحياة" (الثامنة)، وأيضا
هنا "فأنا برضه الحمد لله راضى عن نفسى"، هذا كله يعلن أن
موقفه السكونى مقبول له، لكنه ليس بالضرورة هو الموقف
الأفضل بشكل عام.

إصرار عمارة واضح ومباشر، ربما بغض النظر عما ينتظره
من نوع التغيير، أما إصرار خالد على التغير فهو ليس بنفس
القدر من الوضوح، اللهم إلا إذا كان يقصد أنه يريد أن
يفرض نوعا من التغير هو محدده بمنطقه أو يفعله، ولا يكتفى
بالوعى بالتغير الختمى أو التسليم للقاعدة المضطربة، يتفق
مع ما ذهبنا إليه من أن هذه المعرفة غير مُلزِمة بأن هذا هو
الذى سيحدث فعلا في التغيير.

د.يحيى يشك (ويشككُ) في أن أية معرفة مسبقة لتغير قادم،
هى مجرد فرض لا يمكن التأكد من تحققه، بل إن الأرجح أنه لا
يتحقق تماما باعتبار أن التغير هو عملية مستمرة، تجعل كل
محطة وصول هى في نفس الوقت محطة بداية (أو محطة قيام).

أما إيهاب ، فهو يطلب المساعدة وكأنه واع بالصعوبة وغير قادر أن يفعلها وحده .

* * * *

اللعبة العاشرة: أنا اغير بتاع إيه!! مش الأول.....

أ.خالد: يا دكتور يحیی أنا اغير بتاع إيه!! مش الأول أبطل كذب

د.یحیی: يا شريف أنا اغير بتاع إيه!! مش الأول أظمن على إنك حاتتغير أنت وغيرك في نفس الاتجاه

أ.شريف: يا أستاذ عمارة أنا اغير بتاع إيه!! مش الأول أبص لنفسی

أ.عمارة: يا عمرو أنا اغير بتاع إيه!! مش الأول أشوف منهجية التغير دا إيه

أ.عمرو: يا إيهاب أنا اغير بتاع إيه!! مش الأول اعرف إيه اللي محتاج يتغير

أ.إيهاب: عزيزی المشاهد أنا اغير بتاع إيه!! مش الأول أعرف نفسی

المناقشة (الآن)

تعود هذه اللعبة الأخيرة لتضع شرطا مسبقا للقبول باحتمال التغيير من حيث المبدأ، وقد وضع هذا الأمر بشكل يحيل الاشتراط إلى صاحب الشأن أساسا، أكثر منه إلى الظروف من حوله أو الأسباب السالفة.

عمارة يطلب معرفة قواعد اللعبة "منهجه التغير" وكأن لها قواعد، عمرو يتصور أن التغير هو جزئي أيضا، وربما في بعض نواحي السلوك فحسب، وكأنه بذلك يتجاوز أو يتغافل عن التغيير النمائي الجذري المهدد، شريف وإيهاب يحلان الأمر إلى النظر في النفس أولا : شريف "أبص لنفسی"، إيهاب "أعرف نفسی"، وفي هذا ما فيه من مظنة العقلنة من ناحية، واحتمال غلبة فكرة "تحقيق الذات" من جهة أخرى (وهو ما أشرنا إليه نقدا وتحذيرا)، "خالد" كان أمينا، حين نظر في نفسه، وعزى ما أسماه "كذبا"، ورأى أن التخلص من هذا الكذب هو شرط سابق لتغيير حقيقي، د.یحیی كان غريبا في اشتراطه تغير الآخرين أولا، ولا يمكن الجزم إن كان هذا يتعلق بفكرته عن دوره الذي يتصور أنه يمارسه وهو يحفز الآخرين إلى التطور حتى لا تزداد وحدته بمزيد من التغير دونهم، أو أن ذلك يرجع إلى شكّه في قدرة الآخرين على التغير في نفس الاتجاه، وليس بالضرورة بنفس الشكل أو المحتوى، الاحتمال الأول رجّحه خالد أثناء المناقشة بعد اللعبة حين قال: "الإجابة بتاعة حضرتك مقصود منها التحريض"، وأيضا سأل خالد د.یحیی "هل حضرتك بالفعل رابط تغييرك بتغير الآخرين؟ فيجيب د.یحیی "زى ما وضلتك" .

تعقيب عام

كل الكائنات لها دورات حياة، وتبلغ حدة النقلات في بعض أطوار دورات الحياة إلى الانتقال - مثلا- من طور **الشرنقة إلى طور الفراشة**، فلماذا لم يستوعب أغلبنا احتمال أن نكون مثلنا مثل أغلب الأحياء! ولماذا استعمل الكائن البشري العقل بل والوعي الظاهر، ليصبح وصيا على هذه العملية التلقائية، إذ حبس أغلب البشر وجودهم فيما فرض عليهم قبل أن يتمكنوا من اختياره، أو قل يعطوا فرصة حتى لإعادة اختياره؟

الوعي بهذه الحقيقة المنغرسه في الطبيعة الحيوية جنبا إلى جنب مع ثقل السجن الذي يجد كل منا نفسه محاطا به من الداخل ومن الخارج، هو الذي تتخلق منه وبسببه إشكالية التحدى الملقى في وجه الإنسان المعاصر، والذي بعض مظاهره هذا التردد والخوف وما يشبهه التناقض، وكل ما أظهرته هذه اللعبة المتواضعة .

201- عن الإبداع والعدوان الفروض الأساسية (1 من 3)

استهلال

نشرت الفروض الأساسية لهذه الأطروحة في مجلة الإنسان والتطور (العدد الثالث: السنة الأولى سنة 1980) ثم أكملت بعد ذلك وعدلت ونشرت كاملة في مجلة فصول (المجلد العاشر العددان 3-4 سنة 1992)، وهي رؤية باكرة تطورت بتحديث محدود، وقد أحق بصورتها الأخيرة محاولة مراجعة ونقد وتوليف مع ما تلاها من نظير وفروض.

الذى دفعنى أن أنشر تحديثها في هذه النشرة اليومية أمران، **الأول:** أن القضية أعيدت إثارتها، كما بلغنى - على مستوى النقد السينمائى -، مما قد يحتاج إلى تفصيل متخصص غيرى، **والثانى:** أن إهمال تناول الجانب الإيجابى لهذه الغريزة الحيوية بدا لى أنه عامل جوهري يكمن وراء انطلاقها سلبيا وجماعيا وعلانية فيما يسمى بالخراب الاستباقية، والتطهير العرقى، والإبادة الجماعية الأمر الذى لم يعد يتناسب حتى مع ما يسمى "الإرهاب" الرسمى والسلطوى المدعى الشرعية، الأصعب من ذلك هو انطلاق سلبيات هذه الغريزة في أشكال من العدوان السلبى الناتج من **افتقاد العدل وتمادى الاستغراق في الاستهلاك المتوحش، والاعتزاب العدمى.**

وأخيرا، فلابد أن أعترف أن نشر الجزء الأول من الأطروحة مع أول ظهور المجلة الأم لهذه النشرة "**الإنسان والتطور**" قد أثار رفضا صريحا من أغلب من ناقشوها معى شخصيا وإعلاميا، وهو الفريق الذى لا يتصور العدوان إلا نوعا من التحطيم والأذى، وأنه لا يمكن أن يكون أبدا خطوة على طريق إعادة البناء إبداعا.

لى أمل شديد يكون في هذا النشر اللاحق **بعد ثمان وعشرين سنة** ما يفتح ملف هذه الفروض من جديد، فأتلقى تعقيبات وآراء ربما تفتح حوارا **أكثر امتدادا يتحمله بريد الجمعة** يجرى في مساحة أوسع، أو يشمل تصنيفات أكثر تنوعا، من متلقين أكثر تحملا.

ملحوظة: فضلت ألا أضم هذا الفرض إلى فروضى التى شملها كتابي "**حركة الوجود وتجليات الإبداع**"، الذى نشر مؤخرا حيث

أننى كنت قو انتويت جمعه مع آرائى وفروضى فى كتاب عن الغرائز عامة، وبالذات "الغريزة الجنسية من التكاثر إلى التواصل"، و"غريزة المعرفة"، وأخيرا "غريزة التناسق الممتد من الذوات فى حركية الواحدة إلى المطلق (غريزة الإيمان بيولوجيا)". لو بقى فى العمر ما يسمح، لنا بعودة.

مقدمة

يمر إنسان عالمنا المعاصر بأخطر مراحل تطوره، فقد أصبح تحت يديه من وسائل الدمار ما لا يبدو للوهلة الأولى أنه قادر على السيطرة عليه، ولا بد أن قانونا - لا نعرفه فى الأغلب - يقوم بالمحافظة على استمرار بقاء الحياة على الأرض حتى الآن على الرغم من وجود كل هذه القوة المدمرة بين أيدي من لا يستعمل بقية خلايا مخه بنفس الكفاءة، ذلك أن طريقة تفكير السياسة على الجانبين، وسلوكهم الشخصى الدال على وفرة الدفاعات (الميكانيزمات) التى تتحكم فيهم دون وعى منهم لا تطمئن الشخص العادى بأبسط حسابات المنطق السليم، ناهيك عن العالم اليقظ.

من واجب العلماء البحث عن هذا القانون الخفى إن كان موجودا أصلا، ثم تقويم فاعليته واستثماره وتطويره إن احتاج الأمر، فإذا ثبت (أو صور لنا جهلنا) أن الحياة مستمرة بالصدفة، تحت زعم أن ليس ثم قانون خفى أو ظاهرا يوجهها فالواجب يصبح أكثر إلحاحا فى العمل على إنشاء ذلك القانون الذى يساعد فى استمرارها بوعى لائق، ومسئولية مناسبة وحساب علمى قويم، وفاء بأمانة ما نحمله بشرا !!.

من أولى المناطق بالتنقيب لتحديد طبيعة مخاطر الدمار الذى يتعرض لها الإنسان بجرعات متزايدة هو ما يتعلق بغريزة حيوية أساسية، وهى "العدوان"، ذلك لأنها تمثل القوة التى إذا عجزنا عن دراسة قوانينها وتوجيه مسارها، قد تنطلق - وفى يدها كل أدوات الدمار الجاهزة حاليا- فتقضى على البشر بلا تردد، وقد تقضى على الحياة كلها بلا وعى، خاصة وأن الإنسان - كما يقول تينبرجن أولدنر- دون كثير من الحيوانات- لم ينم لديه جهاز للضبط والتوازن والتحكم فى نزعاته العدوانية، وهذا النقص قد يكون مسئولا عن تماديه فى الفعل العدوانى حتى أقصى نهايته وهى القتل.

ذهب لورنز إلى اعتبار أن الإنسان- دون كثير من الحيوانات المفترسة- ليس عنده كف غريزى للقتل بوصفه مفتقدا أبة جوارح قاتلة (مخالب وأنياب)، بالتالى، فى رأى لورنز، هو ليس محتاجا لهذا الكف الغريزى، وهذا أمر يتطلب مراجعة بعد التدهور التدميرى الذى يعيشه إنسان العصر الحديث الذى خلق لنفسه مخالب وأنياب أمضى وأشمل تدميرا للحياة برمتها وليس فقط لعدوه من جنسه أو غير جنسه. ثم إن الإنسان هو الحيوان القادر على قتل أفراد من نفس جنسه، فهو يقتل:

(أ) بشرا لا يعرفهم "شخصيا"

(ب) وعن بعد دون أن يراهم

(ج-) وفى مجموعات.

بل لقد أصبح هذا الفعل الشائن في ذاته من المنجزات الجديرة بالفخر، كما يقول روبرت جاي ليفتون "...إن كمية القتل قد أصبحت مقياس الإنجاز". وفي ظل هذه الظروف، فإن مصيبة الدمار الفنائى قد باتت شديدة القرب بحيث لو حدثت هذه المصيبة فقد تكون إثباتا مروعا **لزم قائل: إن التركيب الانسانى فيه ما يشير إلى خطأ تطورى** لا يمكن أن يستمر ما لم يعدل.

لا يمكن أن ننساق وراء هذه المخاوف الانطباعية في تشاؤم عدمى إلا أننا أيضا لا يمكن أن ننكرها مجرد أنها بعيدة الاحتمال.

نبدأ البحث بتساؤلات محددة نحاول من خلال الإجابة عليها أن نحدد أبعاد المشكلة، ومن ثم إمكان الخروج منها:

1- هل العدوان غريزة أصيلة لها صور تعبيرية مختلفة مع اختلاف الأزمان والأجناس، أم أن العدوان مجرد سلوك مكتسب طارئ، نتوقع له أن يزول بزوال مستدعياته؟

2- ما هي وظيفة العدوان البقائية، وما هي فرص التعبير عنه في حياتنا المعاصرة وخاصة بالمقارنة بغريزة الجنس التي تتعلق أساسا ببقاء النوع؟

3- ما هي الاحتمالات المطروحة لمواجهة هذه الطاقة الغريزية تعليما أو ترويضاً، أو تحويراً، أو إدماجاً؟

عائلة تعريف مبدئى

لا يحتوى لفظ "العدوان" مضمونا واحدا (جامعا مانعا) متفقا عليه بالقدر الذى يطمئن إلى تناوله من نفس المنظور من كل الأطراف، فالتعريف السلوكى يصوغه "تينرجن" كالتالى:

"العدوان- باعتبار السلوك الفعلى- يتضمن الإقدام تجاه خصم، وإذا كان في تناوله فإنه يتضمن دفعه بعيدا وإصابته ببعض الأضرار بشكل ما، أو على الأقل إرغامه بمؤثرات تكفى لإخضاعه".

نلاحظ هنا منذ البداية، ذلك التحفظ الذى وضعه تينرجن، من حيث تحديد التعريف بنص اعتراضى (يبدو أساسا) بقوله - باعتبار السلوك الفعلى- ذلك أن الخلط بين السلوك الفعلى وبين الموقف التهيئى دون فعل ظاهر، ثم بين هذا وذاك وبين غريزة العدوان- في كمونها ونشاطها-، هذا الخلط هو ما يترتب عليه إغفال الأصل، وبالتالي مضاعفات الجهل والتشويه؟

لتوضيح قصور مثل هذ التعريف المؤكّد على الإقدام والإضرار دون غيرهما نطرح بعض التساؤلات مثل:

هل يمكن أن نقسم سلوكى الكر والفر، باعتبارهما سلوكين متضادين ظاهرا، ونقصر كلمة العدوان على سلوك الكر fight دون سلوك الفر flight على الرغم من أنه يصاحبهما نفس المتغيرات الفسيولوجية تماما (مثل زيادة نشاط الجهاز العصبى السمبثاوى)، كما أن سلوك الفرقد يكون تمهيدا لسلوك الكر أو جزءا منه أو تناوبا معه لتحقيق نفس الغرض؟

وهل يمكن أن نتناسى صور العدوان السلي: بالانسحاب أو الإلغاء أو الخوف؟

الإجابة على مثل هذه الأسئلة هي بالنفي، وبالتالى فالمراجعة واجبة .

تعريف مبدئى:

"العدوان هو الدافع أو السلوك (أو كلاهما) الذى يهدف للحفاظ على الفرد وجودا وذاتا - على حساب الآخر (من غير النوع عادة أو من نفس النوع، مؤقتا) وهو يشمل فى صورته البدائية: السلوك المقاتل المهاجم حتى الطرد أو القتل، ولكنه يتحور - مسلكا وموضوعا - بتحور مراحل نمو الفرد واجتمع جميعا" وذلك من خلال تداخلته مع مستويات الوجود الأخرى فى جدل ولا فى متصاعد .

لن أبدأ بالدفاع عن هذا التعريف لأنه فى واقع الأمر غاية هذا البحث أكثر منه مسلمة ابتدائية .

نظرية الغرائز: موقعها الآن

أصاب الغرور الإنسانى "نظرية الغرائز" فى مقتل دون وجه حق، فقد ثارت نزعة مضادة ضد نظرية الغرائز وخاصة بعد مغالاة ماكدوجال فى تقديمها وتقسيمها، وقد توالى الضربات على نظرية الغرائز هذه من مصدرين أساسين: وهما الاتجاه السلوكى من ناحية، والاتجاه الاجتماعى من ناحية أخرى، وحتى فرويد لم يستطع أن يمتد تأثير موقفه بالنسبة لغريزة الجنس أساسا إلى ما يسمح بالدفاع المناسب. فقد هوجم من خصومه، كما هوجم من أتباعه على حد سواء، ذلك أن كثيرا من الفرويديين المحدثين قد هاجموا بيولوجيته لحساب ما أسماه نظرية العلاقة بالموضوع Object relation أو العلاقات البينشخصية Interpersonal، فى حين أن السلوكيين قد ركزوا على التعلم ونظرياته وآثاره فى إحداث المرض وإزالته على حد سواء، مستبدين بإصرار أى غرائز ثابتة أو أجهزة، أو موروثه (من حيث التفاصيل على الأقل). ورغم زعم علماء النفس الإنسانين (أمثال أبراهام ماسلو) بتغليب الخير فى أصول الإنسان البيولوجية (الشبغريزية Instinctoid)، إلا أن لغتهم الأقرب إلى "الشعر الخالم" لم تدعم نظرية الغرائز بقدر ما غيبت الجو حولها، الأمر الذى تفاقم أكثر فأكثر من جراء (النظريات البعشخصية والعريشخصية Transpersonal) مما أفضل أن أسميه "علم النفس التجاوزى"، ذلك أن هذه النظريات أفرطت فى التجاوزية الغائبة (شبه الدينية) حتى كادت تنفصل عن جذورها البيولوجية الغريزية .

إن مواقف اتجاهات علم النفس المعاصر، فى أغلبها، لم تدعم نظرية الغرائز بقدر ما حطت من قدرها أو أهملتها، وحتى غريزة الجنس (وهى أظهر وألعب من العدوان) كما هى، أو كما قدمها فرويد، لم تأخذ حقها فى الاستيعاب البيولوجى/الوجودى المناسب، بل لعل بعض المشتغلين

بالتحليل النفسي قد أساء إليها، وأضاف إلى تشويهها. إن فرويد نفسه لم يعطها حقها على الرغم مما شاع عن فكره، بل جعل كبتها والتسامي فوقها (فيما هو "خلق" أو حضارة) هو السبيل إلى التحكم فيها، ثم إنه بالغ في عقلنتها (فيما هو نظرية) على حساب إحيائها باعتبارها لغة تواصل أرقى وأشمل، حتى ليتمكن أن تأخذ قول لورانس مأخذ الجد إذ يقول... "إن تناول فرويد للعمليات الغريزية في الإنسان كان محملا بثقل الشعور بالذات لدرجة خليقة بأن تكتفى بإعلان الميل الشبقي بعيدا (فعل) الحياة، لتطيح باحتمال أن يحقق الانسان براءته التلقائية وانبعائه الخلاق بحق"، ثم يمضي فيقول "... إن نظرية التحليل النفسي قد أعدت لتصيبنا بمالة من "الجنس في الرأس" Sex in the head (الدماغ)، ولا أحسب أن هذا هو المكان اللائق به".

الأرجح أن المبرر وراء كل هذه المحاولات لتهميش الغرائز هو مبرر أخلاقي على مستوى ما من لاشعور أغلب هؤلاء المفكرين، بمعنى أنهم تصوروا أن التسليم بوجود غريزة مسبقة (أية غريزة كانت) يبدو تقييدا لحركة تطور الإنسان بشكل أو بآخر، والنتيجة المنطقية، والاستسهالية لهذه المسلمة الخطأ هو أن ننكر الغريزة ابتداء، أو على الأقل أن نتنكر لها، متصورين أننا بذلك نفتح الآفاق، إذ مجدونا الأمل أن يحل التغير البيئي والتطور الثقافي محل التغير البيولوجي المستحيل (من وجهة نظرهم).

وقد دعم هذا المبرر الأخلاقي موقف الدارونيين المحدثين من علماء الوراثة الأقدم (فايتسمان ومندل أساسا) بتأكيدهم على استحالة وراثة العادات المكتسبة.

وعلى الرغم من كل ذلك فإن الغرائز مثلها مثل أي حقيقة صعبة، لا تحتفى بالإجماع على تحطيمها أو الخوف منها، أو نتيجة العجز عن تفسير مظاهرها السلوكية في الوجود الانساني المعقد. فكان لا بد من إعادة النظر فيها من مدخل آخر، ومن عجب أن يكون هذا المدخل الجديد هو من علم الإثنولوجي Ethology وبواسطة علماء الحيوان Zoologists أساسا. وقد كان لإسهام لورنز وتينرجن في دراسة ظواهر مثل البصم Imprinting والطاقة الخاصة الفعالة Action Specific Energy وإزاحة النشاط of Activity Displacement. كان لكل ذلك أكبر الأثر في فتح ملفات نظرية الغرائز بشجاعة مضاعفة، وكذلك إعادة النظر في آراء الدارونيين المحدثين. وخاصة بعد تلاحق الأبحاث المهمة بالتأكيد على إمكان وراثة العادات المكتسبة.

العدوان غريزة أم اكتساب

يمثل لورنز الرأي القائل بأن العدوان دافع أولي (غريزة) ويؤيده في ذلك تينرجن (رغم اختلافهما في تفاصيل أخرى) إذ يقول الأخير عن الأول معترضا جزئيا "... إن لورنز يفترض أن العدوان هو دافع أولي موروث، وإنه مثله مثل الدوافع الأولية- في صورته- يسعى إلى الإطلاق (الإشباع)".

ويعارض مونتاجو في مناقشته مقولة تينبرجن منكرة أن يكون العدوان غريزة ويعدد إثباتا لرأيه هذا أجناسا وقبائل مثل الإسكيمو والأستراليين البدائيين الذين لا يحارب بعضهم بعضا، وينتهي بالتساؤل التقريرى قائلا " ألا يجوز أن الرغبة في القتال هي شكل من أشكال السلوك المكتسبة".

ولا سبيل إلى الفصل في هذا الموقف دون التعرض للموقف الأخلاقى سابق الذكر الذى يبرر الهجوم على نظرية الغرائز عامة، ونظرية العدوان كغريزة بشكل أكثر تحديدا، ليبدو الإنسان كائنا بعيدا عن التوحش.

ثمة محاولات للخروج من هذا المأزق من خلال تبني منظور: أن **الغرائز** - تطوريا على الأقل - **هي سلوك سبق طبيعه** imprinted عبر تاريخ تطور الحياة. حتى على فرض أنه كان مكتسبا في يوم من الأيام، فقد أصبح بلغة علمية أخرى: غريزة تورث، ذلك لأن التعلم بالبصم (غير التعلم الشرطى) يختص بالسلوك اللازم للبقاء في مرحلة ما، وقد كان السلوك العدوانى من أزم أنواع السلوك اللازم للبقاء في معظم مراحل التاريخ الحيوى.

حتى باعتبار ما ذهب إليه إريك فروم معتمدا على آخرين في أن العدوان قد اكتسب اكتسابا لاحقا في العصر الحجرى الحديث مع تغير الإنسان من كائن **صائد جامع** إلى كائن **منتج خازن** مع بداية الزراعة (حوالى تسعين قرنا قبل الميلاد) فإن مرور آلاف السنين، ومتطلبات الوضع الجديد للإنسان **كمنتج منافس** لا يمكن أن نعتبرها مجرد اكتساب مؤقت، وبدءا من حدس هربرت سبنسر القائل "إن عادات اليوم هي غرائز المستقبل" حتى دراسات علم الهندسة الوراثية الأحدث تتزايد الحقائق الدالة على ربط المكتسب بالغريزى، وخاصة فيما يتعلق بالبقاء والتطور.

لكل ذلك لا ينبغي أن يغرينا التلويح بموقف أخلاقى سطحى مجرد رغبتنا أن نتميز عن الحيوانات التى نصفها بالتوحش عن الإنسان، بل إن الاعتراف بهذا الأصل التكوينى يدفعنا إلى البحث الأمين في تصور فائدة هذه الغريزة ليس فقط في تاريخها الحيوانى، وإنما في تجلياتها البشرية، مع العلم بأن ما نصفه بالحيوانية لا ينبغي أن يكون بمثابة الوشم بالدونية أو النكوصية كما يلجم وليام كورنينج متسانلا: "وما هو النفع المنتظر إذا كان تحت السطح، رائحة بيولوجية كريهة". وإنما علينا أن نتذكر أن إنكار الحقائق ادعاء أو استسهالا يزيد من عجزنا عن التحكم في الجانب السلبى منها، أو بتعبير أدق: في توظيفها توظيفا سلبيا ضد النوع، أو ضد الحياة.

وظيفة العدوان وفرص التعبير عنه

- 1- إن العدوان قد حفظ أجناسا بأكملها في صراعها ضد أجناس أخرى، وذلك في إطار قانون "البقاء للأقوى".
- 2- إن سيطرة الذكر الأقوى على قطيع الإناث واستبعاد الذكر الأضعف قد ضمن البقاء للسلالة الأقوى، نتيجة استبعاد الذكر الأضعف من القطيع بالعدوان الذى ينتهى بالقتل أو بالطرد أو بالإذعان.

3- إن العدوان يعتبر جزءا متضمنا في كل الوسائل المسئولة عن الحياة، بل وعن تطويرها.

4- إن العدوان يحدد معالم الذات: فالذات إذ تنفصل عن الآخرين في الولادة النفسية، في المراهقة خاصة، وفي كل أزمت النمو عامة، إنما تحقق ذلك حين يضطر "الفرد" أن يدفع "الآخر" في عملية الانسلاخ منه، تحديدا لذاته الخاصة، الأمر الذي يتبعه بعد ذلك ومع ذلك جدل الآخر الموضوعي من خلال تحمل الاختلاف وبرنامج الدخول والخروج in-and-out program هذا ما ذهب إليه الكاتب في دراسة سابقة إذ يقول: "إذا كان الحيوان يحافظ على وجوده ككيان فيزيائي بالعدوان، فإن الإنسان يحافظ على وجوده ككيان مستقل واع (أى على فرديته) بالعدوان كذلك، ففى حين يستعمل الحيوان عدوانيته ضد احتمال افتراسه (ولافتراس الآخرين) فإن الإنسان يستعمل عدوانيته (دفاعا) ضد احتمال سحق ذاته وسط الآخرين".

كل هذه الجوانب المهمة في وظيفة العدوان لابد أن تؤكد ضرورة إعادة النظر، فيما ذهب إليه فرويد (على الأقل في بداية نظيره) من استقطاب الجنس في مقابل العدوان، باعتبار ترادف العدوان Aggression مع التحطيم Destructiveness لدرجة جعلته يرادف بعد ذلك بين العدوان (التحطيم) وما أسماه غريزة الموت Thanatos .

العدوان في السلوك الإنساني المعاصر

إذا قبلنا فرض أن العدوان غريزة بهذه القوة، وأنها ضرورية للحفاظ على الحياة والذات كخطوة سابقة لـ (ومتبادلة مع) غريزة الجنس (وليست نقيضة له كما صورها فرويد في أواسط أعماله متبعا النظرة الاستقطابية التي غمرت فكره حينذاك)، فما هي المظاهر المعاصرة الإيجابية المباشرة والمحورة التي تظهر فيها غريزة العدوان بالمقارنة بغريزة الجنس؟

لقد نالت غريزة الجنس من الانتباه والدراسة ما جعلها تتصدر باقى الغرائز، فضلا عن أنها كانت وما زالت بؤرة يدور حولها تنظير التحليل النفسى وتطبيقاته، ربما من خلال ذلك، ونظرا لطبيعة الجنس اللذية في معظم الأحيان كانت فرص التعبير المباشر وغير المباشر عن هذه الغريزة متواترة ومتنوعة (خصوصا إذا قورنت بفرص التعبير عن غريزة سيئة السمعة مثل العدوان. خذ مثلا بعض الأمثلة:

1- الجنس يجد مخرجا شرعيا واجتماعيا ودينيا مباشرا في الزواج (قبل وبعد فرويد).

2- الجنس يجد مخرجا اجتماعيا (ومدنيا أحيانا) في صورة العلاقات التلقائية قبل وخارج منظمات الأسرة في كثير من المجتمعات شديدة البدائية وفي المجتمعات المتقدمة على حد سواء.

3- الحديث عن الميل الجنسي بما يحمل من فرص التنقيث والإرضاء الجزئى يعتبر حديثا مقبولا ومحببا وأحيانا فخرا

وزهوا (للرجال على الأقل)، وذلك في الإطار والجال الذي يحدده كل فرد لنفسه، فمن المؤلف السهل أن يتحدث الرجل عن رغبته الجنسية سواء تحققت أم لم تتحقق، أو حتى عن قدرته الجنسية، ولدرجة أقل تفعل المرأة نفس الشيء ولو مع قريناتها في المجتمعات المحافظة.

4- الجنس له حضور كاف، وأحيانا غالب في صورته الصريحة أو المحورة، في كثير من الأعمال الأدبية والفنية وحتى في بعض مظاهر التدين (العشق الإلهي والغزل في الأنبياء والأولياء... الخ).

5- يصاحب ذلك، أو لعله نتيجة له أن الجنس قد يجد بسهولة مخرجا مناسبيا ومتواترا في الخيالات والأحلام على حد سواء.

العدوان يُعامَلُ كأنه ليس غريزة بقائية

هل للعدوان نفس الفرص للتعبير المباشر أو غير المباشر؟ الإجابة بالنفي، وتفصيل ذلك:

1- إنه لا توجد صورة اجتماعية أو شرعية يمارس فيها الإنسان المعاصر عدوانه بشكل مباشر ومعترف به، اللهم إلا في بعض أنواع الرياضة البدنية الالتحامية (في المصارعة والملاكمة مثلا) التي يثار ضدها هذه الأيام اعتراضات متزايدة، ثم إنها ليست ممارسة شائعة أصلا يمكن أن نزع منها مجال عام يصلح لاستيعاب العدوان عند كل الناس.

2- لا يوجد أي تقدير أو تقبل طبيعي يسمح للفرد بالحديث عن رغبته العدوانية أو ميوله العدوانية، بغض النظر عما إذا كانت هذه الرغبات قابلة للتنفيذ أم لا (في حين أن ذلك مقبول بالنسبة للجنس بترحيب خاص -من الرجال أكثر- كما ذكرنا).

3- لا توجد صور أدبية أو فنية تعلى من قدر العدوان، اللهم إلا صور البطولة (والفتوة) التي تعلى من قدر عدوانية فوقية من الجانب المسيطر دون التابع.

4- يبدو أن كل هذا القهر والكبت الساحقين قد أثرا حتى على الأحلام والخيالات، فمن واقع خبرتي الكلينيكية، نجد أن حكايات المرضى عن أحلام (أو خيالات) القتل أو حتى القتال، هي أكثر ندرة من أحلام المطاردة والاضطهاد مثلا.

صور العدوان البديل (مكافئات العدوان).

إذا كانت غريزة العدوان بصورتها الصريحة لا تجد الفرصة الإيجابية للتعبير عن نفسها بشكل مباشر مقبول، فهل يوجد شكل غير مباشر يمكن أن يحقق التعبير عن غريزة العدوان بأى صورة محورة؟

بالنظرة الأعمق يمكن أن نستنتج خطوطا عامة تبدو وكأنها تؤدي هذا الغرض، ومنها:

1- التنافس الدراسي والأكاديمي. كما يرى من كل من انتوني ستور Storr والفرد أدلد.

2- التنافس الرياضي (الذي يظهر بشكل مباشر في الرياضات الالتحامية في المصارعة والملاكمة كما هو متضمن بشكل غير مباشر في معظم الرياضات التنافسية).

3- السيطرة الطبقيّة الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسياسيّة. مع تذكر أن السيطرة الطبقيّة قد أصبحت مؤخرًا تتم في الخفاء وبأساليب سرية مغلقة، أو بشعارات أخلاقيّة أو دينية أو أيديولوجية مناسبة، وهي وسيلة القلة على كل حال.

وعلى كل حال، فقد اتجهت التربية الحديثة، ومحاولات المساواة الممكنة وغير الممكنة إلى تغيير القيم إزاء فكرة التنافس أصلًا، حتى كاد التنافس أن يصبح غير كاف لامتناع طاقة العدوان، فضلًا عن احتمال الضرر من الإفراط في تقديسه. فالتنافس الرياضي مثلًا لا يشمل إلا نسبة ضئيلة من الناس، ثم هو يحاط بالترويض المستمر للعدوان المغلف به في شكل تنمية ما يسمى بالروح الرياضيّة، ولا يشارك عامة الناس في إطلاق غريزة العدوان التنافسيّة اللهم إلا بتقصص المتنافسين مشاهدة من الوضع جلوسًا مصفقين على أحسن الفروض (!!) وهذا غير كاف فضلًا عن احتمال الخداع والتشويه.

إذن: فالأمر يبدو وكأنه لا يوجد فعلا في عالمنا المعاصر أية فرصة حقيقيّة لإطلاق غريزة العدوان ولا للتنفيس عنها أو حتى مجرد الاعتراف بها على مستوى العقل.

وكأننا يمكننا إعلان أن درجة الكبت والمنع والإنكار لغريزة العدوان قد وصلت -بإجماع تقريبا- إلى أضعاف ما أزعج فرويد بالنسبة لغريزة الجنس وآثار كبتها.

وإذا كان ما لحق من كبت لغريزة الجنس إنما تظهر آثاره السلبية أساسًا في مجال المرض النفسي المسمى قديمًا "العصاب"، كما يقول فرويد، فإن كبت غريزة العدوان إنما يظهر في مجال الأمراض الأخطر، الأمراض الذهانية خاصة الفصام، ثم هو يتعدى الخطر على الفرد إلى ما هو أخطر على الجماعة والمجتمع.

نتائج كبت العدوان

يمكن استقصاء بعض جوانب النتيجة الطبيعيّة لكبت العدوان كما يلي:

أولاً: تراكمت هذه الغريزة كطاقة مقهورة تستنزف الطاقة البشرية في محاولة إبقائها في حالة كامنة خفية.

ثانياً: تداخل العدوان مع غرائز أخرى للتعبير عن نفسه كالتالي (كأمثلة):

(أ) غريزة الجنس: في كثير من الأحيان يختلط الجنس بالعدوان، ليس فقط بمعنى السادية، وإنما أصبح السلوك الجنسي في بعض الأحيان تعبيرًا عن العدوان، رغم مظهره الجنسي (حالات الاغتصاب المتزايدة، على الرغم من وجود الاستكفاء الجنسي عند بعض المغتصبين).

(ب) غريزة الجوع: أحيانا لا يتوقف الاتهام عند الشعب (إرواء حاجة الجوع) بل يتمادى حتى ليعبّر في بعض الأحيان على نوع من العدوان على الذات والآخرين معاً، مما يذكرنا ببعض أنواع العدوان بالاتهام عند بعض أنواع الزواحف والعناكب.

(ج) غريزة التملك: ثمة نوع من التملك يتزايد حتى يصبح عدواناً، مثل سلوك التخزين Hoarding (باعتبار أن التخزين دافع أولي)، بما في ذلك من العدوان على الذات (اغتراباً) وعلى الآخرين (حرماناً).

ثالثاً: أسقطت ظاهرة العدوان في أشكال فنية أو شبه فنية في شكل أفلام العنف والإجرام والكاراتيه، وقد تقوم هذه الأشكال بالسماح بالتقمص الذي يمتص طاقة العدوان عند المشاهد، أو هو يفجرها في الخفاء عادة.

مظاهر العدوانية (الضارة) الصريحة

حين يفشل كبت العدوان يظهر صريحاً في صور متعددة، وقد يتخذ ذرائع تبريرية، كما قد يكون مباشراً تسلطياً ظالمًا، وعادة ما تستعمل كلمة "العدوانية" Aggressiveness لتمييز الصورة السلبية للعدوان ومن أمثلة تجلياتها ما يلي:

أولاً: تتفجر العدوانية بين الحين والحين في شكل حروب محلية أو عالية، عادة غير مشروعة ولا مبررة.

ثانياً: تتفجر الصراعات الطبقية، والعنصرية، بكل ما تحمل من حقد وانتقام واستغلال من كل جانب لآخر الأعلى للأدنى والأدنى للأعلى (باعتبار هذا الأخير هو الوجه السلبي للعدوان "العبد على السيد" في ديالكتيك هيغل).

ثالثاً: قد تأخذ العدوانية شكلاً لفظياً مباشراً مثل الهجاء، والسخرية، والأحكام الفوقية.

رابعاً: تتعدد صور العدوانية السلبي مثل العدوان بالإهمال أو بالتخلي (حتى ولو كان هذا التخلي تحت الشعار الأحدث: "أنت حر" مثلاً) وفي شكل "الرقعة المتفجرة" مما لا مجال لتفصيله هنا.

خامساً: هذا فضلاً عن العدوان المباشر والمجرّم في صور جرائم العنف خاصة.

الأهمية البقائية للعدوان:

إذا كان العدوان بهذه القوة وهذا الإلحاح، في نفس الوقت ليس له إلا أقل قدر من فرص التعبير الإيجابي والمسار البناء، ثم كانت صورته المحورة والخفية، وأيضا الصريحة العارية، هي من أخطر ما يمكن تصوره على مسيرة الإنسان عامة، فما هو الموقف المسئول تجاه كل هذا؟

مواجهة طبيعة العدوان

تتمنى المهتمون بالأمر (من الإثنولوجيين خاصة) أن نعود نستلهم الحيوانات، نسألهم ماذا فعلوا هم وعجزنا عنه نحن بورطتنا المرعبة، ذلك أن العدوان بين نفس النوع Intraspecies هو أمر شديد الخطر على نوع بذاته، بحيث حاولت أغلب الحيوانات تحقيق غايتها دون ممارستها الى نهايتها، وهى القتل، وقد أثار إريك فروم تساؤلا مزعجا يقول: هل الإنسان نوع واحد؟ حيث عرض احتمال أنه نظرا لاختلاف اللغات والألوان والأوطان، فإنه قد يكون استبدالنا لبعضنا البعض قد وصل إلى اعتبارنا أجناسا متعددة، لا جنسا واحدا كما أن تينبرجن شرح ذلك نصا في قوله: "... إن القاعدة أن كل الأنواع قد نجحت في تحقيق النصر دون أن يقتل أفرادها الآخر، وفي الحقيقة أنه حتى مجرد إسالة الدماء يعتبر حدثا نادرا فيما بينها، والإنسان هو النوع الوحيد الذي يمارس القتل الجماعي، الوحيد ذو الوضع الناشئ في مجتمعه". إن الحيوانات قد حذقت فيما بين أفراد نوعها لعبة الإنذارات والتهديد (فيما يشبهه الحرب الباردة) بدرجة ألفتها من القتال الفعلي أساسا، فضلا عن قتل أفرادها من نفس الجنس... وقد درس علماء الحيوان وعلماء الإثنولوجي هذه الإنذارات وتمنى بعضهم أن يحذق الإنسان مثل هذه الإنذارات، وأن يتعلم ترويض العدوان لإحلال التهديد محل القتل، حتى ضربوا مثلا سطحيا لذلك، وهو الضرب بقبضة اليد على المائدة بدلا من ضرب الخضم، وشبه بعضهم توجيه المسار هذا بعملية التسامي (أو الإعلاء) التي قال بها فرويد بالنسبة للجنس.

لكن الإعلاء والتسامي - أمل هؤلاء الباحثين- لا يمكن أن يقبل إلا كمرحلة من مراحل النمو، وحتى فرويد، الذي أعلى من شأن "التسامي" خصوصا بالنسبة للجنس، قد هوجم بشدة لما خق بالغرائز على يديه ثم على يدى أغلب أتباعه من "عقلنة" بسبب نقلها إلى موضوع رموز ونقاش دون استيعابها جدلا مشتملا.

وعلى الجانب الآخر بالغ البعض في قيمة إعادة التعليم كحل ترويضى (حضارى) يستنكر العدوان ويحل محله أساليب أخرى أكثر إنسانية ورقيا مما يليق بالإنسان. وإن كان هذا الحل يعد بترويض العدوان وإبداله، فإنه يتجاهل قيمته البقائية الأساسية. إن مثل هذا الحل الذى يقلبها حربا داخلية يمكن أن يكون الأساس المرضى لكثير من الاضطرابات النفسية على اختلاف أنواعها.

ومع التسامح تجاه هذه التمنيات الطيبة !!!، واخذر من أن ينقلب الإنسان على نفسه مجرد الخوف من الاعتراف بالحقيقة، فإننا نجد في مجال علم النفس والطب النفسى صورا لمضاعفات التماذى في الاقتصار على هذا الحل البادى السلامة.

احتواء الغرائز والفروض الأساسية

علينا - إذن - ألا نحل من مواجهة هذين السؤالين:

أولا: ما هو الموقف الخالى تجاه غرائزنا البدائية التى كانت فى صورتها الفجة لازمة لحفظ البقاء الفردى والنوعى معا؟

ترتيب المعطيات

أولاً: بالنسبة لغريزة الجنس:

1- إن الغريزة الجنسية، بكل صورها البدائية والتالية، موجودة في التركيب البشرى بتاريخه الحيوى كله، وكمثال: فإن مضاجعة الحارم هى من صلب السلوك البقائى للحيوانات وللإنسان حتى عهد قريب، فظهور مثل هذا السلوك على مستوى الحلم أو غيره (الجنون) لا يحتاج إلى تبريرات "أدبية" أو افتراض عقد تثبيتية، لأنه أصل في التكوين البشرى، ولعل التأكيد على هذه التفاصيل الدرامية الذكرياتية الفردية قد تضاعف للتخفيف من صعوبة مواجهة الطبيعة البشرية بتاريخها الصعب.

2- إن وظيفة الغريزة الجنسية البدائية هى حفظ النوع أساساً، وذلك بالتناسل، كما أن شكلها هو التلاحم الجسدى المتداخل، أما وظيفتها الأرقى لحفظ النوعية (نوعية الإنسان بما هو إنسان) فهى التواصل (العلاقة بالموضوع كما يسمونه) لإعطاء الإنسان ميزاته الاجتماعية وامتداد وجوده إلى الآخرين ومنهم، تعاوناً ورقباً **(الغريزة الجنسية من التكاثر إلى التواصل)**.

3- إن أشهر أشكال التعبير المعاصر لغريزة الجنس هو "الغرام" بمعنى الحب الثنائى بما يشمل معانى العشق والشوق والحنين وما إليها.

4- إن الميكانيزم الإبدالى السليم، في حالة العجز (النسبى أو المطلق) لغريزة الجنس عن التعبير المباشر هو "التسامى" الذى اعتبره فرويد بشكل ما أساساً لكثير من مظاهر الحضارة.

5- إن الكبت المفرط لغريزة الجنس إنما ينتج عنه استنفاد الطاقة التى تستعمل في الكبت وكذلك الحرمان من طاقة الجنس ذاتها، مما يترتب عليه اضطراب في النمو، فضلاً عن اضطرابات نفسية معينة تكاد تشمل معظم أنواع العصاب، وكثيراً من اضطرابات سمات الشخصية Personality Trait Disorder هو الأقرب إلى هذه المقابلة، وكان هذا هو اهتمام فرويد الأول، وهو ما يفسر اهتمامه بالعصاب - أكثر من الذهان- بشكل خاص.

6- إن نوع الإبداع الذى يمكن أن يستوعب الطاقة الجنسية الداخلية هو ما أسميه هنا **الإبداع التواصلى** الذى يبلغ من تناسقه وهماله أن يخلق لغة جميلة تواصلية بين المبدع والمستمتع.

7- إن التطور الأرقى لهذه الغريزة هو طاقة الحب (وليس مجرد الغرام)، بما يشمل معانى الرعاية و المسئولية والرؤية (مع تحمل التناقض) والتواصل لتحقيق حفظ النوعية (ما هو إنسان) وليس فقط النوع.

8- إن الهدف الأعلى هو الولاف بين النقااض الأولية (الجنس مع العدوان) ثم الولاف الأعلى فالأعلى (الوظائف الدوافعية مع الوظائف الترابطية "مثل التفكير")، وهى مرحلة مازالت نسبية، ونظرية جزئياً، فى مرحلة تطور الإنسان الحالية.

ثانيا: بالنسبة لغريزة العدوان

1- إن غريزة العدوان في صورتها البدائية (القتل والالتهام) موجودة في التركيب البشرى بتاريخه الحيوي. وقتل الأكبر سنا (مثلا: الوالد) لتوفير الطعام وإعطاء فرصة للاستمرار الحيوي قد لا يحتاج بالتالي إلى تفسيرات درامية ذكرياتية **فرويدية** أو **ديبية** تثبتية خاصة.

2- إن وظيفة غريزة العدوان (البدائية) الرئيسة هي حفظ الحياة (الاستمرار الفيزيائي) وذلك بالقتل أساسا، أما وظيفتها الأرقى مرحليا وتعويزيا فهي السيطرة للتنظيم الطبقي التمييزي المرحلي بالضرورة.

3- إن التعبير المعاصر عن هذه الغريزة هو "تأكيد الذات" في مواجهة الآخرين.

4- إن الميكانزم الإبداعي في حالة عجز هذه الغريزة (النسي أو المطلق) عن التعبير المباشر وغير المباشر هو التعويض التفوقى بالنجاح والمكسب والسيطرة والانتصار بكل صوره، ومثال ذلك ما يتم في التنافس الرياضى إما على حساب الفريق الآخر وإما في مواجهة الرقم القياسى السابق "كسر الرقم القياسى" .. (لاحظ تعبير "كسر").

5- إن الكبت المفرط لغريزة العدوان إنما ينتج عنه استنفاد طاقة أكبر لازمة لهذا الكبت بالإضافة إلى قمع طاقة العدوان ذاته، مما يترتب عنه توقف النمو، وفي بعض الأحيان يسبب ارتداد هذه الطاقة إلى الداخل في شكل تمزيق ذات للأخرى ثم تناثر الأثنان معا هذا وبرغم دعم لورنرز لفكرة فرويد عن وجود غريزة خاصة بالعدوان إلا أنه ذهب- كما نحاول التأكيد هنا- إلى أنها غريزة تحترم الحياة بشكل ما، في حين ذهب فرويد خاصة في مراحل تطور فكره الوسطى إلى أنها أقرب إلى التحطيم والموت.

6- إن الإبداع الذى يستوعب الطاقة العدوانية هو ما اسمه هنا "**الإبداع الخالقى**" الذى تتضمن إحدى مراحل تحطيم الكل القديم إلى مكوناته وجزئياته لإعادة صياغته مع أجزاء كل آخر تم (أو جار) تحطيمه بدوره، ثم صناعة ولاف أعلى من كل ذلك، وهو ليس إبداعا تواسليا إبتداء بل لعله يكون تنفييرا في البداية (كما سيأتى).

7- إن التطور الأرقى لهذه الغريزة هو **الإبداع الخالقى** على مستوى عالم الواقع (وليس عالم الفن كبديل)، ويشمل ذلك الثورة الاجتماعية والسياسية الحقيقية (خاصة غير الدموية).

8- إن الهدف الأعلى هو الولاى بين النقائص ظاهريا (الجنس مع العدوان) ثم الولاى الأعلى فالأعلى (الوظائف الدوافعية مع الوظائف الترابطية تحقيقا للتكامل الأقصى)، وهذه المرحلة حاليا هي مرحلة نظرية بالضرورة.

هذا الحل الصحى الذى يتم على مراحل قد تناول مرحلته الوسطى **ألفريد أدلر** كما نوهت قبلا، وذلك بالنسبة لحدثه

عن الميل إلى السيطرة، وعمّا أسماه (خطأ) "التأكيد الذكري"، وهي المرحلة المقابلة للتسامي بالنسبة لخل غريزة الجنس، على أن هذا الخل وذاك - كما أشرنا قبلا- هما حلان إبداليان، والإبداع في صورتيه (التواصل والخالق) هو المرحلة الأولى بالدراسة.

وفي هذه الأطروحة سوف أركز على **الإبداع الخالقي** أكثر من **الإبداع التواصلى** لأنه هو الذى يستوعب العدوان أساسا، على الرغم من أن فصل نوعى الإبداع عن بعضهما هو فصل تعسفى لأن علاقتهما جد وثيقة، حيث أن الغريزتين (الجنس والعدوان) في هذه المرحلة الأعلى من النشاط الإبداعى تقتربان من بعضها البعض في الإعداد للولاف الأعلى من خلال تلاحم تناقضهما الظاهرى، على الرغم من هذا التقارب الختمى، فإن تمييزا بين نوعى الإبداع قد يكون مفيدا للتوضيح، مع الاعتراف ابتداء بأنه تفسير تعسفى بشكل أو بآخر، وفي ذلك نقول:

الإبداع الخالقي

يتميز "الإبداع الخالقي" ما أسميناه (المستوعب للعدوان) بما يلي:

- 1- **تخطيم القديم في مغامرة فردية صعبة** تتصل بعامل الأصلة وتأكيد الذات أساسا.
 - 2- **إعادة خلق الجديد من جزيئات القديم المخطم**، بما يشمل المخاطرة بالوحدة والرفض.
 - 3- يتم هذا التحطيم وإعادة البناء عادة على حساب الآخرين- في البداية وظاهر الأمر- ذلك أنه يهزم ويقلقل استقرارهم ويشكك في معتقداتهم ويهدد سكينتهم.
 - 4- يلقى المبدع من جراء إبداعه الخلاق من الرفض والنبد والقسوة والاضطهاد ما يجعله في معركة حقيقية.
 - 5- يقاوم المبدع كل هذا بالوحدة والإصرار والاستمرار، مما يحتاج إلى كل طاقة عدوانه تجاه الآخر (الآخرين). ويدهى أن هذه الوحدة ليست عزلة بقدر ما هي مواجهة تحمل في طياتها فرصة أن تصب في النهاية فيما رفضته، وهذا هو الفرق الأعظم بين **العدوان في صورته البدائية والعدوان في صورته الإبداعية**.
- هذا، ولا بد من توضيح أن ما أعنيه بالإبداع الخالقي لا يقتصر على الإنتاج الإبداعى في مجال الفن أو الأدب خاصة، وإنما هو أعمق وأشمل تماما، فهو إنما يشمل:
- أ- المتلقى الناقد المبدع الذى يعيد صياغة ما يتلقى بنفس القدر من الهجوم، فأعادة الصياغة.
 - ب- التغيير الذاتى الإبداعى المشتمل على مغامرة طرق باب المجهول ثم إلى الجديد حتما.
 - ج- الإنشاء العلمى أو الأدبى أو الفنى الإبداعى المغير.
 - د- الموقف الإبداعى الحياتى المتجدد.

هـ- الثورة السياسية والاجتماعية والاقتصادية المغيرة الحقيقية المسنولة.

وكل ذلك فيه - بلا استثناء - ما فيه من تحطيم القديم وتحديه، ومن صناعة الجديد ومخاطره، بما يتفق مع المعالم الأولية لوظيفة غريزة العدوان كما أوضحناها.

أما **الإبداع التواصلي** فقد يكون مرحلة سابقة أو تالية أو بديلة عن الإبداع الخالقي، (وهو ليس بعيدا عنه أو مناقضا له) فالتواصل مع الآخر (وليس مواجهته بالوحدة فالاحتحام) هو الأصل في هذا النوع من الإبداع التواصلي، حيث يثابر المبدع ويستمر حتى يثير التنظيم المقابل الجديد في المتلقى، وهذا يمكن أن يقاس بالتواصل الجنسي. فأحيانا ما يكون مستقلا ومباشرا، وأحيانا ما يكون الجنس لاحقا للعدوان في بعض الأنشطة البدائية (دون حاجة إلى افتراضات سادية شاذة)، وأحيانا ما يحل الجنس محل العدوان.

الإبداع "التواصلي"

يتميز ما أسميناه "**الإبداع التواصلي**" (المستوعب للجنس) بما يلي:

- 1- لا يلزم تحطيم القديم حتى النخاع، وقد يكتفى بتحسينه حتى القبول.
- 2- ولا يشترط إعادة خلق جديد من جزئيات قديمة بقدر ما يشترط تناسق الجزئيات القادرة على التناغم مع نفس المستوى عند المتلقى.
- 3- ولا تتم هذه العملية على حساب (وفي مواجهة) الآخر - كخطوة حتمية- وإنما تتم لحساب، وسعيا إلى الآخر منذ البداية.
- 4- ولا يعاني مثل هذا المبدع رفضا وتهديدا حتميين، وإنما عادة ما يجد تقبلا واستحسانا من البداية.
- 5- والمبدع هنا لا يؤكد وحدته بنفس الحدة المطلقة - كخطوة أيضا- وإنما هو يأتسبب بمن يتحدث - ويتلقى - على نفس موجهه بشكل نسبي على الأقل، ومنذ البداية أيضا.

وقد يكون الإبداع التواصلي أقرب شئ إلى الفن **الموهبة** وهو فن تنمية القدرات الفنية الخاصة، وبالتالي فهو يشمل أغلب الإنتاج الفني والأدبي بصورة المتميزة والمألوفة، دون القفزات الطفوية التي تغير مسار صورته وأشكاله، بل ومسار الحياة برمته وقد افتطف **سيلفانو أريتي** في كتابه "الإبداع" رأى **ناثانيل هرش** في كتابه **الذكاء الخلاق** حيث فرق بين "الموهوب" والمبدع الخلاق الذي أسماه "العبقري" بفرقة هامة تختلط على الكثيرين حتى كاد يعتبرهما نقيضين: "**ففى حين أن الموهوب Talented يحسن الأداء فإن العبقري يصنع الجديد، والموهوب يتقن التحليل الجزئي في حين أن العبقري يعتمد على حدسه، والموهوب يتكيف ويحقق المكاسب في حين أن العبقري يعطى حياته كلها لهدف الخلق الإبداعي**".

هذه التفرقة رغم فائدتها ووجاهتها، ورغم موافقتي عليها من حيث المبدأ، إلا أنها تشير إلى استقطاب لا أوافق عليه، وما يهمني هنا هو أن هذا النوع من الإبداع التواصلى ليس بديلا عن الجنس (وإلا كان الأولى أن يسمى تساميا) ولكنه **ينطلق من الجنس** ليحتويه.

كذلك فإن الإبداع الخالقى ليس بديلا عن العدوان ولكنه **ينطلق من العدوان ويحتويه** فيحقق وظيفته الأصلية في أرقى مراحل تطوره قبل الاندماج في الولاى التكاملى الجديد.

وبعد

نظر لطول وتشعب الفروض، وأملا في حوار مثمر، اضطرت أن أوجل جزأين مكملين للفرض إلى نشرتى يوم الأثنين والاثنين القادمين (حيث ستشغل النشرة بالأبواب الثابتة أيام الخميس والجمعة والسبت) وسوف يشمل الجزء الثانى إضافات عن **"الذكورة الأنوثة والإبداع والعدوان"** وكذلك **"متابعات نقدية"**، من واقع مختارات من ملاحظات اكلينيكية ومواجهات علاجية، وأخيرا **"متابعات نقدية محدودة من الأدب (والإبداع الشخصى)"**.

أما الجزء الأخير (نشرة الأثنين) فهو نقد محدود للفرض نفسه نعرض فيه **المأزق** الذى يمكن أن نجد أنفسنا فى بؤرته ونحن نتصدى لتبئى أو تطبيق الفرض الأساسى له إذا تبينناه ومن ثم **مواجهة** هذا المأزق بالبحث عن **"مخرج"** ومن ثم فإن عنوانه هو **"المأزق - المواجهة - المخرج"**.

- لورنز وتينبرجن Tenbergen فى كتاب Comprehensive يمكن 1967

- يقول آرثر كوستلر Arthur Koestler ..إننا لو تتبعنا الخط الجنون الذى سار عليه تاريخ الإنسان فإنه قد يظهر أن هناك احتمالا كبيرا أن هذا الكائن العاقل Homo Sapien ليس سوى مخلوق بيولوجى شاذ، ناتج من خطأ واضح فى عملية التطور' ويقول فى موضع آخر: إن ظهور القشرة المخية الجديدة Neocortex (فى الإنسان) هى المثال الوحيد فى التطور الذى أعطى نوعا من الأحياء عضوا لا يعرف كيف يستفيد من استعماله.

- يختص هذا البحث أساسا بالعدوان بين أفراد نفس الجنس Intraspecies دون سواه.

الحب = العشق = البقاء

- وكان الموقف أضعف بالنسبة لغريزتى الموت Thanatos والحياة Eros (الحب العشق البقاء...). حتى أن فرويد لم يتمادى فى شرحها، أو الدفاع عنها، ولم تنتشر أفكاره حولها إلا بعد وقاته.

- عدد إريك فروم أربع عشرة من القبائل غير إسكيمو الأرض الخضراء (مثل قبائل الإنكاس والباشيجاس.. وغيرها) ممن اعتبرهم مجتمعات لا تتصف بالعدوان التحطيمى أصلا.

- يذهب بعض السلوكيين (مثل ج.دولارد وزملائه) إلى اعتبار العدوان ببساطة أحد مظاهر التفاعل للإحباط أساسا.

- نعلن تحفظنا ضد استعماله كلمة كريمة offensive لأى أثر بيولوجي، حيث العيب الذى جعله كريها ليس في وجوده وإنما في انفصاله عن الكل.

- ولعل هذا ما حاول أليسون فيترزسيمون تأكيده في حديثه عن الغضب والعدوان (وهو يستعملهما كمترادفين) في قوله: 'إن الغضب.. هو جزء لا يتجزأ من الحب ومن كل الدفاعات والتحفظات ضد الموت والقوى المهددة، وبالإضافة فإن هناك شيئا صحيحا ومفيدا في العدوان: هو أنه جزء من كل الأساليب الإبداعية'. (وهو لم يذكر كيف كان ذلك، وهذا ما سنحاول الوصول إليه في نهاية البحث).

- في حديث إريك فروم عن العدوان كتأكيد للذات Self Assertion حاول أن يدعم العدوان كخطوة أمامية (ضد النكوص كخطوة رجوعية).

- يحيى الرخاوى: دراسة في علم السيكوباتولوجى 1979 (شرح سر اللعبة)

- كما يمكن الرجوع إلى عرض إريك فروم (الخلل النفسى الحديث في كت ابه 'تشریح عدوانية الإنسان') لتطور وجهة نظر فرويد في نظرية العدوانية والتحطيم Freud's Theory of Aggressiveness and Destructiveness في تسلسل رائع منذ اعتبرها أولا (ثلاث مقالات في الجنس 1905) جزءا من المكونات الغرائزية Component instincts لغريزة الجنس، ثم أخذ يشك في وجودها كغريزة مستقلة (حالة هانز الصغير سنة 1909) حتى أعلنها مستقلة في 'ما فوق مبدأ اللذة 1920' دون اقتناع كامل، وكيف قرنها ابتداء بما أسماه غريزة الموت، أى أنه نظر إلى فاعليتها السلبية والتحطيمية أساسا، وظل فروم يستعرض التطورات التالية حتى قرب وفاته (1938) حيث أكد أخيرا '...إن العدوانية بصفة عامة هي ظاهرة غير صحية وتؤدي إلى المرض' (لاحظ استعمال عدوانية Aggressiveness وليس عدوانا Aggression التي نادرا ما كان يشير إليها والتي هي موضوع بحثنا هذا).

- كلا من ستور Storr, A. (1970) (أنظر القراءات) وألفرد أدلر.

- هذه المرحلة تحتاج إلى تفصيل لا يمكن أن يستوعبه هذا البحث، رغم أن ما يهم في هذا البحث في المقام الأول هو عرض الخلل الصحى المنطقى لانطلاق العدوان وليس الصورة المرضية لمضاعفات كيبته.

- قد يكون موقف سارتر من جحيم الآخر موقفا مبدعا بالضرورة، من هذا المنطلق بالذات.

الخميس 20-03-2008

202-قراءة في أحلام فتاة النقاوة

(حلم 41) ، (حلم 42)

حلم 41

قال لي السمسار: لا تضجر ولا تياس بلزمك الصبر الجميل. وكنت أعرف أنه على علم بسر قلبي. وأنى مهدد بأن أفقد المأوى وأجد نفسي في الطريق. قلت له بأنى رأيت من المساكن عدد شعر رأسى، ولكن الأسعار دائما فوق قدرتى. وما هذه المساكن الخيالية التي يقدر ثمن الشقة فيها بالمليون. والعجيب أنه أكد لي أن أربع زميلات لي يملكن شققا في هذه المساكن الخيالية. وغبطن على قدراتهن الخارقة، وقال لي الرجل إن الأمل الأخير في عمارة الحاج على جى الحسن وأن علينا أن ننتظر عودته من الحج وقلت له إننى أذكره من أيام إقامتنا في الحى العتيق وإننى كنت أشتري منه الفول أحيانا بنفسى فضحك الرجل وقال إن هذا ما يقوله الكثيرون ممن يرجون امتلاك شقة في عمارته الجديدة.

قلت بخوف: إنه الأمل الأخير.

فقال بلهجة مشجعة 'عليك بالصبر الجميل'.

* * *

القراءة

نهاية هذا الحلم تغرى بأنها نهاية مفتوحة، لكنها ليست كذلك، فقد بدأ بالتوصية بالصبر الجميل، وانتهى بالتوصية بالصبر الجميل، وكأنه أغلق الدائرة، لقد خيل إلى في البداية أن هذه النهاية بهذه التوصية تفتح باب أمل ما، لكننى تراجع كما أشرت.

تواترت النهايات المفتوحة في الأحلام/الإبداع أكثر من توقعاتى حتى أنى شعرت أنى أصاح نهايات محفوظ بشكل أو بآخر، فكم تحفظت عليها وحاورته بشأنها، ليتقبل - كعادته - اعتراضاتى بطيبته الخائبة التي لم أكن أتبين حقيقة ما تعنيه، هل هو يقبل رأى؟ أم أنه يطيب خاطرى مثل عادته مع معظم الناس!؟ حتى ملحمة الخرافيش، أعظم أعماله قاطبة (أيضا هي كذلك من وجهة نظره شخصيا)، اعترضت عليها في نقدى المنشور، وشرحت له وجهة نظرى تفصيلا في حديثى معه، وكيف أننى متحفظ على تلك النهاية العالية الصوت "بالتوت والنبوت"، ثم إننى اعترضت أكثر على عرفة وهو يأمل في إحياء الجبلاوى في نهاية "أولاد حارتنا"

النهايات في الأحلام هنا عموماً - بدت لي - مفتوحة أكثر مما كنت أتوقع.

لم أجد في متن هذا الحلم - أيضاً - ما يشدني إليه، حتى التلميح إلى قدرات الزميلات الخارقة للحصول على ثمن شققهم التي يقدر ثمن الواحدة فيها بالمليون، حتى هذا التلميح لم أجد فيه ما يثير، ولا شدني الغمز العابر لأضل الحاج ("بائع الفول" سابقاً)، وكيف أصبح مالكا لكل تلك الملايين، وأنه ربما اتبع السنة الجديدة بالحج كل عام تكفيرا عن ما جمع، وتمهيدا لما سيجمع، ليبنى مزيدا من العمارات المليونية،

العلاقات الحميمة القديمة لا قيمة لها مع مثل هذا الحاج، وخصوصاً وأن الكثيرين يزعمونها، هذا حاجٌ كما ينبغي أن يكون الحج التجاري الحديث، وهو يعلم لمن يبيع شقته ممن يستطيع جمع المليون على المليون، وهن بعد زميلات لموظف متوسط.

كما قلنا: يبدأ الحلم بنصيحة السمسار "لا تضجر ولا تياس بلزمك الصبر الجميل".

وينتهي وهو يقول له بلهجة مشجعة نفس الألفاظ "عليك بالصبر الجميل"

وهكذا تغلق الدائرة على صبر ليس له نهاية.
كيف يكون الصبر جميلاً داخل دائرة مغلقة هكذا!؟

* * *

حلم 42

السفينة تشق طريقها بين أمواج النيل الرزنية. نحن جلوس على صورة دائرة يقف في مركزها الأستاذ. وضح أننا نؤدي الامتحان النهائي. وكان مستوى الإجابات ممتازاً. وتفرقنا نشرب الشاي ونأكل الجاتوه. وتسلمنا شهادات النجاح وعند المرسي وقفت السفينة وغادرتها، وكل يحمل شهادته في مطروف كبير. ووجدت نفسي أسير في شارع عريض خال من المباني ومن المارة ولاح لي مسجد يقوم وحيداً فالتفت نحوه لأصلي وارتاح قليلاً، ولكن تبين لي حال دخولي أنه بيت قديم، هممت بالرجوع، ولكن جماعة من قطاع الطريق أحاطوا بي وأخذوا الشهادة والساعة والمحفظة، وانهلوا على ضربها ثم اختفوا في أرجاء البيت.

خرجت إلى الطريق وأنا لا أصدق بالنجاة. وبعد مسيرة يسيرة صادفتني دورية من الشرطة فهرعت إليهم وحكيت لقائهم ما وقع لي.

وسرنا جميعاً نحو بيت اللصوص، واندفعوا داخلين شاهري أسلحتهم ولكننا وجدنا أنفسنا في مسجد والناس يصلون وراء الإمام. وحصل ذهول وتراجعنا مسرعين وأمر قائد الدورية بإلقاء القبض علي. وجعلت أؤكد ما وقع لي وأقسم بأغلظ الأيمان ولكن وضع لي أنهم أخذوا يشكون في عقلي على أني لم أكن دونهم حيرة وذهولاً.

* * *

القراءة

تمهيدا للقراءة للجامعة أصبح الربط مغريا بدءاً من بضعة أحلام مضت، الأمر الذي يعد بقراءة تعيد تشكيل العمل مشتملا، هنا يلوح الربط بين النيل والنهر، بين قارب وسفينة، بين ملاح وملاح،

النيل هنا يلبس ثوبا مختلفا عما ظهر به من قبل.

الأمواج هنا رزينة، مقارنة بمجم (20) حين كان القارب يدعوها وهما يسبحان حوله ويغنى الملاح "رايداك والنبي رايداك".

جميل أن توصف الأمواج هنا بالرزانة،

هل هذه السفينة هي الرحم وقد عاد للظهور أيضا، بمثل الإحاطة والأمان حين إتمام الإعداد لمغادرته "وقفت السفينة، وغادرناها كل يحمل شهادته".

لعل أهم ما في ذلك المظروف كان شهادة "الاعتراف بقدمنا" وبه تسجيل الاسم، والتاريخ، والديانة التي يختارها لنا أهلنا برزانة وثقة، أليست تلك الشهادة التي يحملها كل منا في مظروف كبير به كل ما ورثناه جينيا، مضافا إليه ما أثبتته أهلنا في أوراقتنا، إلا تحديداً للخطوط العامة التي علينا ألا نتعداها.

أليس هذا التحديد المبدئي هو الذي قد يجرمنا من الالتحام مع المختلفين عن ديننا؟ فبمجرد أن ننزل إلى الشارع (الواقع الخي) تخلو الحياة منهم، وكأننا نلغيهم مهما زعمنا التحاور معهم، (شارع عريض خال من المباني ومن المارة). إن هذا الإلغاء للأخرين المختلفين لا يؤدي إلا إلى تراث بال لا يجلب الراحة، ولا حتى يدعم الهوية المثبتة أو يحمي بقية محتويات المظروف من النهب، مع أنه لاح مسجداً "وحيدا" من بعيد.

ها هو صاحبنا يكتشف أن مثل هذا التوصيف المرصود في الشهادة داخل المظروف الكبير إذا لم يكن مجرد بداية طيبة، نحو الكدح إليه "معا"، فإننا نكون قد انفصلنا عن الحاضر إلى جمود قديم، وبالتالي يصبح كل ما تصورنا أننا نمتلكه عرضة للنهب من قاطع طريقنا "إليه" حتى ونحن داخل بيت التراث العتيق (قرأت كلمة الطريق بهذا المعنى الصوفي) هذا ما حدث له وهو يهم بالعدول عن الدخول للمسجد الوحيد البعيد المهجور القديم،

حين نكتفى أن تكون مرجعيتنا الأساسية أو الوحيدة هي "بيت قديم" وليس منارة مشعة (نور على نور) تصيح هويتنا عرضة للنهب نتيجة حرماننا من الجهاد الأكبر، من السعي إليه، وما نحن أولاء نفقد حتى الهوية الجاهزة (المظروف) بعد أن يقطعوا علينا "الطريق".

المسجد الآخر الذي لاح من جديد، هو غير المسجد الأول (البيت القديم)، وهو كان قابعا وراء واجهة منزل اللصوص، ولم يتكشف للراوى أو للشرطة أنه كذلك، إلا وهم بداخله، وهم يندفعون إليه شاهرخوا السلاح، والناس يصلون وراء الأمام؟

بدأ لى هذا المسجد الآخر أنه الوجه الآخر لسلطة دينية أحدث، سرقت واحتكرت أيضا تحديد الهوية والمسار.

المسجد الأول تبين عن بيت قديم، وبيت اللصوص انقلب مسجداً، له إمام ووراءه مصلون، لم يمنعوا أن تنقلب الشرطة (السلطة الثالثة) التي استنقذت بها إلى سلطة ظالمة تقبض على المجنى عليه، وهو برئ بلا هوية.

النقلات الأربع من رحم السفينة، إلى شارع نُفِي منه من ليسوا كذلك، نحو سلطة تراثية، لا تحمي من إغارة قطاع الطرق، إلى سلطة دينية تقليدية غائبة لا تؤم إلا أتباعها، ولا يهمها أن تكمن قابعة وراء واجهة بيت اللصوص، إلى سلطة مدنية تنقلب من خدمة البشر وحماية المجنى عليهم إلى القبض عليهم متهمين دون جريرة.

كل هذه النقلات إنما تعلن التبرص بالإنسان المرمج دون جريرة، الإنسان الذي لم يستطع أن يحتفظ بهوية لم يختزها، والذي لم يحميه من السرقة أن يلجأ إلى بيت قديم لاح له مسجداً، ولا حتى إلى بيت اللصوص الذي وجده أيضاً مسجداً به إمام لا يرى إلا من يصلى خلفه.

فإذا استنقذنا بمن نتصور أنه يمكن أن ينقذنا انقلب علينا وصرنا المتهمين، ولا أحد يسمع لنا،

إن من يريد أن يتحرك بعيداً عن أى من هذا يلقي جزاءه،

يلقى القبض عليه، وهو المجنى عليه.

ولا يُسمع له،

النتيجة الطبيعية لكل ذلك هي الخيرة والذهول أو الاتهام بالجنون،

أو كل ذلك.

الجمعة 21-03-2008

203- وار بريد الجمعة

مقدمة عن الصدفة، والإلزام، والمتلقى!

الصدفة

لا أعرف، وأنتم تعرفون أنني لا أعرف، ما الذى دعاني إلى كتابة هذه النشرة اليومية هكذا، وفجأة، دون استشارة أحد!! واليوم وصلنا العدد 203، هل هى الصدفة؟، مجرد خاطر؟، كسر وحدة؟، كل هذا؟ ولم لا؟

إلحاح أن أنقل ما وصلنى إلى أصحابه، وأنا لا أعرف - على وجه التحديد - من أصحابه؟

ما وصلنى هو ما وصلنى: من المرضى، والخبرة، والناس، والكلمات!

ربما!!

دافع الاستمرار هو شئ آخر، هو أقرب إلى طبعى القديم/ الجديد

الإلزام

كتبت فى بريد سابق كيف غامرْتُ فألزمْتُ - أدبيا وربما غير ذلك- أغلب، أو كل من أعتبُرُ نفسى مسئولا عن تدريبهم على مهنتى الصعبة التى اختاروها والتى أمارسها بصفتى "صناعى" قديم، ربما يحق له أن يحصل على لقب "معلم"، ألزمتهم لمدة ستة أسابيع فى المقطم وأسبوعين فى قصر العينى بالتعقيب على ما أكتب - دون أى ثواب لمن يعقب أو عقاب لمن لا يفعل - فجاءتني التجربة بعد انتهائها شديدة الثراء، باهرة الروعة، بما أحيأ فى آمالا عريضة فى الأصغر فالأصغر، وبالتالى حملنى مسئولية أكبر فأكبر.

المتلقى

مازلت لا أعرف تحديدا لمن أكتب، ولا من هو المتلقى، وإن كانت الكفة تميل أكثر فأكثر (دون رغبة منى أو موافقة) إلى أن ترجح كفة من جاء ذكرهم فى آخر الفقرة السابقة، صغار المتخصصين. وبالرغم من ذلك، فأنا أجاهد نفسى أن أتذكر دائما أن أساتذتى الحقيقيين لم يكونوا من داخل المهنة، هم المرضى، وديستويفسكى وزوسكند ونجيب محفوظ وصلاح عبد الصبور، وأمثالهم من المبدعين، ثم عامة عامة الناس (من أهل المرضى،

وكل من سمح لي أن أجلس بجواره على حصيرة أو سلم بيت، أو مصطبة دار، دون هدف أو موعد سابق، تساءلت: كيف أتلقى خبرة حياتي من فريق أوسع، ثم هأنذا أوجه أغلبها إلى عدد محدود متخصص؟

ليس عندي جواب جاهز.

ربما يرجع ذلك إلى الشك في قدرتي على إبلاغ ما أكتب إلى عامة الناس بالقدر الكافي برغم ظهوري هنا وهناك، وكتابتني كثيرا (وليس أحيانا) خارج نطاق تخصصي، لكنني مازلت أشعر بالفارق الشاسع بين ما تيسر لي إبلاغه، وما يلخ على لأقوم بإبلاغه إلى عامة الناس وليس فقط إلى المتخصص

لعلني بهذه المقدمة، أفسر انتقائي لموضوعات بريد اليوم

أولاً: سوف أبدأ بعرض تسجيل الاستجابات الشديدة الدلالة للعبتين الأخرتين (**الحق في الفرحة، ومأزق التغير**) بأقل قدر من التعليق، فقد وجدت أنها استجابات تلقائية (لأنها كانت بعيدة عن تعليمات الإلزام) كما أنها تخاطب الشخص العادي (غير المتخصص) كما تخاطب المتخصص في نفس الوقت، ثم إنني أعترف أنني فوجئت بأن هذا المنهج يحرك أصول القضايا والمفاهيم والقيم المعروضة **من داخلنا ابتداءً**، بدلا عن أن نتلقى، أو نلقى ما نعرفه عنها في صورة تعريفات وتصنيفات جاهزة من خارجنا.

وسوف أخق بهذا الجزء اقتراحا رائعا قدمه صديقي جمال التركي (وسوف أكف عن وصفه بابني فهو الذي أرشدني إلى هذا التحول كما سترون في خطابه)، أقول سوف أخق بهذا الجزء اقتراحه بكتابة كل الألعاب التي نشرت بالعربية الفصحى لتصل كل العالم العربي. لقد اقترح جمال ذلك بتلقائيته الرائعة، وبعد إجابتيه على اللعبتين (الفرح، والتغير) بالعامية التونسية، اقترح أن أقوم بترجمة الألعاب أولا بأول إلى الفصحى.

بعد إذنك يا جمال، وبعد الترجمة، وجدت أن عاميتنا، وعاميتك، تستجلب من داخلي المشاعر التي أسعى للكشف عنها أكثر عمقا وأجهز سلاسة، مع أنني أحب الفصحى أكثر، حتى الحوار في رواياتي وقصصى هو بالفصحى، ثم إنني بعد اقتراحك هذا، وترجمتي الألعاب من العامية للفصحى، انتبهت إلى أن اللغة الأم هي العامية لا الفصحى، هذه الترجمة تبعدنا عن غور اللغة ونبض رنين الكلمات، هذا بالضبط ما كتبته في مقدمة ديواني بالعامية "أغوار النفس" وما كنت منتهبا آنذاك لمعنى كلمة "يترجم" التي وردت هكذا:

"أصل الحدوته المرأ دي كان كلها حس
واخس طلعلى بالعامى بالبلدى الخلو
والقلم استعجل
مالخشي يترجم
لتفوئته أيها همسة أو لمسة"

أو فتفوتة حس
معلش النوبة
المزادى سماح

واهى لسه حبيتي
حتى لو ضررتها غازية بتدق صاجات"

هذا ما شعرت به يا جمال
ومع ذلك قمت بالترجمة من العامية للعربية، لعلى نجت
وفى انتظار رأيك .

ثانياً: سوف أقدم التعقيب على لعبتي الفرحة والتغير
مع تعقيب موجز ما أمكن بعد كل لعبة

#####

مرة أخرى - ليست أخيرة- أعتذر لبقية الذين أجلت الرد
عليهم، كما أرجو تصحيحاً مؤقتاً للموقف أن يمتد الحوار إلى
الغد (السبت) بدلا من التعتة استثناء (أليس كله تعتة؟)

#####

والآن إلى الألعاب.

أولاً: استجابات لعبة التغير

د. جمال التركي:

صديقى العزيز

أشارككم مرة أخرى لعبة هذا الأسبوع حول الثبات والخوف
من التغير باللهجة التونسية (أعمى مستقبلاً إضافة ملحق في
آخر المقال لعرض اللعبة باللغة العربية الفصحى).

اللعبة الأولى: أنا خايف نتبدل.. يمكن **ما نوليش أنا**)
لا أكون أنا).

اللعبة الثانية: أنا لو كان قعدت كيف ما أنا هكا على
طول ... يمكن **ماعادش نجم نعيش في المجتمع** (لا أستطيع
التأقلم مع المجتمع).

اللعبة الثالثة: أنا لازم نتبدل.. على خاطر **دوام الحال**
من الحال (لأن دوام الحال من الحال).

اللعبة الرابعة: أنا باش نتبدل لازم نحسبها ميات مرة..
وإلا نضيع روجي (وإلا أضيع نفسي)

لعبة إضافية: أنا باش نتبدل لازم نحسبها شوية... يمكن
وقتها نقبل حالتى الجديدة (عندما أقبل وضعيتى الجديدة)

اللعبة الخامسة: أنا لو كنت نعرف ايش ماشى يصير كيف
نتبدل و ايش ماشى يكون مصيري كنت **ما ترددتش باش نتبدل**
(لم أتردد فى التغير)

اللعبة السادسة: أنا مستحيل نقبل باش نتبدل.. إلا لو كان تأكدت أن هذا يجيني أحسن (تأكدت أن هذا يثريني ويجعلني أفضل).

اللعبة السابعة: أنا لو كان نتبدل لازم نعمل حسابي إني نحافظ على اللي باهي في أنا (أحافظ على ما هو إيجابي في شخصيتي).

اللعبة الثامنة: ظاهري أنني نتبدل بالسيف عليا إنما في اللي ما عنديش فيه إرادة (إنما فيما لا أملك إرادة فيه).

اللعبة التاسعة: أنا حتى لو كان عرفت كيف نتبدل ايش ماشي نصير.. فأنا لازم نفكر وما نقبلش بسهولة (فأنا ينبغي أن أفكر ولا أقبل بسهولة).

اللعبة العاشرة: أنا نتبدل، فاش قام!! مش لازم نفهم روعي شو نحب وشو ما نحبش (أفهم نفسي ما تريده و ما لا تريده)

د. يحيى

ابتداءً يا جمال أرجو أن تقرأ محاولة الترجمة إلى الفصحى في نهاية البريد (الملحق) وكيف أننى وجدت أن الفصحى أقل قدرة على استجلاب عمق المشاعر وما يصحبها من معرفة، تصوّر يا جمال أن العامية التونسية أوصلت إلى مشاعرك أقرب!! وأنت تعلم مدى غربتها على، المهم دعنا نحاول في كل اتجاه.

#####

عرض الاستجابة للألعاب
د. محمد يحيى الرخاوي

ملحوظة: قررت هذه المرة الاستجابة للعبة (مرفقة قبل قراءة المقال، لعلى لا أتأثر بالمكتوب وأتردد (كالعادة) في الاستجابة، وشكراً.

اللعبة الاولى: أنا خايف اتغير... حسن ما عرفش اعمل اللي باعرف اعمله دلوقتي

اللعبة الثانية: أنا لو فضلت زى ما انا كده على طول ... يمكن أموت ناقص عمر

اللعبة الثالثة: أنا لايد اتغير..علشان.... أحقق - بقى- اللي نفسي احققه طول عمري وموش عارف

اللعبة الرابعة: أنا علشان اتغير لازم أحسبها ميت مرة.... وإلا يمكن ولا أطول بلح الشام ولا عنب اليمين

لعبة إضافية: أنا علشان اتغير لازم أحسبها شوية يمكن أكون باقلب الترابيزة من غير لا تغير ولا حاجة

اللعبة الخامسة: أنا لو عرفت لما اتغير حابقي إيه أو حاروح فين، كنت حاولت أكثر

اللعبة السادسة: أنا مستحيل أقبل اني اتغير...، إلا لو تأكدت إني موش حافض اللي فات واعريه زيادة عما احتمل

اللعبة السابعة: أنا لو حاتغير لازم أعمل حسابي
 إن.....ما أذيش اللي حواليه
 اللعبة الثامنة: الظاهر أنا باتغير غصب عني، إنما موش
 للدرجة اللي أنا عاوزها، ولا بالسرعة اللي انا عاوزها
 اللعبة التاسعة: أنا حتى لو عرفت حاتغير أبقي إيه
 فأنا حاشك في التغير ده شوية
 اللعبة العاشرة: أنا أتغير بتاع إيه !! مش الأول.....
 أخلص اللي ابتديته

د. يحيى

يا محمد، لا أعرف لماذا فرحت بمحاولتك هذه مع أنك شاركتني
 ذات مرة وأنا أقدم هذا البرنامج في القناة الثقافية وأيضاً
 مرة أو اثنتين في ندوات المستشفى،

تصور أنى تعرفت على جانب أوضح من مسيرتك ومنك،
 بل أنى شعرت أنك أيضاً تعرفت على جانب آخر منك،
 ياه يا محمد!!

هل يمكن أن تقوم هذه الألعاب بدور ما فيما نريد توصيله
 أو تحريكه فينا وفي الناس؟

هل هي منهج آخر للمعرفة الأخرى؟
 قل يارب !

#####

أ. ولاء أمين

اللعبة الأولى: أنا خايف اتغير... لحسن ابقى لوحدي
 اللعبة الثانية: أنا لو فضلت زى ما انا كده على طول
 .. يمكن ماستفيدش حاجة
 اللعبة الثالثة: أنا لابد اتغير ... علشان يمكن ابقى احسن
 اللعبة الرابعة: أنا علشان اتغير لازم أحسبها ميت
 مرة.... وإلا هندم
 لعبة إضافية: أنا علشان اتغير لازم أحسبها شوية يمكن
 الاقي انه احسن افضل زى ما انا
 اللعبة الخامسة: أنا لو عرفت لما اتغير حابقي إيه أو
 حاروح فين كنت قررت على طول
 اللعبة السادسة: أنا مستحيل أقبل انى اتغير ... إلا لو
 مفيش حل ثاني
 اللعبة السابعة: أنا لو حاتغير لازم أعمل حسابي إنى يمكن
 ما عجبش نفسي
 اللعبة الثامنة: الظاهر أنا باتغير غصب عني، إنما مش
 راضية اعترف بكده

اللعبة التاسعة: أنا حتى لو عرفت حاتغير أبقي إيه
..... فأنا

اللعبة العاشرة: أنا أتغير بتاع إيه!! مش الأول اعرف
أنا إيه دلوقتي
د. يحيى:

ماذا أقول يا ولاء!، ربنا يخليكي،
واحدة واحدة.

أنت ذهبت وجئت، ثم جئت وذهبت تجربة محسوبة وصعبة
وصادقة،

ولا يهملك سوف يحدث يا شيخة!

#####

د. محمد غنيمي

اللعبة الأولى: أنا خايف اتغير، لحسن ابقى مش طبيعي
اللعبة الأولى: أنا خايف اتغير، لحسن ما اقدرش على
التغيير، أزداد فشل وإحباط، وأنا مش ناقص

اللعبة الثانية: أنا لو فضل زى ما أنا كده على طول
، يمكن الأمور تتعدل بعد كذا من حيث لا أحتسب مش عارف
اللعبة الثالثة: أنا لابد اتغير، علشان احس بقيمة
نفسى

اللعبة الرابعة: أنا علشان اتغير لازم أحسبها ميت مرة
، وإلا مش هاتغير صح

لعبة إضافية: أنا علشان اتغير لازم أحسبها شوية يمكن
ربنا يكرم ، والشوية دول يفيدوا أكثر من الميت مرة
اللعبة الخامسة: أنا لو عرفت لما اتغير حابقى إيه أو
حاروح فين كنت لازم طبعاً اخلى عندى شوية دم وما تأخرش
أكثر من كذا

اللعبة السادسة: أنا مستحيل أقبل انى اتغير، إلا لو حد
ساعدنى عليه

اللعبة السابعة: أنا لو حاتغير لازم أعمل حسابى إنى ممكن
ارجع تانى ، بس ما اتماش دا يحصل

اللعبة الثامنة: الظاهر أنا باتغير غضب عنى، إنما للأسف
للأسوأ

اللعبة التاسعة: أنا حتى لو عرفت حاتغير أبقي إيه،
فأنا ممكن افضل كذا

(مش عارف ليه حسيت الإحساس السلبي دا دلوقتي بالذات ،
أعوذ بالله)

اللعبة العاشرة: أنا أتغير بتاع إيه !! مش الأول اعرف
..

د. يحيى

فرحت يا محمد أنك كررت لعب اللعبة الأولى، وهذا وارد، وأريد أن أوصي به، بل إنني فكرت أنه قد يكون مفيدا أن نكرر نفس اللعبة دون أن نرجع لاستجاباتنا الأولى، قل مثلا: بعد سنة. ما رأيك؟

وفي نفس الوقت تعجبت لأنك لم تجب أصلا على اللعبة العاشرة وهذا وراود أيضا.

(أحب أن أقول لك أن من يرى هذه الرؤية هكذا لا يمكن أن يكون تغييره إلى الأسوأ (اللعبة الثامنة).

#####

د. نرمن عبد العزيز

اللعبة الأولى: أنا خائف أتغير أحسن ما أقدرش أستحمل أعيش في وسط البشر يا إما يكون صعب على البشر يعيشوا معايا

اللعبة الثانية: أنا لو فضلت زى ما انا كده على طول.. يمكن أتعب أوى في حياتي وما أحققش اللي نفسي فيه برضه

اللعبة الثالثة: أنا لابد اتغير... علشان أوصل لمعادلة تساعدني أعيش بشكل متوازن أكثر وضميري مستريح أكثر

اللعبة الرابعة: أنا علشان اتغير لازم أحسبها ميت مرة.... وإلا مش حاتكيف مع التغيير وهارجع أسوأ من الأول

اللعبة الخامسة: أنا لو عرفت لما اتغير حابقي إيه أو حاروح فين كنت بذلت جهود أكبر في محاولات التغيير دى

اللعبة السادسة: أنا مستحيل أفيل ان اتغير، إلا لو حاتغير عشان أسعد اللي بأحبهم وأسعد نفسي في علاقتي برينا

اللعبة السابعة: أنا لو حاتغير لازم أعمل حساب...إنى حاتم كثير ولازم استحمل وماينفesch استسلم وأنسحب قبل ما أوصل للتغيير اللي يريحني

اللعبة الثامنة: الظاهر أنا باتغير غضب عني إنما بأقاوم أحيانا وده اللي محسني انى ممكن لما أتغير بمزاجى أوصل حاجة تستحق أتعب عشان أوصل لها

اللعبة التاسعة: أنا لو حتى لو عرفت اتغير أبقى إيه.... فأنا كفاية نيتي قبل ما اتغير كانت ناوية توصلنى لأرقى درجات التغيير

اللعبة العاشرة: أنا اتغير بتاع إيه!! مش الأول اتصالح مع كل اللي فات وكل اللي وصلت اليه بين ايديا دلوقتي عشان أعرف أنا كنت ايه وبقيت إيه وأعرف ساعتها عاوزه أوصل لأيه.

د. يحيى:

احترمت رغبتك يا د. نرمن في التكيف، وامتداد رغبتك إلى سلامة علاقتك مع الناس، لكن وصلني شيء أشبه بالتفكير الطيب الآمل، مع أننا في مخاطرة مجهولة، مثلاً: حكاية "أرقى درجات التغيير"، وإعطائك أهمية للمعرفة العقلية المسبقة، لكن ذلك لم يخف عني بصيرتك الأعمق بأن التغيير هو شيء آخر مثلما ورد في استجابتك في اللعبة الأولى مثلاً: "صعب أعيش في وسط البشر يا إما صعب على البشر يعيشوا معاً"، وأيضاً الثانية: "... أتعب قوى في حياتي".

#

د. تامر فريد

اللعبة الأولى: أنا خائف أتغير لحسن أكتشف إن ده كان لازم يكون من زمان
د. يحيى:

بصراحة يا تامر أنا فرحت أنك لعبت اللعبة الأولى فقط،
جانز! لماذا لا؟

طيب يا تامر، وافرض كان ده صحيح، وطلع أنه كان لازماً أن تتغير من زمان، وزمان هذا قد أصبح، ولا مؤاخذه "كل سنة وأنت طيب"،

نحن الآن!

"مش آن الأوان"؟!

#

أ. مصطفى حسن

اللعبة الأولى: أنا خائف أتغير... لحسن..... التغيير
ما يطلعش زى اللي نفسى فيه

اللعبة الثانية: أنا لو فضلت زى ما انا كده على طول ..
يمكن الخيط بتاع التغيير يروح من إيدي
اللعبة الثالثة: أنا لابد أتغير ... علشان التغيير جاي

اللعبة الرابعة: أنا علشان أتغير لازم أحسبها ميت
مرة.... وإلا التغيير مش هيبقى ليه طعم

لعبة إضافية: أنا علشان أتغير لازم أحسبها شوية يمكن
أشوف إني لازم أعملها دلوقتى مش بعدين
اللعبة الخامسة: أنا لو عرفت لما أتغير حابى إيه أو
حاروج فين كنت اطمنت شوية على إن التغيير مش حاجة أى كلام
اللعبة السادسة: أنا مستحيل أقبل إني أتغير ... إلا لو
حسيت إن التغيير ممكن وليه علامات بتقول انه ممكن

اللعبة السابعة: أنا لو حاتغير لازم أعمل حسابى إني برضه
ممكن أتغير تانى

اللعبة الثامنة: الظاهر أنا بتغير غصب عنى، إنما الأحسن إنى أتصاحب على التغيير بتاعى أول بأول
اللعبة التاسعة: أنا حتى لو عرفت حاتغير أبقى إيه
.... فأنا برضه ماستغناش عن التغيير
اللعبة العاشرة: أنا أتغير بتاع إيه!! مش الأول أغير فكرتى عن التغيير ذاته

د. يحيى:

يا خبر يا مصطفى!! هل هذا ثمرة لقائنا الأسبوع الماضى عندكم فى جدة؟

ياليت!! إذا كنت واعي بكل ذلك فلماذا كان الصمت؟

ولماذا كان الخوف؟ أقصد: لماذا الخوف؟

ولكن إليك هذين التعليقين

أولاً: اللعبة السادسة:

طيب بالله عليك، كيف تشعر أن التغيير ممكن وله علاماته بتقول إنه ممكن،

يا شيخ، هل يكون هذا تغييراً؟

ثم أنت أنت الذى تقول بمذق مغامر

اللعبة السابعة والثامنة:

7- ... أعمل حسابى أنى أتغير تانى

8- .. أتصاحب على التغيير بتاعى أول بأول

يا خبر يا مصطفى على الوعى الحساس من أكثر من جانب

ربنا يخليك، وتتغير

ولا يهملك!

#

أ. رامى عادل

اللعبة الاولى: أنا خايف اتغير... لحسن ارجع زى ما كنت

اللعبة الثانية: أنا لو فضلت زى ما انا كده على طول .. يمكن اتغير

اللعبة الثالثة: أنا لابد اتغير ... علشان اكسب ماده.

اللعبة الرابعة: أنا علشان اتغير لازم أحسبها ميت مرة.... وإلا هتبقى مخاطره جديده ومش محسوبه بالمره

لعبة إضافية: أنا علشان اتغير لازم أحسبها شوية يمكن فى تغيير افضل وايجابى اكثر بكثير.

اللعبة الخامسة: أنا لو عرفت لما اتغير حابقي إيه أو حاروح فين كنت ابقي ايه فانا مش مطمئن لان الموج عالي وعواصف التغير بتهلكي وانا لازم بقاوم واستسلم واقاوم

اللعبة السادسة: أنا مستحيل أقبل انى اتغير ... إلا لو وجدت الفرصه ساخه

اللعبة السابعة: أنا لو حاتغير لازم أعمل حسابي إنى مخوض مخاطر واحتمال اتدحدر واسوء كل شوية تغير

اللعبة الثامنة: الظاهر أنا باتغير غصب عنى، إنما ده بحر ولازم اخوضه فانا احب البحر وتقلباته

اللعبة التاسعة: أنا حتى لو عرفت حاتغير أبقي إيه فانا مش مطمئن لان الموج عالي وعواصف التغير بتهلكي وانا لازم بقاوم واستسلم واقاوم.

اللعبة العاشرة: أنا أتغير بتاع إيه !! مش الأول اخد رأى الناس اللي حواليه حتى اتغير من منطلق الحب ايوه الحب

د. يحيى:

بصراحة، وكالعادة يا رامى، أنت تحتاج إلى رد مفصل، لكن الوقت كما ترى. أرجو أن يكون أحد القراء/ الزوار قد التقط معنى مثلا "أنا فلو فضلت زى ما أنا كده على طول يمكن أتغير"

تصور يا رامى أن التغيير الحقيقى يبدأ بهذا تحديداً، أعنى بالقبول الحقيقى الأنتغير،

تصور يا رامى أنه ربما يثبت أن ما يمنعنا من التغير هو "الحزق" للتغير أو ادعاء التغير،

وهل الفراشة حين تخرج من الشرنقة تخرج إلا لأنها قبلت مرحلة الشرنقة تماما، والنبات كيف يثمر إلا إذا قبل ألا يثمر قبل الآوان .. الخ،

ألم أقل لك يا رامى أنك تحتاج نوعا من التفرغ للرد عليك!!

#####

ثانيا: استجابات لعبة الضحك
أ. هاله نمر

اللعبة الأولى: الضحك حاجة والفرح حاجة تانية دا أنا ساعات وأنا باضحك بكون فرحانة وساعات بارسم بيها الفرحة

اللعبة الثانية: أنا آخر مزة ضحكت من قلبى كانت ضحكة حد تانى

اللعبة الثالثة: أضحك إزاي وأنا شايفة اللي جارى ده!! دا أنا علشان أضحك لازم أكون مسلم

اللعبة الرابعة: طبعاً لازم أحب أضحك مهما كان ماهو أصل المسألة إن كلّه شغال مع بعضه

اللعبة الخامسة: مش معنى إن بضحك إنى ناسى همومى أو هموم الناس هو يعنى قلة الضحك مشاركة بصحيح

اللعبة السادسة: أنا باكره اللي بيمسخر على خلق الله قال إيه بيضحك مع إنى ساعات باشوف إنه بيتمسخر من كتر غلبه وخيبته

اللعبة السابعة: الواحد نفسه يضحك بحق وحقيق أصل أنا بصراحة ساعات باستكبر أفكها وأحمد ربنا

اللعبة الثامنة: أنا ضرورى أنسى الاول قبل ما أصدق إنى قادرة أضحك، ماهو أصل يعنى صعب برضه أستحمل إنى أضحك وأنا فاكرة اللي واجعنى

اللعبة الإضافية: أنا ينفع أضحك من قلبى حتى لو أنا فى منتهى الحزن

اللعبة التاسعة: أنا نفسى أضحك مع حد يكون قريب منى وشايفنى، ما هو أصل يعنى الضحك صُحبة

اللعبة العاشرة: لأه بقى!!! أنا من حقى أضحك بصحيح حتى لو اتهايل إنّه ما ينفعش

د. يحيى:

بصراحة يا هالة أنت تعملين فى أشياء صعبة من فرط صدقك وأمانتك، لماذا هكذا يا ابنتى؟

أوجعتينى وأنت تلعبين لعبة الذل، ثم ها أنت تكملين على ونحن نختبر الضحك والفرحة،

روحي يا شيخه ربنا يفرّحك.

#####

أ. ولاء أمين

اللعبة الاولى: الضحك حاجة والفرح حاجة تانية دا انا ساعات وانا باضحك ابقى نفسي اعيط.

اللعبة الثانية: أنا أخر مرة ضحكت من قلبى كانت مع بنتى

اللعبة الثالثة: أضحك إزاي وأنا شايف اللي جارى ده!! دا أنا علشان أضحك لازم ماحش

اللعبة الرابعة: طبعاً لازم أحب أضحك مهما كان ماهو أصل المسألة انى لازم اعيش

اللعبة الخامسة: مش معنى إنى باضحك انى ناسى همومى او هموم الناس هو يعنى قلة الضحك هيغير اللي اناحساه

اللعبة السادسة: انا باكره اللي بيتمسخر على خلق الله
قال ايه بيضحك، مع انى ساعات باحس انه بيضحك علي نفسه
اللعبة السابعة: الواحد نفسه يضحك بحق وحقيق أصل أنا
بصراحة نفسى افرح بقي.

اللعبة الثامنة: أنا ضرورى أنسى الاول قبل ماأصدق أنى
قادرة أضحك، أصل أنا اللي فاكره مايضحكش
لعبة إضافية: أنا ينفع أضحك من قلبى حتى لوقلبي شايل
هموم الدنيا

اللعبة التاسعة: أنا نفسى أضحك مع حد يكون قريب منى
وشايفنى، ماهو أصل يعنى مع حد شايفنى اكيد هافرحد مجد
اللعبة العاشرة: لأه بقى!!! أنا من حقى أضحك بصحيح حتى
لو كنت حزينة
د. مجيى:

رأيتك يا ولاء تضحكين مع ابنتك،

أنا عرفت ذلك مؤخراً مع "حسن" و"كريم" و"اليلى"،
و"نور"، فرحت أننى عملتها أخيراً مع أننى ربما خرمتُ منها مع
أبائهم وأمهاتهم، أو لعلى خرمتُ أهلهم منها بسببى،

لست متأكداً

ولست، نادماً،

ياالله،

مع السلامة، والفرحة - برغم كل شئ - ما أمكن ذلك.

#

أ. رامى عادل

اللعبة الأولى: الضحك حاجة والفرح حاجة ثانية، دا أنا
ساعات وانا باضحك بابقى متغاظ

اللعبة الثانية: أنا آخر مرة ضحكت من قلبى كانت
واحنا بنلعب لعبة الذل اصلي اكتشفت حاجة

اللعبة الثالثة: أضحك ازاي وانا شايف اللي جارى
ده!!، دا انا علشان أضحك لازم اقهقه

اللعبة الرابعة: طبعاً لازم اضحك مهما كان، هو أصل
المسألة ناقصه

اللعبة الخامسة: مش معنى إنى باضحك انى ناسى همومى او هموم
الناس هو يعنى قلة الضحك رجولة

اللعبة السادسة: انا باكره اللي بيتمسخر على خلق الله
قال إيه بيضحك مع انى ساعات باضحك غضب عني

اللعبة السابعة: الواحد نفسه يضحك بحق وحقيقى أصل انا
بصراحة بضحك غضب عني

اللعبة الثامنة: أنا ضرورى أنسى الأول قبل ماأصدق أنى
قادر أضحك، أصل انا مبصدقش

اللعبة المضافة: أنا ينفع أضحك من قلبي حتى لو مش عارف اضحك

اللعبة التاسعة: أنا نفسي أضحك مع حد يكون قريب مني وشايفني ما هو أصل يعنى الضحك عدوى

اللعبة العاشرة: لأه بقى! أنا من حتى أضحك بصحيح حتى لو الدنيا عكنتت على ودمى ثقيل.

د. يحيى:

فكرتني يا رامى وأنت تلعب اللعبة الثانية، بنفسى وأنا ألعب نفس اللعبة، فكّرتني بأن نوعاً من المعرفة قد يملأ الواحد فرحة مجتّى وحقيق، كنت أعنى شيئاً قرأته، أما أنت هنا، فقد عرفت شيئاً جديداً (اللعبة الثانية) اكتشفته وأنت تلعب لعبة الذل

كنت أقول يارامى لحمد ابني منذ قليل هنا في البريد: هل يا ترى عثرنا على منهج جديد للمعرفة؟

مارأيك؟

ياليت!

#

د. أسامة فيكتور

تأكدت من أن هناك فرقاً بين الضحك والفرحة لأنى كنت دائماً أشوف وأتأمل الناس وهى بتضحك فأقول ده بيضحك من قلبه، وده بيضحك عشان يضحك وخلص، وده بيضحك يمكن يقدر يفرح، وده بيضحك من همه .

إجاباتى عن الخمسة ألعاب الأولى (قبل قراءة المقال)

اللعبة الأولى: الضحك حاجة والفرح حاجة ثانية، دا أنا ساعات وانا باضحك أتغم

اللعبة الثانية: أنا آخر مرة ضحكت من قلبي كنت مش فاكرها

اللعبة الثالثة: أضحك ازاي وانا شايف اللى جارى ده!!، دا انا علشان أضحك لازم أكون فرحان

اللعبة الرابعة: طبعاً لازم اضحك مهما كان، ما هو أصل المسألة مش فارقته كثير

اللعبة الخامسة: مش معنى إنى باضحك انى ناسى همومى او هموم الناس هو يعنى قلة الضحك حينسينى

د. يحيى:

لماذا لم تكمل يا أسامة؟

أو ربما أكملت ولم تصلنى إجاباتك عن الألعاب الخمسة الأخرى!

سوف أراجع أوراقى وأرى،

المهم أننى لم أكن أتصور أنك لا تذكر آخر مرة ضحكت فيها هكذا،

لماذا يا ابني؟ يا أحي؟

الله يسامحك.

###

د. عمرو محمد دنيا

اللعبة الأولى: الضحك حاجة والفرح حاجة ثانية، دا أنا ساعات وانا باضحك بأبقى مهموم

اللعبة الثانية: أنا آخر مرة ضحكت من قلبي كان قريب جدا
اللعبة الثالثة: أضحك ازاي وانا شايف اللى جارى ده!!، دا انا علشان أضحك لازم أكون جبلة

اللعبة الرابعة: طبعاً لازم اضحك مهما كان، ما هو أصل المسألة مش مستاهله

اللعبة الخامسة: مش معنى إني باضحك انى ناسى همومى او هموم الناس هو يعنى قلة الضحك اللى هاجل حاجة

اللعبة السادسة: انا باكره اللى بيتمسخر على خلق الله، قال إيه بيضحك مع انى ساعات باعمل كده

اللعبة السابعة: الواحد نفسه يضحك بحق وحقيق أصل انا بصراحة محتاج اضحك

اللعبة الثامنة: أنا ضرورى أنسى الاول قبل ما أصدق أنى قادر اضحك، أصل أنا

اللعبة المضافة: أنا ينفع أضحك من قلبي حتى لو كنت مهموم

اللعبة التاسعة: أنا نفسى أضحك مع حد يكون قريب منى وشايفنى، ماهو أصل يعنى الضحك عدوى

اللعبة العاشرة: لأه بقى! أنا من حتى أضحك بصحيح حتى لو الدنيا مش مطاوعانى

د. يحيى:

حين لم تكمل يا عمرو اللعبة الثامنة تساءلت هل يجوز أن نفتح هذا الباب ويكون اللعب انتقائى، وبصراحة رفضت هذه الفكرة مع أنها واردة، وأخت لها قبلاً، فمن يعملها يعملها غصباً عنا (عنى وعندك)

بالنسبة للعبة التاسعة، شعرت أنه لم يصلك المعنى الذى قصدته من تعبير: "قريب منى وشايفنى" وهو شئ بعيد قليلاً عن مسألة العدوى بالضحك

أما التناقض (الظاهر) بين أن "تكون جبلة" (3) وأن "المسألة مش متساهلة" (4) فأننا لا أرفضه وإن كان أزعجنى لأول وهلة.

###

أ. عبير محمد رجب

وصلنى أن الضحك أحياناً يكون تغطيه لزن كبير رغم إنى أمارس هذه اللعبة دائماً.

اجباتى على الألعاب:

اللعبة الأولى: الضحك حاجة والفرح حاجة تانية، دا أنا ساعات وانا باضحك بأبقى حزين

اللعبة الثانية: أنا آخر مرة ضحكت من قلبى كانت مش فاكرا امتى

اللعبة الثالثة: أضحك ازاي وانا شايف اللى جارى ده!!، دا انا علشان أضحك لازم يكون معايا

اللعبة الرابعة: طبعاً لازم اضحك مهما كان، ما هو أصل المسألة أكبر من كده بكثير

اللعبة الخامسة: مش معنى إنى باضحك انى ناسى همومى او هموم الناس هو يعنى قلة الضحك اللى هتشيل الهموم

اللعبة السادسة: انا باكره اللى بيتمسخر على خلق الله، قال إيه بيضحك مع انى ساعات أحس بضعفه

اللعبة السابعة: الواحد نفسه يضحك بحق وحقيق أصل انا بصراحة مفتقده قوى

اللعبة الثامنة: أنا ضرورى أنسى الاول قبل ما أصدق أنى قادر اضحك، أصل أنا لازم أضحك ببقى من قلبى

اللعبة المضافة: أنا ينفع أضحك من قلبى حتى لو كنت موجوعه

اللعبة التاسعة: أنا نفسى أضحك مع حد يكون قريب منى وشايفنى، ماهو أصل يعنى الواحد لازم يحس بقرب حد

اللعبة العاشرة: لأه ببقى! أنا من حتى أضحك بصحيح حتى لو لوحدى

د. يحيى:

فرحت بك يا عبير حين وصلت للعبة العاشرة، لست متأكدأ بك أم لك، المهم - ربنا يستر.

#####

أ. هيثم عبد الفتاح

الفرحة الظاهر أنها قيمة عميقة جداً، إنما الضحك من بره، أو وافق على الجزء الأول من الجملة السابقة لكن معترض على أن الضحك من بره لأن الضحك قد يكون من بره فى أوقات وقد يحفى وراءه حزن أو حيرة أو قلق أو ... الخ ، لكن فى أوقات أخرى قد يكون الضحك مصاحب للفرحة.

د. يحيى:

أوافقك، بصفة عامة، وإن كان اللعب أصدق وأعمق من التنظير

#####

أ. نادية حامد

أجد صعوبة شديدة في لعبة أنا باكره اللي بيتمسخر على خلق الله، لا أستطيع أقوم بدور السخرية من الشخص اللي قدامى حتى لو كان يستحق السخرية وفي لعبتك يا د. يحيى الرخاوى لا أتخيلك في القسوة في السخرية إلا إذا كانت بهدف علاجي

د. يحيى:

والله لست متأكدا يا شيخه، ربنا يستر

#####

د. هاني عبد المنعم

أول مرة أحس بجد إن مافيش علاقة بين الضحك والفرح أصلا واستغربت بعد ما قرأت اليومية ، إنى ياما ضحكت بس فرحت قليل

د. يحيى:

أنا آسف .

د. تامر فريد

مش معترض أوى بس فيه تعبيرات كثيرة موجودة على لسان الناس العاديين فيها المعنى اللي حضرتك عاوز توصله ويمكن في حاجة حضرتك ماجبتش سيرتها، وهى ضحك الأطفال اللي يمكن أن افترض انها فرحة وجودية بمعنى حقيقى فعلا يكفى أنها بتوصل للآخر وبتأثر فيه وساعات بتغيره ضحكه فيها آخر

د. يحيى:

أعرف ذلك، وقد أشرت إليه في ردى على الدكتورة ولاء، لكن السؤال هو: هل نحن ننكس ونحن نضحك معهم، ألا يمكن أن يضحك الطفل فينا فعلا دون أن نفصله عنا، هل هم يستدعون أطفالنا من داخلنا؟

ربما!

#####

د. هيثم عبد الفتاح

أنا فعلا بقال فترة نفسى أضحك بحق وحقيق، نفسى أفرح لانى في الفترة دى حتى لو ضحكت فالضحكة مش نابعة أو معبرة عن فرح، بل هى ضحكة تخفى وراءها حيرة وقلق وخوف من التوقف وعدم الحركة، نفسى أتحرك عشان أفرح وأضحك بحق وحقيقى.

د. يحيى:

أعرف بعض ذلك،

بعد أن وصلت إلى هذا العمر، عرفت أنني لو حرمت نفسي بعد ذلك من الفرح، مهما كان السبب، فقد ارتكبت ذنباً، وكأنني أظلم نفسي بدون داع "اللهم إني أعوذ بك أن أظلم أو أظلم" بما في ذلك نفسي

#####

د. نعمات على

الفرح والفرحة حق لكل إنسان (فلا بد أن يعرف ذلك كل منا حتى لو لم يقدر أن يفرح)

الضحك في معظم الأحيان بل أغلبه هو تغطيه لزن عميق لا يستطيع الإنسان أن يتحملة لذلك يضحك

د. يحيى:

ليس هكذا تماماً، أرجوك لا تغلقى الأبواب

وبعد

واضح أنني لم أرد ردوداً مفصلة، لقد وجدت أنه من الأفضل أن أكتفى في بريد اليوم بهذه النصوص الأصلية، استجابة للعب، آملاً أن تشاركوني بعض ما خطر ببالي من أسئلة أو رد فيما يلي عينة منها:

1- هل حقيقة منحتنا هذه "الصدفة" منهجاً جديداً للتعرف على أنفسنا، وعلى المفاهيم التي نعيشها وتصلنا من مصادر ليست كلها نقية؟

2- هل أوصل عرض الألعاب التي لعبناها في البرنامج المشار إليه بنفس الطريقة أم ثمة اقتراحات أخرى؟

3- هل أعقب على الاستجابات تفصيلاً، أم أن هذا يمكن أن يفهم خطأ على أنه "تحليل نفسي" وكلام فارغ من هذا القبيل؟

4- هل وصل لمن حاول أن يلعب بالفصحى (الملحق أنظر بعد) نفس ما وصله من اللعبة حين لعبها بالعامية أم أن ثم فرقاً؟

4- هل ثم أمل؟

#####

الملحق

(حسب توصية د. جمال التركي، ترجمة: د. يحيى الرخاوي)

الألعاب التي وردت بالنشرات حتى الآن (بالفصحى)

أولاً: لعبة التغير

اللعبة الأولى: أخاف أن أتغير، فمن الجائز ...
 اللعبة الثانية: لو أننى بقيت أنا كما هو أنا هكذا دائماً ... فقد ...
 اللعبة الثالثة: لا مفر من أن أتغير، ذلك لأنه
 اللعبة الرابعة: قبل أن أقدم على أن أتغير، على أن أحسبها مائة مرة .. ماذا وإلا
 اللعبة المضافة: قبل أن أقدم على التغير، لا بد من بعض الحسابات ، فمن الجائز
 اللعبة الخامسة: لو أننى عرفت إلى أين؟ أو كيف سأكون إذا تغيرت، لكنت
 اللعبة السادسة: من المستحيل أن أقبل أن أتغير، إلا لو ...
 اللعبة السابعة: لو أننى سأتغير فلا بد من أن أعمل حسابي أنى ...
 اللعبة الثامنة: يبدو أننى أتغير رغماً عني، ولكن.....
 اللعبة التاسعة: حتى لو أننى عرفت ما (من) سوف أكونه حين أتغير، فأنا ...
 اللعبة العاشرة: ما الداعي أصلاً أن أتغير؟! أليس المفروض أولاً أن أعرف...

#

ثانياً: لعبة الضحك

اللعبة الأولى: هناك فرق بين الضحك والفرح، يمكن أن أكتشف أنى أحياناً
 اللعبة الثانية: أنا آخر مرة ضحكت من قلبي كانت
 اللعبة الثالثة: كيف يمكن أن أضحك وأنا أرى كل هذا الذى يجرى حولي، إننى لكى أضحك...
 اللعبة الرابعة: طبعاً، من اللازم أن أضحك مهما كان ، ذلك لأن المسألة
 اللعبة الخامسة: ليس معنى أننى أضحك أننى قد نسيت همومى أو هموم الناس، هل معنى أننى لا أضحك أننى ..
 اللعبة السادسة: أنا أكره من يسخر من خلق الله تحت زعم أن ذلك من باب الضحك، مع أنى أحياناً ...
 اللعبة السابعة: ياليت الواحد منا يضحك بحق فعلاً ، ذلك لأننى بصراحة ...
 اللعبة الثامنة: لا بد أن أنسى أولاً قبل أن أصدق أننى أستطيع أن أضحك، ذلك أن المسألة...، أقصد أنها، .. أعنى...

اللعبة المضافة: من الممكن أن أضحك من قلبي حتى لو
 اللعبة التاسعة: أتمنى أن أضحك فعلاً مع آخر (أخرى) يكون
 قريباً مني، ويراني ، ذلك لأنه ، أقصد ...
 اللعبة العاشرة: كفى كل هذا، إن من حقى أن أضحك فعلاً
 حتى لو

#####

ثالثاً: الذل

اللعبة الأولى: من المستحيل أن أذل نفسي، حتى لو
 اللعبة الثانية: أخشى أن تضطرب الظروف أن اذل نفسي،
 بعد ذلك قد يجوز أن
 اللعبة الثالثة: لو أنى رضيت أن أذل نفسي من قديم
 ،.....إذن لكنت
 اللعبة الرابعة: وهل هناك من يستطيع أن يعيش دون أن
 يضطر أن يذل نفسه !!! لكن أيضاً.....
 اللعبة الخامسة: ولماذا نسميه ذلاً، أليس من الجائز أن
 يكون مثلاً
 اللعبة السادسة: لو أنى أضمن ألا اكشف نفسي لنفسي
 وأنا أتنازل لدرجة الذل، فربما
 اللعبة السابعة: إذا كان لا مفر من الذل ، فأنا إذن

 اللعبة الثامنة: لو أنى ضببت نفسي وأنا أقوم بذل
 غري، ولو دون أن أقصد، فيجوز أن
 اللعبة التاسعة: قد أقبل أن أذل نفسي بملء إرادتى في
 حالة واحدة فقط، هي أفى
 اللعبة العاشرة: لا.. لا..لا ، كله إلا الذل، من أجل
 ذلك

#####

رابعاً: لعبة الذنب

اللعبة الأولى: أود لو أنى أقدم الاعتذار لكل من
 آذيتهم، مع أنهم
 اللعبة الثانية: الاعتراف بالذنب لا يكفى، من الضروري
 على أن
 اللعبة الثالثة: لست مذنباً إلى هذه الدرجة، !! الحكاية
 أنى
 اللعبة الرابعة: يميل إلى أن كثرة الحديث عن ذنوبى دون
 أن أتغير قد يجعلنى
 اللعبة الخامسة: يبدو أن الشعور بالذنب هكذا يعطينى،
 إن ما ينبغي هو أن
 اللعبة السادسة: حتى لو أنى مذنب كما أتصور، ألا يجوز
 أن

اللعبة السابعة: أنا أكثر من الاستغفار فعلا، لكنني لا أعرف تحديدا على ماذا أستغفر؟ الفكرة أنني

اللعبة الثامنة: وهل إذا أنا قلت إنني مذنب، يترتب على ذلك تلقائيا أن

اللعبة التاسعة: لو كان الشعور بالذنب قد نفعتي ، لكنت الآن

اللعبة العاشرة: من يريد أن يصحح ما ارتكب من ذنب مجدية فعلا، عليه أن يفعل شيئا آخر، أنا مثلا

#####

خامسا: لعبة أنا واحد ولا كثر

اللعبة الأولى: هل أنا واحد أم كثير ، أنا يخيل لي أنني

اللعبة الثانية: أحيانا أشعر أن الشخص الذي بداخلي يكون

اللعبة الثالثة: من الجائز أن الطفل الذي بداخلي ليس مجرد ذكريات طفولة، يبدو أنه

اللعبة الرابعة: لو أنني هؤلاء الكثيرين ، إذن لماذا أرفض ذلك، ألا يجوز

اللعبة الخامسة: الرجل (المرأة) الذي (التي) بداخلي تقول لي إنه من الضروري أن

اللعبة السادسة: طيب، لو أنني أكثر من واحد ، من فينا هو المسئول، أنا أرى أنه

اللعبة السابعة: المسألة ليست مسألة صراع أو خناقه، المسألة أنني لو "كثير"، فقد يجوز أن ...

اللعبة الثامنة: ألا يجوز أن يكون من بداخلنا هكذا هو "الجن" الذي يتكلمون عن أنه يلبس الناس، معنى ذلك إذن أنه ...

اللعبة التاسعة: أنا هكذا ارتبكت، لكن يخيل لي أنه من الممكن أن أستفيد بأن

اللعبة العاشرة: أنا أتمنى أن هذا الكثير بداخلي يتصلح مع بعضه البعض، ولكن ليس على حساب

#####

سادسا: لعبة التحكم

اللعبة الأولى: يا خيرا!!! لو أنني تركت لنفسى العنان، فقد

اللعبة الثانية: لو أنني ضمنت أن يتحملني أحد فعلا، قد أستطيع أن أترك نفسى على سجيته، وساعتها

اللعبة الثالثة: لماذا أغامر وأترك زمام نفسى!! بل إننى

اللعبة الرابعة: مادام الأمر أنه يمكن أن أترك لنفسى العنان حقيقة ، أنا من الممكن إذن أن

اللعبة الخامسة: حتى في الحلم أنا لا أستطيع أن أترك نفسي على راحتها ... خوفاً من أن

اللعبة السادسة: إبدأ أنت بالتنازل عن التحكم في نفسك، وأنا ساعتها سوف

اللعبة السابعة: أنا يستحيل أن أتنازل عن التحكم في نفسي إلا إذا عرفت

اللعبة الثامنة: إن ما ينعني أن أترك نفسي على راحتها ، .. هو

اللعبة التاسعة: لا يا سيدى! أنا لامم نفسي بالكاد، لكن هذا لا يمنعني أن

اللعبة العاشرة: من الضروري أن أعرف أين أنت، ومن أنت قبل أن أتنازل عن تحكمي في نفسي، ذلك أن المسائل أيضا

#

- حبيبتي هي "العربية الفصحى"

- شايف أن الألعاب دي فعلا بتحرك حاجة جوايا ، بتديني ولو لحظة مع نفسي أشوف فيها حاجة بصدق ماكنتش شايفها حتى لعبة الضحك كنت فاكرها سهلة لقيتها برضه ثقيله وبتوريني حاحات فعلا ثقيله وتحض.

- وصلني أن الفرحة بالفعل ليس مرادف للضحك، ورغم أن هذه الفكرة قد تكون متواجدة بالفعل لدينا إلا إنني لم انتبه لذلك حتى قرأت اليومية.

السبت 22-03-2008

204- امتداد حوار/بريد الجمعة

مقدمة:

وعدنا أمس باستكمال حوار/ بريد الجمعة وهذا بعض ذلك، نرجو أن يقوم مقام تعة السبت، مع الاعتذار لمن تبقى من الأصدقاء.

سوف يشمل الجزء الأول من ملحق البريد اليوم بعض ال تعقيبات على فكرة "التدريب عن بعد"،

أما الجزء الثاني فهو "متنوعات محدودة" ، بها حوار صعب بين وبين محمد إبنى، الله يسامحه ويبارك فيه.

أولاً: الإشراف على العلاج النفسى

د. أسامة فيكتور

وصلتني فائدة عرض حالات هكذا في تنمية التقمص مما يفيد عملية العلاج،

أعتقد أنه من الأفضل تقديم الحالات دون تعقيب وانتظار ورود أسئلة، لأنه عندما تعقب على الحالات فأنت تغلق باب الأسئلة والاستفسارات بشكل كبير.

د. يحيى:

جاءت معظم الآراء والتعقيبات - يا أسامة- تؤيد هذا الرأي: عرض الحالة دون تقطيعها بالتعقيب أولاً بأول، ومن ذلك أيضاً:

د. محمد يحيى الرخاوى

(أرجح العرض) بدون التعليقات أو التعقيبات الملاحقة بين الفقرات: هذه عينة مناسبة لهذا النشاط الذى أحبه جداً وأستفيد منه جداً. هى عينة متماسكة ذات بداية ونهاية وموضوع وهدف، جميعها غير مشتتة بالتعليقات والروابط الجانبية التى أحياناً ما تبدو غير متعلقة "\irrelevant\" ، أعنى مواصلة نشر هذه الإشرافات بهذه الطريقة.

أ. عماد فتحي

موافق على أنه ليست هناك حالة مشابهة لحالة أخرى ولكن هذه اليومية بهذا الشكل مفيدة جداً ونشرها هكذا بدون تعليقات يجعلها أكثر تحريكاً، ويشير إلى الخطوط العريضة التي تحرك الأفكار.

د. مجيى:

هذا طيب، شكراً

د. محمود محمد سعد

معتزّس:

ارى أنه مادام الزوج متفاهم، يمكن أن تحب الزوجة زوجها بتاريخها لأن عدم الإخبار هو خيانة، أما إذا ترتب على هذا الإخبار ضرر بسيط، فيجب على الزوجة التحمل.

د. مجيى:

لا يا شيخ؟! ما هذا يا محمود؟ سبحان الله يا أخی! عدم الإخبار لزوج مهزوز هو الخيانة؟ والضرر الذى سيترتب "بسيط" إن شاء الله!! والزوجة وحدها هى التى تتحملة؟ ما كل هذا بالله عليك؟

شعرت يا محمود أن عليك أن تقرأ المناقشة من جديد، وأن تحترم المرأة أكثر كثيراً، وأن ترى خيبة الرجال وضعفهم وغرورهم أكثر بكثير جداً،

ولعلك تحتاج أن ترى ذلك في نفسك أولاً، أو أساساً.

د. تامر فريد

حاولت بكل أمانة أن أتقمص خطيب المريضة، وجدت صعوبة كبيرة، في تقبل ذلك، لم أستطع مساعدتها في البداية وفضلت ألا أعرف. أما بعد ذلك فلا أعرف ماذا جرى،

شعرت أن شيئاً ينقصنى، وأنى أحتاج فرصة كى أخطى ذلك وأتقبل، أما كيف، لا أعرف؟

د. مجيى:

منتهى الأمانة يا تامر، هكذا يمكن أن نحترم ضعفنا وننمو ونحن ندفع الثمن متألمين فخورين.

ثانياً: تعقيبات أخرى

د. محمد مجيى الرخاوى

بقى ده كلام يُنشر كدا في " \ يومية \ " الواحد عاوز يتعود يقرأها " \ يومياً \ "، " \ عالصبح \ "؟

عفواً باهزر بس والله. إنما فعلاً الكلام شديد التكثيف

عفواً باهزر بس والله. إنما فعلاً الكلام شديد التكثيف والرغبة في الإحاطة من أعلى عليين بطريقة تجعل التواصل صعباً. على سبيل المثال (لا الحصر)، لم أفهم: المقصود بفصل الطاقة عن الأداة في الفقرة التالية مأخوذة من المقال:

4- إذا عجزت الغريزة عن التكامل في الارتباطات الأعلى والأمثل قامت بدورها الدافعي لوظائف أرقى- وحتى دون الالتحام بها- مما قد يخفف من احتمال ظهورها بمظهرها البدائي مباشرة، ويعتبر هذا الحل تسوية ناجحة كمرحلة، ولكن استمراره كحل دائم، لا بد وأن يعوق النمو، حيث يفصل الطاقة عن الأداة في حين أن تكاملهما حتمي في المستوى الأعلى من النمو.

د. يحيى:

كان الزعم الشائع الذي وصلني (ويصلني للآن) هو أن الغرائز (والدوافع، وأحياناً العواطف) هي طاقة دافعة أساساً أو تماماً، هي طاقات موظفة لحفظ النوع أو الفرد أو كليهما، لكن رويداً رويداً حين فهمت كيف أنه يستحيل فصل الشكل عن الموضوع، كذلك الدال عن المدلول، (إلا مرحلياً) رجحت أن النمو النابض يسمح بهذا الالتحام بين الطاقة وتفعيلها وتجلياتها، فلا تصبح مجرد طاقة يصلح استخدامها لشيء آخر، فرويد حين قال بالتسامي كان يرحب بأن تستعمل طاقة الغريزة الجنسية أداة لبناء الحضارة والمدنية وربما لإنتاج نوع معين من الإبداع، وهذا هو التسامي Sublimation الذي لا أرفضه، لكنني أحفظ ضد أن يقدم باعتباره الحل الأمثل لبدائية الغريزة الجنسية خاصة، أنا أقبله باعتباره مرحلة جيدة، لا أكثر، وبالتالي لا ينبغي أن نصفق له أكثر من اللازم، لأننا بذلك قد نعوق الالتحام الولاقي بين الطاقة وما تدفع إليه وهو المفهوم السابق الإشارة إليه.

الآن (2008) أستطيع أن أضيف أن الإشكال الذي أشر إليه لا يقتصر فقط على انفصال الطاقة عن الأداة وإنما انفصالها عن بقية الطاقات والتجليات التي يتشكل منها - باستمرار- الوجود البشري.

لعلك تعرف يا محمد ما وصلت إليه أخيراً من التركيز على الاهتمام بـ"العملية" Process أكثر من "المحتوى" Content، أو قل: قبل وبعد المحتوى، علمية التوليف الجدلي المتصاعد (بايقاع حيوي نابض) الذي هو أساس النمو في "النظرية الإبداعية التطورية"، التي أتمنى أن أفرد لها وقتاً كافياً قبل أن أرحل. هذه العملية المتنامية المستمرة في تناوب إيقاعي، تتماهى في تكوين "الواحدية" ONENESS، لكي لا تكتمل أبداً. وهي هي العملية التي تعد بأن لا تجعل - في النهاية أو قرب النهاية - الجنس جنساً، ولا العدوان عدواناً، ولا الطاقة طاقة، ولا الأداة أداة، لأنها مع كل نبضة نمو (نبضة حياة) تضيف إلى المشروع البشري (الواحدية) إضافة ليست بمعنى الجمع (كذا + كيت)، وإنما بمعنى تخليق واحدية أكبر على حساب

مكوّناتها، فيصبح الجنس أقل جنسنة لكنه الجنس (الإبداعي)، ويصبح العدوان أقل عدوانية ولكنه العدوان (الإبداعي)، ويصبح الإيمان أقل تدينا لكنه الإيمان التخليقي المتماذي إلى وجهه تعالى الذي ليس كمثله شيء، وهكذا . كل ذلك لحساب أن يصبح الإنسان أكثر إنسانية نحو التناسق الأكبر فالأكبر مما لا نعرفه لأنه في أفق غياب المعرفة التي تمثل الجهل الذي لا ضده، ذلك الجهل الذي يتخلق بالعلم الذي لا ضده.

دعني أتساءل الآن، كما يحدث لي كثيرا وأنا أرجع لبعض أوراقى القديمة أثناء إعدادى هذه النشرة، كيف كتبت هذه الإرهاصات منذ أكثر من ثلاثين عاما، ولم أصل إلى معناها بهذا الوضوح (قال وضوح قال!!) إلا الآن

وبعد

هل يعجبك يا محمد ما أوصلتُنا إليه هكذا ؟ الله يسامحك يا شيخ ! هل اتضحت الأمور أم زدناها تعقيدا؟ ماذا يقول الناس عنا هكذا؟ لا ، والمصيبة التي تثبت طبيعة ما جرجرتنا إليه هو ما جاء في تكملة تعقيبك من استشهادك بما كتبت أنت منذ ربع قرن بالتمام، ولكن دعنا نسمع هذه الجملة الاعترافية أولا:

د. محمد

(2) أليس من المناسب تضمين إشارة لموضوع الذنب، وعلاقته بالعدوان، أو بالخوف من العدوان، الخوف من تجاوز حدود النمو/ الوجود الخالية، الخوف من الإبداع (خصوصاً الخالق)

د. يحيى:

من المناسب ونصف، وأظن أنني سأرجع إلى ذلك طويلا وتفصيلا حين أعود لتناول موضوع الذنب وعلاقته بالإبداع، وكل ما ذكرته يا محمد هنا يستحق النظر مجددة. شكرا.

د. محمد

(3) ذكرتني قراءة (أو إعادة قراءة) هذا المقال، خاصة تناولكم الموازي لدرجة ما بين الجنس والعدوان، بمقطع كنت كتبتة سنة 1983 في الإنسان والتطور (عدد أبريل):

الإنسان والتطور: عدد أبريل 1983، هوامش حوارية حول التطور والغائية (بتصرف طفيف):

فالكائن ناقص يسعى إلى تحقيق ما هو أكمل، والظروف لم تتفق بعد على تنفيذ هذا التحقيق، أليست هذه "قضية" تلح على الكائن، وأتصور أن إلحاح القضية على الكائن تجعله يتحرك في الحيز المتاح له، الحركة النشاط الأعمق والأكمن، متناولا كل ما يمكن تناوله من "غير" أو ذات، أو ذات باعتبارها "غير": الجسم، الماضي، السلوك والشخصية الاجتماعية إلى آخر ما هو مني وأنظر إليه وكأنه ليس أنا... ، أو "غير" باعتباره ذاتاً (الوطن، النوع، الأحياء، الوجود المتحقق).

تلك الحركة التي تتميز بالهدم والتركيب فالإحجام وما فيه من إحجام الذات المقتحمة (بفتح الحاء) بالكون، ثم تغيير الخارج والداخل (الغير والذات) وألاحظ ارتباطاً شديداً لهذه المظاهر بالعدوان، حتى لتقترب من صورته المازالت كامنة. كما تتميز أيضاً بتقبل الكون مقتجماً للذات ومن ثم التفاعل الداخلي للذات مع الكون، وتبين وحدة الاشتراك في الوجود بأشكاله المتغيرة، ثم الإشباع والاعتماد المتبادلين واتخاذ الأدوار، ثم المشاركة في الإبقاء، وألاحظ أيضاً اقتراب هذه المظاهر من بعض ديناميات الجنس.

انتهى مقتطف

لا أعرف إن كانت العلاقة وثيقة أم لا، ولكنني (بمناسبة الذنب) أشعر بالذنب حين أقرأ ما كتبت بهذه اللغة العويصة دون أن أوفر ما يسمح لي بكل هذا التجرؤ. يبدو أن هذه كانت إحدى وظائف\ الإنسان والتطور\". هل كانت هي المصيبة التي لم تكن تكتفى بالسياسة بل بالفلسفة والدين والإيمان والتمصوف يتناولها العامة بكل ما يستطيعون من لغات؟ أعتقد. ربنا يسهل.

د. يحيى:

أولاً:

هل هذا كلام يا محمد يكتبه شاب في العشرين من عمره؟ هل تذكر؟ لقد فرحت باستشهادك هذا الذي كتبته وأنت في تلك السن، لأقارنه بما تعترض عليه من صعوبة تعبيرى عن ما أحاول تقديمه الآن. ثم لعل في ذلك دليلاً على أن نوع هذه الخيبة وراثى بشكل ما .

طيب دعنى أشهدك وأشهد القارئ: أى منا أصعب يا شيخ!!

وثانياً:

ألم تلاحظ أن مقتطفك به ملامح من ردى عليك في الفقرة السابقة عن الواحدية "التتكون" (ألف لام التعريف تدخل على الفعل المضارع "تكون، واللى عاجبه!) باستمرار، مع أن ردى هذا ما وصلت إليه هكذا إلا مؤخرًا، ثم أجدك قد أخت إليه من ربع قرن، أليس هذا هو ما أشرت إليه في نشرة سابقة في 12-11-2007 "عن المصادقة بالاتفاق"، لكنها مصادقية مشكوك فيها بسبب العامل الوراثى غالباً،

ثالثاً:

لعلك تعرف، فتصدقنى، أنه لا أنا ولا أنت ولا نحن قد أصدرنا مجلة "الإنسان والتطور" آنذاك، والى ظلت توزع مائتى نسخة (كل ثلاثة أشهر) بالكاد طوال عشرين عاماً (مع التوقف المتكرر) ، إذن من الذى أصدرها لتقوم بهذا الدور رغماً عنا، مجرد الإلحاح القهرى أن تظل تصدر فصلية طوال هذه المدة؟

ألا يسمح ذلك لنا أن نتصور أن هذه النشرة الحالية ربما صدرت أيضا وحدها لتؤدي نفس الوظيفة، فترغمنا، وهي تستعملنا، أن نقول مثل هذا الكلام الذي لا معنى له إلا ما يحمل من معان؟

بس خلاص

فوت هذه يا محمد حتى لا يتهمونا بكذا وكيت يا شخي
الله يساعك.

#####

أ. يوسف عزب (عن نشرات الإدمان)

رائعة فكرة التسليم بشكل مبدئي بفكرة تقليل الوعي
مؤقتا لتناسب الرؤية مع القدرة،

مع الربع من إساءة فهم هذا الموضوع

د. يحيى:

طيب يا يوسف، ماذا نفع وإساءة الفهم واردة في كل
كلمة وكل حركة، نحن نلقى بما عندنا وعلى المتلقى تحمل
مسئولية تأويله واستعماله ، أو سوء استعماله يا أخی،
..الله !!!

أ. يوسف عزب

سؤال : سهل انت طارح هذا على مستوى الفرد والمجتمع؟ أم
ماذا؟

د. يحيى:

طبعاً على مستوى الفرد، وعلى مستوى المجتمع،

وأيضاً على مستوى "ماذا"

شكراً .

#####

د. محمد غنيمي

ماذا هذه التفرقة بين لغة شبابية وأخرى غير شبابية ؟
وإذا قبلنا التفرقة ، فما هي اللغة غير الشبابية إذن
(علشان نتعلمها من أجلهم ، يمكن يرمحوا أنفسهم من الاندهاش
، أو على الأصح من تصنع الاندهاش)؟ الحقيقة أن دهشة حضور
الندوة من دفاع حضرتك عن لغة الشباب (ثم الرفض والحذر)
تستلزم دهشة منها هي الأخرى ، حيث أنه لم يتضح جيدا السبب
وراء اعتبارهم لغة الشباب (لغتنا) مثالا لتدهور اللغة ،
فنحن (الشباب) على أي حال لا نتكلم بطلامس منطوقة ، وطالما
أن كل كلمة تقال من قبل طرف يتم فهمها جيدا من قبل
الطرف الآخر ، فهي عندئذ لغة . ثم إننا نستخدمها كوسيلة
للإبداع أيضا ، إذن فهي لغة ينبغي أن تحترم . وإذا كانوا لا

يقبلونها أو لا يفهمونها (أو يدعون ذلك)، فهذه ليست مشكلتنا (نحن الشباب). لعل هؤلاء الذين يسمون بالنخبة المثقفة يدركون جيدا أن لغتهم الآن هي ذات اللغة التي كانوا يتحدثون بها أيام شباهم، ولعل آباءهم وأجدادهم رفضوا أيضا وأموها لغة شبابية وقتئذ، ولعلنا أيضا نرفض لغة أبنائنا وأحفادنا في المستقبل، وهذا ما لا أتمنى حدوثه، رغم شدة توقع حدوثه.

د. يحيى:

أعتقد أن هذا بعض ما أعنى، وليس كله، وسوف تعرف أنني أدافع ليس فقط عن خصوصية أو سهولة لغة الشباب، وإنما أيضا عن اللغة التي يسمونها "بيئة"، وعن "سيم" المدمنين، وعن أية لغة تقوم بالتواصل بشكل أعمق وأهم من هذه الأصوات إياها التي يتبادلها الصفوة وبعض المثقفين.

#

د. إيمان كامل محمد

(كتبت بالإنجليزية)

بعد شكوى رقيقة من صمت الزوج وانشغاله بمشاغله طلبت إيمان أن (أو سألت كيف) يكون زوجها صديقها،

ثم أضافت بالعربية:

لا يوجد بيننا أي حوار

د. يحيى:

يا إيمان، قمت مؤخرًا بإجراء حوارات تليفزيونية عن "الخرس الزوجي"، وهي موجودة بالموقع ويمكن الرجوع إليها الأولى: (الخرس الزوجي بين الزوجين)، والثاني: (الصمت وأثاره عند الزوجين)، وإن كان ما بها قد تسطح نتيجة تدخل المذيعات العشوائى برغم اجتهادهن.

أحيانا يكون الصمت يا إيمان أفضل من الكذب على كل حال،

الصمت ليس واحدا، الصمت أنواع وأنواع

كتبت في كتابي حكمة الجانين 1980 (الفقرة 935) ما يلي: الصمت أنواع، والعيون، والفعل اللاحق، هما أدوات تشخيصه فاحذر من الخلط، فهلا تعرفت على:

- الصمت المدت: وهو أنانية وإلغاء للآخرين
- والصمت الخائف: وهو المحافظة على مظهر الحكمة، مع الخوف من التعرّى دون حساب
- والصمت الخبيث: وهو الذى يشتري ولا يبيع، اتقانا لصفقة الشطار
- والصمت الساخر: وهو الذى ينظر من أعلى على كل آخر

• والصمت المتأمل: وهو الذى يجسّن الاستماع ليستوعب التفاصيل

• والصمت البقظ: وهو الرحلة المتصلة المصادقة بين الداخل والخارج وبالعكس، احتراماً للكلمة الفعل المسؤولة .

فمن كان يؤمن بالحق والمصير، فليقل 'خيراً' أو ليصمت .
فأى صمت هو صمت زوجك يا إيمان، وأى كلام هو كلامنا وكلامه؟

العلاقات البشرية - يا إيمان- سواء بين الأصدقاء أو الحبين أو الأزواج والزوجات هى من أصعب ما يمكن إذا أردنا تواصلًا بحق،

يمكن مراجعة نشرات (الأسرة والثقافة والطب النفسى والإدمان "1")، (تعرية زيف واغتراب التواصل بين البشر)

#####

أ. قدرى عبد العظيم

(تعقيباً على اعترافى له بتخوفى أن يكون استمرارى قهراً فى كتابة هذه النشرة أشبه بمن يجمع أموالاً لا ينفقها)

هناك فرق كبير وكثير ما بين الطمع فى تنمية الوعى فى بلد مفيش فيه وعى، وما بين جمع فلوس للورثة الأندال

د. يحيى:

تعقيبك الكريم هذا يا قدرى لن يعفنى من مسئولية تساؤلى عن وجه الشبه بين من يواصل عملاً ما بطريقة قهرية حتى لو بدا مفيداً للناس، وبين من يواصل جمع ما قد يقوم الورثة بمجمل أمانته، أو الانتحار به.

من يدرى أيهما أفضل أو أبقى؟

ضبط الجرعة صعب يا قدرى

والقدرة على التوقف تحدّ متجدد

لن أعفى نفسى من قبوله أبداً

#####

د. كريم شوقى

كلام، طَلَبَ عدم نشره،

د. يحيى:

رسالة بعد غيبة .

وبرغم تحذيرك سوف أرد عليك، فقد أوحشتنا

مذاكرة،

ورؤية،

واعتراف،

وأسرار

عالبركة.

د. كريم شوقي

قال غاندي واصفا عدوانه الخلاق،
First they ignore you, then they laugh at you, then they fight you, then you win

في البداية سيتجاهلونك، ثم يسخرون منك، ثم يحاربونك، ثم تنتصر!

اتفق معك تماما ان الابداع الخالقي هو الأقدر علي
استيعاب غريزة العدوان من الابداع التواصلي... كما أرجو
تطعيم هذا التنظير الغزير بأمثلة أكثر لتيسير الفهم، وذلك
لصعوبة الموضوع و ضمانا لعدم التباس المعاني على القراء

د. يحيى:

عندك حق، فالمقال مزدحم، و يحتاج لتفصيل واستشهادات
أرجو أن تتاح الفرصة لكل ذلك حين أكتب "كتاب الغرائز".

#####

أ. رامى عادل

ممكن برضه ياخدونا على توشكي نعمرها بالإكراه.
أو يجلّوا المدمنين يحفروا حفر ويردموها كده طول
الوقت لحد ما يبان لنا صاحب.

د. يحيى:

طب بس يالله!!

أ. رامى عادل

المهدئات أفضل من ان نتعصب لدرجة الإجرام
انا سمعت خير مشموم بان فيه مخدرات بجرعات صحيه.

د. يحيى:

عندك حق

أ. رامى عادل

وصف نجيب محفوظ للسيد احمد عبد الجواد وهو يستيقظ ثم
ياخذ دش ساقع فيتناول الفطور الى آخره من اروع ايات
الادب المتفنسن.

د. يحيى:

لا أوافق،

ولا أحب هذا التعبير اللطيف السخيف (المتنفسن)،
وبالذات إذا وصف به أدب محفوظ.

أ. رامى عادل:

إفرح يا عم يحيى، احنا اراجوزات بحق وحقيق.
اصلي حسيت أول امبراح اننا في حفله تنكرية..

د. يحيى:

أرجو أن ترجع حلم نجيب محفوظ رقم (5) وقراءتى له

أ. رامى عادل

بيقولوا السياسيين بيلونوا على البشر .
وشويه شويه حا يجيبوا لنا نداغه وسكر نبات.
على فكره الرئيس بيقول ان مدة الحكم أشغال
شاقة

د. يحيى:

ربنا يعينه علينا !!

الأحد 23-03-2008

205- لماذا الحديث عن الإبداع والعدوان (2 من 3)

المنهج والتحدى، والشئ لزوم الشئ
بعض مدارس ونظريات: في النفس والإنسان

مقدمة:

ما كادت الحلقة الأولى عن هذه القضية (العدوان والإبداع) تظهر، حتى وصلتني تساؤلات كنت أتصور أنها سوف تختلف عن تلك التي وصلتني منذ أكثر من ربع قرن، أغلبها كان يدور حول ما يلي:

- توجس من الدفاع عن العدوان
 - خوف من التزاوج (السلي) بين الجنس والعدوان
 - شكاوى من صعوبة العرض وفرط التداخل والتكثيف
 - احتجاج على فرط التقييم
 - دفاع عن فرويد. (وكأنني هاجمته)
- .. وغير ذلك

كمثال من بعض ذلك، برغم أنه نشر أمس ضمن امتداد حوار بريد الجمعة، إلا أنني رجحت أنه ليس كل الزوار (القراء) يتابعون حوار الجمعة بما يسمح لي أن أعتمد على ذلك. وفيما يلي التعقيب والرد، كمقدمة، (مع تعديل أو إضافة بضع كلمات هنا وهناك)

محمد يحيى الرخاوي

بقى ده كلام يُنشر كدا في "أيومية" الواحد عاوز يتعود
يقراها "أيومية"، "الصباح"؟

عفواً باهزر بس والله. إنما فعلاً الكلام شديد التكثيف
والرغبة في الإحاطة من أعلى عليين بطريقة تجعل التواصل صعباً.

على سبيل المثال (لا الحصر)، لم أفهم:

المقصود بفصل الطاقة عن الأداة في الفقرة التالية
مأخوذة من المقال:

4- إذا عجزت الغريزة عن التكامل في الارتباطات الأعلى والأشمل قامت بدورها الدافعي لوظائف أرقى- وحتى دون الالتحام بها- مما قد يخفف من احتمال ظهورها بمظهرها البدائي مباشرة، ويعتبر هذا الحل تسوية ناجحة كمرحلة، ولكن استمراره كحل دائم، لا بد وأن يعوق النمو، حيث يفصل الطاقة عن الأداة في حين أن تكاملهما حتمي في المستوى الأعلى من النمو.

د. يحيى:

كان الزعم الشائع الذي وصلني (ويصلني حتى الآن) هو أن الغرائز (والدوافع، وأحياناً العواطف) هي طاقة دافعة أساساً أو تماماً، وهي طاقات موظفة لحفظ النوع أو الفرد أو كليهما، لكن رويداً رويداً حين عرفت كيف أنه يستحيل فصل الشكل عن الموضوع، كذلك الدال عن المدلول، (إلا مرحلياً) رجحت أن النمو النابض يسمح بهذا الالتحام بين الطاقة وتفعيلها وتجلياتها، فلا تصبح مجرد طاقة يصلح استخدامها لشيء آخر، فرويد حين قال بالتسامي كان يرحب بأن تستعمل طاقة الغريزة الجنسية أداة لبناء الحضارة والمدنية وربما لإنتاج نوع معين من الإبداع، وهذا هو التسامي Sublimation الذي لا أرفضه، لكنني أحفظ ضد أن يقدم باعتباره الحل الأمثل لبدائية الغريزة الجنسية خاصة، أنا أقبله باعتباره مرحلة جيدة، لا أكثر، وبالتالي لا ينبغي أن نصف له أكثر من اللازم، لأننا بذلك قد نعوق الالتحام الولاقي بين الطاقة وما تدفع إليه وهو المفهوم السابق الإشارة إليه.

الآن (سنة 2008) أستطيع أن أضيف أن الإشكال الذي أشر إليه لا يقتصر فقط على زعم انفصال الطاقة عن الأداة وإنما انفصالها عن بقية الطاقات والتجليات التي يتشكل منها - باستمرار - الوجود البشري.

لعلك تعرف يا محمد ما وصلت إليه أخيراً من التركيز على الاهتمام بـ"العملية" Process أكثر من "المحتوى" Content، أو قل: قبل وبعد المحتوى، عملية التوليف الجدلي المتصاعد (بإيقاع حيوي نابض) الذي هو أساس النمو في "النظرية الإبداعية التطورية"، التي أتمنى أن أفرد لها وقتاً كافياً قبل أن أرحل. هذه العملية المتنامية المستمرة في تناوب إيقاعي، تتماهى في تكوين "الواحدية" ONENESS، لكي لا تكتمل أبداً. وهي هي العملية التي تعد بأن لا تجعل - في النهاية أو قرب النهاية - الجنس جنساً، ولا العدوان عدواناً، ولا الطاقة طاقة، ولا الأداة أداة، لأنها مع كل نبضة نمو (نبضة حياة) تضيف إلى المشروع البشري (الواحدية) إضافة ليست بمعنى الجمع (كذا + كيت)، وإنما بمعنى تخليق واحدة أكبر على حساب مكوّناتها، فيصبح الجنس أقل جنسنة لكنه الجنس الجنس (الإبداع)، ويصبح العدوان أقل عدوانية ولكنه العدوان العدوان (الإبداع)، ويصبح الإيمان أقل ديناً لكنه الإيمان (الإبداع) المتماهى إلى وجه الحق تعالى، الذي ليس كمثلته شيء، وهكذا .

كل ذلك لحساب أن يصبح الإنسان أكثر إنسانية نحو التناسق الأكبر فالأكبر مما لا نعرفه لأنه في أفق غياب المعرفة بما يمثل الجهل الذي لا ضده، ذلك الجهل الذي يتخلق بالعلم الذي لا ضده، وهكذا يتواصل النمو الذي أسيه إبداعا.

وبعد

هل يعجبك يا محمد ما أوصلتنا إليه هكذا ؟ الله يسامحك يا شيخ !
هل اتضحت الأمور أم زناها تعقيدا؟ ماذا يقول الناس عنا هكذا؟

(انتهى المقتطف من يومية أمس)

الآن أستطيع أن أجيب على السؤال الذي انتهت به هذه الفقرة قائلا: إننا زناها تعقيدا.

عدت أقرأ الجزء الأول من موضوع العدوان والإبداع، وهو الذي تم نشره ، ثم مسودة الجزء الثاني والثالث (وكان من المفروض نشرهما اليوم وغدا) فوجدت أن المسألة تحتاج فعلا إلى وقفة وتوضيح ومتابعة، وذلك حتى أتمكن من الرد على التساؤلات التي طرحت من يثق في أنني أريد أن أبلغ شيئا، أو من يحتج أنني لا أبلغ شيئا،

وفيما بعض ما وصلني بالإضافة إلى التساؤلات التي تجلت لي مني شخصيا:

تساؤلات

• هل هذه الأطروحة تتناول أساسا قضية الإبداع أم قضية العدوان؟

• أليس الإبداع، كما شاع عنه على الأقل، هو من أرقى وظائف البشر؟ فكيف نربطه هكذا بالغرناز (سواء الجنس أو العدوان)، وقد شاع عن كل ما هو غريزة أنها من أوائل دوافع البقاء الفجة التي تشترك فيها أغلب الأحياء مهما كانت مرتبتها على سلم التطور؟

• ثم ما علاقة الجنس بالعدوان، سواء في جذور أصولهما، أو في تجليات نموها لدرجة أن يحتوى كل منهما نوعا فائقا من الإبداع.

• ثم هذا التقسيم إلى إبداع تواصلى وإبداع خالقي وربط كل منهما بغريزة بذاتها، ما علاقته بتقسيمات الإبداع الأخرى، ومستوياته (هذا التساؤل أنا الذي طرحته على نفسي، خاصة أن لي تقسيمات أخرى عديدة من منطلقات مختلفة، أنظر مثلا (حركية الوجود وتجليات الإبداع)؟

• وما الفرق بين أن نتسامى عن أى منهما ترويضاً لبدائية كل منهما وارتقاء عنهما (وليس بالضرورة بهما)، وبين أن تتجلى الغريزة هي هي في شكل أرقى أكثر تكاملا وفي نفس الوقت أعقد إبداعا؟

• ثم ما علاقة كل ذلك بالنمو النفسى، وبالمرض النفسى، وب علاجه؟

• **وأخيرا:** كيف ندرس عملية الإبداع ذاتها ونحن لا نملك لكشفها هي بما هي، فمن ناحية أخرى هي أخفى من أن تتحدد للدراسة، ومن ناحية أخرى نجد أن بعض مراحلها قد يتم في مساحة متناهية الصغر من الزمن بحيث يستحيل فحصها، إن كل ما يمكن أن يتاح فحصه هو إما الناتج الإبداعى، أو بعض ما يعيه المبدع فيما يمكن أن يكون في متناول وعيه الظاهر، وفي حدود قدرته عن التعبير عنه، الأمر الذى لا يمكن الجزم بأنه يمثل عملية الإبداع ذاتها بالدقة الموضوعية المأمولة؟

• ثم أخيرا: نحن في ماذا؟ أم ماذا؟ هل هذا وقته في مثل هذه النشرة اليومية؟

•

أقر وأعترف أننى أحترم كل هذه الأسئلة

وأنى أنا الذى وضعت أغلبها (لم يسألنى أحد)

وأنى جاهز للرد عليها

وسوف أبدأ بالرد على السؤال الأول اليوم، فالمسألة قد تحتاج شهورا أو كتابا

ولعلى أتمكن أن أعرض غدا جداول تسمح بالمقارنة بين الجنس والعدوان من جهة، ثم بين الإبداع التواصلى والإبداع الخالقى

خلنا اليوم في: السؤال الأول

• هل هذه الأطروحة تتناول أساسا قضية الإبداع أم قضية العدوان؟

الرد الجاهز هو: إنها تتناولهما معا، وهو رد هروبي لا يفيد شيئا.

الرد الأحسن قليلا: إنها تتناول العلاقة بينهما

الرد الأهم يقول:

راجعت نفسى فإذا بي وأنا أتعرض لهذه الأساسيات، إنما أتناول قضية النمو البشرى أساسا، بل قضية الطبيعة البشرية التى تجنبت مؤخرا أن أسميها "الفطرة" مع أنها كذلك، تجنبت مرحليا استعمال هذه الكلمة نظرا لاختزالها أحيانا من بعض المتلقين إلى ما لا أعنى.

لماذا البحث في الإبداع من طبيب نفسى؟

ولماذا البحث في العدوان (والغرائز) من طبيب نفسى؟

لأننا نبحث الطبيعة البشرية حين تعتل أو تحتل وهو ما يلزم هذا الطبيب النفسى بعلاجها !!

هل يمكن أن ندعى أننا نعالج إنساناً مريضاً (نفسياً) دون أن نعرف من هو الإنسان عموماً، ثم بعد ذلك من هو هذا الشخص تحديداً؟

حين راجعت أغلب النظريات المعاصرة في علم النفس (كان ذلك سنة 1980) وكان مقرراً علينا مثل ذلك أثناء دراستي الماجستير في كتاب بهذا الاسم، بل لعل الاسم كان "المدارس المعاصرة لعلم النفس" تأليف وودورث **Contemporary Schools of Psychology Woodworth**، كنت آنذاك (1980) أبحث عن جدوى دراسة هذه النظريات للطبيب النفسي، ذلك أتى بعد أن صرت ممتحناً لا طالباً، كنت أسأل طلبة الماجستير نفس السؤال ليس فقط بالنسبة لعلم النفس، بل أيضاً بالنسبة للعلوم الأساسية، وبالذات علم التشريح العصبي، السؤال هو: **ماذا يفيدك في ما درست في العلم الفلاني في أذانك الفعلي لمهمتك كطبيب؟** وكان الطالب (الطبيب) ينزعج لأنه لم يحظر على باله هذا السؤال أثناء دراسته، كل ما كان عليه هو أن يعرف المقرر، ويحفظه، ثم يسمعه في الامتحان، أما أن يفاجأ بالتساؤل حول جدوى ذلك، فهذا ليس من اختصاصه وإنما هو من اختصاص واضع المنهج، وكنت أطمئن أنه هذا السؤال، ومثله، لن يحاسب عليه، (لأنه - السؤال - ليس في المقرر)، وحين تجرأت وناقشت هذه المسألة مع زملائي ووضعي المناهج حسبوني أمزج، وحين ترأست القسم لمدة أربع سنوات، لم أتمكن من تعديل المقررات إلا في حدود شديدة الضيق، وقد بلغني بعد أن تركت رئاسة القسم أنهم تراجعوا عنها.

سنة 1980 راجعت أكثر من عشرين من هذه النظريات والمدارس، وحاولت - بالنسبة لكل نظرية - أن أبحث عن الأساسيات البدئية للمفاهيم الأساسية التي تجيب على أسئلة أساسية تقول:

1. من هو الإنسان؟
2. ما هو مفهوم الصحة النفسية؟
3. ما هو مفهوم المرض؟
4. إذن: كيف العلاج؟ (من وجهة نظر هذه النظرية بوجه خاص؟)

إذا لم نجب نحن الأطباء عن هذه الأسئلة، فما جدوى أن ندرس هذه المدرسة أو تلك، نحن أطباء نفسيون، ولسنا فلاسفة،

الفلسفة تدور كثيراً حول كليات منها السؤال الأول، وإلى درجة أقل الثاني، ولكنها لا تُعنى كثيراً بالسؤال الثالث والرابع،

الطب النفسي (أغلبه الآن) يبدأ من السؤال الثاني (خفيف خفيف) ثم يجد نفسه مستغرقاً في السؤال الثالث والرابع.

أي طبيب نفسي لو تمنع الأمر، لوجد السؤال الأول والثاني حاضرين كأقوى ما يكون داخله أو داخل داخله،

وبما أن المسألة في الداخل هكذا (دعنا الآن من كلمة اللاشعور كما جنّبنا كلمة الفطرة مؤقتاً)، فإنه (الطبيب) يمارس مهنته، بما في ذلك اختياراته وتفضيله هذا العلاج عن ذلك، وقياسه فاعلية ما يفعل نوعاً وكماً، يفعل كل ذلك من خلال تأثير **السؤال الأول والثاني** (عن الإنسان والصحة)، سواء اعترف بذلك لنفسه أم لا.

كثير من الأطباء يتصورون أن هذه مسائل نظرية لا تعنيهم، لكن واقع الأمر أنهم يمارسون مهنتهم من خلال إجابتهم عنها دون أن يدروا،

وأستطيع أن أتصور أن هناك إجابتين خطيرتين تكمنان داخل كل طبيب نفسى، تحددان اختياراته وممارساته، وكل إجابة منهما تشير إلى الرد على السؤال الأول والثاني معاً

الإجابة الأولى: (مرة أخرى من داخل داخل الطبيب)

الإنسان هو ما أمثله أنا شخصياً، والصحة النفسية تقاس بما أنا فيه وما أفعله وأريده أو أرجو أن أكونه.

الإجابة الثانية:

إن مفهوم ماهية الإنسان هو أمر لا يعنينى لأننى لا أتفلسف، والصحة النفسية هي ما أقرأ عنه في أمهات الكتب الطب نفسية جداً، والمجلات العلمية المحكمة جداً جداً، الممولة بالسلامة من شركات الدواء الأحدث فالأحدث.

اكتشفت الآن، (خاصة وأنا أرد على تساؤلات محمد إبنى، أننى حين وضعت نظريتي ("النظرية الإيقاعية التطورية") كان يشغلنى هذا الشاغل الذى يمثل الإجابة الأرجح لهذه الأسئلة الأربعة، وربما هذا هو ما دعانى إلى الغوص فى جذور مثل هذه المسائل الأساسية هكذا، ومن بينها **الجنس والعدوان والإبداع والمرض واللغة والنمو البشرى والنقد والتطور الحوى**،

وهل يحتاج الأمر إلى شرح علاقة كل ذلك بممارسة الطب النفسى؟

نعم يحتاج

ولكن دعونا ننظر فى بعض تلك النظريات التى سمعتها منذ أكثر من نصف قرن (ولم تنشر كالعادة)

ولكن قبل ذلك لابد من الإشارة إلى صعوبة تعريف الإنسان خاصة حالة كونه صحيحاً نفسياً (**ملحق كتاب حيرة طبيب نفسى "مستويات الصحة النفسية على طريق التطور الفردى"**)، وذلك مقارنة بتعريف المرض، أما تعريف العلاج، فهو قد يكون أسهل ما دمنا نجرأنا وعرفنا المرض.

وفيما يلى بعض محاولاتى السابقة لتحديد شديد الإيجاز، قابل للخطأ لهذه المفاهيم الضرورية أن تكون شعورية، بدلا من أن تلعب من ورائنا دورا لا نعرفه.

- مفهوم الإنسان
- مفهوم الصحة النفسية
- مفهوم المرض
- مفهوم العلاج

هذا وقد قسمت المدارس المختلفة إلى سبعة مجموعات (متداخل بعضها في بعض آخر بالضرورة) لتشمل كلها ثلاثاً وعشرين مدرسة ونظرية .

قبل أن أعرض مجمل ما فعلت سنة 1980 (ولم أدرسه ولم أنشره) أنبهه إلى أنه في الربع قرن الأخير ظهرت مدارس ونظريات جديدة غاية في الأهمية وبالذات في مجال ما يسمى العلم المعرفي والعلم المعرفي العصي مما سأعود إليه مستقلاً في الوقت المناسب. إن ظهور هذه النظريات الجديدة، أو تطور النظريات القديمة له دالتان هامتان:

الأولى: إن تعدد هذه النظريات إنما يدل على صعوبة ما تتناوله وغموضه،

الثانية: إن باب الاجتهاد لم يقفل، ولا ينبغي أن يقفل ما دامت المعرفة منفتحة.

وفيما يلي ما سبق كتابته بالإنجليزية، ونظراً لضيق الوقت سوف أنشره كما كتب سنة 1980 مع كل اعتدالي بسبب العجلة أن أكتفى اليوم بنشره هكذا،

وأصبح كل ما لا يقرأ الإنجليزية أو لا يجيها - مثلي- أن ينتقل فوراً إلى التعقيب النهائي دون أن يشغل اليوم هذا الجزء الغريب، لأنني سأعود إليه باللغة العربية مراراً وتكراراً.

ثم إنه من البديهي أنني في نهاية المطاف ، سوف أعود إلى ربط كل ذلك - بشكل ما- بعلاقته بفروض الإبداع والعدوان، وما يتصل بها.

مجموعات المدارس والنظريات

عن الإنسان ونفسه وصحته واعتلاله (1980)

THE FIRST GROUP

The First Group (Psychoanalysis and related theories):

By related I mean "originating from and sharing basic orientation with." The terms post-Freudian (historical) and neo- Freudian (more elaborate) are but misnomers. Some theories that have definitely originated from psychoanalysis (like Jung and Adler) are put elsewhere according to the dominance of other significant characteristics.

1) classical Psychoanalysis (Freud Sigmund)

MAN is directed by the outcome of his unconscious make up; determined fixations and instincts (particularly sexual).

HEALTH is to be able to find socially acceptable expressions for the instincts, to work and to love through the conscious efficient agent called the ego.

DISEASE is disturbed balance between forces unconscious determinants deranging the efficiency and adaptation of this functioning unit (man).

TREATMENT is psychoanalysis (for cases fit for it) in order to let relive early pathological relations which makes the causative determinants available to interpretation and correction, thus liberating sufficient adaptive energy through rearranging the psychic compartments.

2- Object Relations theory (Melanie Klein Winfrid Fairbairn, Harry Guntrip... etc)

MAN is the outcome of his introjects, splits and fixations at sequential object relations modes during infancy.

HEALTH is optimum object relations where objects are predominantly 'good' objects: significant and satisfactory, thus promoting production and adaptation.

DISEASE is disturbed psychic apparatus as a result of introjecting, and perpetuating, distorted objects and objects and relations.

THERAPY is to correct these distortions through psychoanalysis permitting reliving (reparative) object relations, thus reorganizing personality structure with consequent constructive relations.

3- Eric Erickson

MAN is a social being having the liability to grow and re-grow throughout his life. He is not only determined through happenings in his childhood but is also, at least partly responsible for himself.

HEALTH is consequent upon the successful resolution of growth crises to emerge from them in the positive direction, thus promoting successive building of a gratifying self concept positive continuous growth.

DISEASE is the predominance of too prominent a zone or a mode beyond its appropriate stage of development. It is also related to the negative outcome of growth crises. is the failure to resolve the growth crises, with sub sequent stagnation and a negative self-concept.

THERAPY is building up basic trust and confidence that the individual failed to acquire in infancy and childhood. This is established through reliving, correcting information, remodeling society, thus liberating growth in the proper direction.

4- Harry Stack Sullivan (Interpersonal psychiatry)

MAN is a social being, developing through and living in a real world of inter-personal relations

HEALTH is a successful interpersonal life including acceptance of one's self, that of others, and mutual enrichment and cooperation.

DISEASE is the result of hindering such constructive interpersonal relating through processes of "dynamism of difficulty" which are the process of living parts of one's personality that are wrongly applied to defect one's self i.e. misuse of personality function. Disease is exaggerated un-timed normal difficulties.

THERAPY is a mutual participation repairing the defective interpersonal relations and eliminating the 'dynamism of difficulty' turning them to proper personality functioning .

THE SECOND GROUP

The Second Group (Organizational systems theories):

Most of these theories share, more or less, some common basic assumptions about multiple hierarchical organizations, continuous growth, teleological direction, consciousness, will and responsibility.

5- Transactional analysis (Eric Berne)

MAN is composed of multiple cooperating, alternating systems of 'ego states' which correspond to biological brain organization

HEATH is appropriateness and cooperation between ego states in relation to the relevant situation and individual needs.

DISEASE is hyperdominance, exclusion, contamination confusion and or inflexibility of certain ego states.

THERAPY is re-establishment of a proper relation between these functioning patterns, then liberation in proper interaction towards more and more synthesis rather than simple temporal alteration.

6- Sandor Rado (Adaptational Psychodynamics)

MAN is a biological system operating under integrating hedonic control (Hedonia here means organizing harmony). He seems to represent a biologic hierarchy repeating the evolution of his species

HEALTH is achieved by appreciating one's self as a "proven provider of pleasure (hedonic)".

DISEASE is maintenance of, or revival of the helpless, dependent child pattern of resulting in neurotic over-reactive behavior. It is also due to deficiency (probably innate) in the integrative pleasure ability.

THERAPY is emotional reduction to achieve self reliance, integrating reorganization through pleasure tolerance and utilization. The technique is analytic but interceptive (interrupting) interpretations are advised to stop regression

7- Henry Ey (Organo-dynamism)

MAN is, the conscious system well controlling and organizing other compartments of the personality i.e. levels of the brain.

HEALTH is this successful control to the extent of (so much so to) allowing harmonious adaptation and production

DISEASE is the failure of this control and dissolution of consciousness permitting the substructure to erupt directly or indirectly exhibiting maladaptive behavior.

THERAPY is restoration of this control once again by any available therapeutic means.

8- Silvano Arieti (cognitive-volitional therapy)

MAN is primarily a cognitive- volitional organization.

HEALTH is the appropriate functioning of the mature cognitive- volitional organization with secondary processes dominating the primitive cognitive organization as well as other functions in creation (a higher level of health). Both processes primary & secondary act synergistically and self-expansion, rather than self-actualization is the result of properly growing creative life.

DISEASE is failure of such control resulting in disharmony and presentation of disguised primitive activity.

THERAPY is reparation & reeducation ,reorganization] of the mature cognitive function to control and dominate once again. This is established, for instance, through cognitive repair including acceptance, translation and cohering.

9- General systems theory: Loving Von Bethany

Man is a multi-system organization to sub- and surpasses where all constitute the universe organized in a hierarchical accumulation of matter-energy-information organizations.

Health is The adequacy & harmony within the human systems as well as with other systems.

DISEASE is a deficiency, or faulty organization in any of the critical systems of energy-matter or information processing.

THERAPY is any means that corrects the deficiency thus restoring the harmony.

10- Evolutionary Rhythmic Theory (yehia RAKHAWY)

MAN is a biologically rhythmic structure, processing information in phasic oscillations on the way to endless dialectic growth.

HEALTH is the adequacy of both rhythmicity and processing to achieve an optimum degree of harmony appropriate to each phase of the biorhythmic cycles to promote ever- lasting dialectic growth.

DISEASE is the mishap or complications of this evolutionary rhythm in the form of abortion,

mutilation, disruption, concealing or undue prolongation of a certain phase (or phases) of the biologic rhythm.

HEALTH is the appropriate functioning of the mature cognitive- volitional organization with secondary processes dominating the primitive cognitive organization as well as other functions in creation (a higher level of health). Both processes primary & secondary act synergistically and self-expansion, rather than self-actualization is the result of properly growing creative life.

DISEASE is failure of such control resulting in disharmony and presentation of disguised primitive activity.

THERAPY is reparation & reeducation ,reorganization] of the mature cognitive function to control and dominate once again. This is established, for instance, through cognitive repair including acceptance, translation and cohering.

9- General systems theory: Loving Von Bethany

Man is a multi-system organization to sub- and surpasses where all constitute the universe organized in a hierarchical accumulation of matter-energy-information organizations.

Health is The adequacy & harmony within the human systems as well as with other systems.

DISEASE is a deficiency, or faulty organization in any of the critical systems of energy-matter or information processing.

THERAPY is any means that corrects the deficiency thus restoring the harmony.

10- Evolutionary Rhythmic Theory (yehia RAKHAWY)

MAN is a biologically rhythmic structure, processing information in phasic oscillations on the way to endless dialectic growth.

HEALTH is the adequacy of both rhythmicity and processing to achieve an optimum degree of harmony appropriate to each phase of the biorhythmic cycles to promote ever- lasting dialectic growth.

DISEASE is the mishap or complications of this evolutionary rhythm in the form of abortion, mutilation, disruption, concealing or undue prolongation of a certain phase (or phases) of the biologic rhythm.

THERAPY is regulating reorganizing and re-channeling the evolutionary rhythms, by all means. Recharging by appropriate and adequate information appropriate to each stage, facilitating unfolding and enhancing ultimately dialectic growth.

THE THIRD GROUP

The Third Group: The learning oriented theories

Although Adlerian theory is included here I am not very happy about this but I have no alternative for the time being. This group stresses learning in its broadest sense as the basic factor for human identity and march all through his life.

11- Adler (Individual Psychology)

MAN is an organic purposeful system aiming at self-realization and social survival. He is a unity.

HEALTH is achieving these goals of self-identity, including sense of unity and continuity and also self-esteem and acceptance. This is completed and approved by proper social adaptation.

DISEASE is failure to achieve such goals, i.e. lack of self-unity, surrendering to inferiority and lack of social feelings. The etiological roots should be traced to childhood.

THERAPY for a child is guidance to repair and avoid further development of handicapping habits. In the adult, it is directed to mobilization of creative resources to compensate for failure and to achieve the previously unattained goals. It is both social therapeutic support and education in a proper milieu.

12- Personality Learning Theory

MAN is a measurable structural personality phenomenon which adequately functions through adequate multi-dimensional learning procedures.

HEALTH is symptomatic optimum functioning mode of behavior that lies within the normal norms.

DISEASE is a symptomatizing mode of behavior that surpasses normal norms in multi-dimensional aspects interacting together.

THERAPY is a multi-dimensional learning taking

into consideration adjustment pathanalysis.

THE FOURTH GROUP

The Fourth Group (Self actualization theories):

I believe that the term humanistic psychology is a misnomer since most theories are essentially humanistic. I prefer the term self actualization theories to include those theories stressing actualization of human potentialities "to be ".

13- Karen Horney

MAN is an organism having evolutionary potential striving for self realization by nature (delivering or unfolding the central integrating force called real self) and to be able to transcend the dichotomies of opposing contradictory forces.

HEALTH is the attainment of self realization through actualization of potentialities in a process of constructive evolution.

DISEASE is failure of this fulfillment due to basic familial hostility and coldness producing basic anxiety. This anxiety, its modifications and evolution is responsible for disease.

THERAPY is directed towards discovering one's potentiality, on's real self in the actual situation . The technique consists developing a real relationship between two persons through which goals are achieved in the now-on, working through any difficulty .

14- Otto Rank

MAN is an organism striving for rebirth and growth. He is in a continuous in-and-out rebirth experience where crescendo relationships are the psychological uterus. **HEALTH** is promotion of this journey in the proper direction to achieve the ultimate goal of growth.

DISEASE is itself also rebirth experience where the patient makes drastic leaps forwards rather than a slow process of gaining insight.

15- Abraham Maslow

MAN is a potentially growing organism meant to fulfill his good natural potentialities.

HEALTH is reinforcing being (b) needs after satisfying deficiency (d) needs in a natural hierarchy achieving self actualization as exhibited in samples of peak experiences

DISEASE is dominance of deficiency needs and stunted alienated growth of personality

THERAPY is to help growth to continue in the natural hierarchy surpassing the lower levels and not arrested at them.

16- Existential Analysis (Dasein Analysis e.g. Ludwig Binswanger Rollo May)

MAN is a unique existing, conscious organism, aware of himself, thus aware of in space and time. His structure and identity are the result of his existential awareness and free choice.

HEALTH is to live as an aware Gestalt operating in a dialectic tension reinforcing freedom of self and others and adjusting relations to one's self in the world.

DISEASE is to lose this awareness in hypnotic alienation due to reductionistic determinism. Overdose of such awareness replacing actual productivity and relatedness may represent another aspect of illness.

THERAPY is established through an "I and thou" communication to reinforce one's awareness of himself towards and in relation to the common world. By so doing alienation is overcome and treatment proceeds .

17- Gardner Murphy (Biosocial theory)

MAN is a structural organism-environment field that is part of a still larger field. This larger field is explored through paramental phenomena (telepathy clairvoyance....etc.)

HEALTH is the harmony between man his immediate environment as well as his remote environment.

THERAPY is the re-establishment of organization and harmony within the person and with the environment, through psychotherapy and any other mean.

THE FIFTH GROUP

The Fifth Group (The actualization-extension group) :

This group includes theories extending human growth beyond the individual or the limited human existence. They are also growth oriented but to a more extended open ended goal.

18- Organismic psychology (Kurt Goldstien)

MAN is a total organism, never a simple aggregation of parts, living in a total environment

HEALTH is fulfillment of this totality, self actualization of his potentiality with malleability shifting from concrete to abstract and vice versa.

DISEASE is blockage at a limited static maintenance of the status quo at a tension release level.

THERAPY is established through a 'communion' where self realization of both patient and therapist is enhanced.

THE SIXth Group (The static or stationary group)

This includes a collection the common feature of which is that they agree about man being essentially some sort of formed structure (organic, symbolic, or reflexive).

19- Reflexogenic Theory (Pavlov Watson. etc)

MAN is a construct of complex conditioned responses.

DISEASE is the behavioral expression of good adaptive learnt habits

THERAPY is, then, reeducation through disrupting the maladaptive habits and re-establishing better adaptive ones.

20- Biochemical Stability theory (Synaptologists).. etc.)

MAN is a chemical constellation permitting appropriate function within the range of common norms

HEALTH is the adequacy and normal standards of this constellation as evidenced mainly by the absence of symptoms.

DISEASE is the manifestation of increase in this chemical substance or decrease in that producing symptoms.

TREATMENT is the correction of this deficit or neutralizing or eliminating the excess

21- Structuralism (The recent trend e.g. Jacque Lacan, Straus..)

MAN is his structural configuration. The conscious self (ego) is but a trivial outside façade. He is neither evolving nor goal seeking and his free choice is rather limited within structural configuration.

HEALTH is an efficient by-product of a well organized structure.

DISEASE is a significant structure in itself declaring an independent organization . It is also disruption or obstruction of an established structure

THERAPY is uncovering of the existing structure, analysing the symbolic context and allowing transformational genesis of a well organized structure.

THE SEVENTH GROUP

The miscellaneous group

There remains two trends that are worth introduction i.e. Gestalt and the anti- psychiatry and I have failed to include them under any of the above mentioned groups.I have put them together under the heading miscellaneous group though they share some qualities with some others theories not to a convincing degree to be included there, (at least for me).

22- Gestalt theory (Kurt Kafka Max Wertheimer, Kohler

MAN is a Gestalt i.e. he cannot be adequately described as a sum of smaller independent events or parts.

HEALTH is a Gestalten reflecting a balanced distribution of the forces underlying this organization??

THERAPY having the name Gestalt therapy is said to be poorly attached to the theory. It has its own technique. It aims at organizing self regulation through re-education to form a Gestalten delineated figure from ground and facilitate ready shift in the way to reinforce and liberate choice.

23- Anti-psychiatry movement (Ronald Laing, Cooper, Thomas Szaz)

MAN is the victim of his insane society.

HEALTH is to live in a sane society.

DISEASE is what the society does to the individual to make him diseased or to believe he is so.

THERAPY should be directed to the society to make it less psycho zing.

وبعد

أرجو أن يكون واضحاً أن هذه التقسيمات ، وبعض التمسات، هي مجرد اجتهاداتي أنا،

كما أنني أقر أن هذا الاختصار بهذا الشكل هو مخل بلا أدنى شك، فليس من المعقول أن تقع نظرية في مئات الصفحات ثم أختزلها في بضعة سطور.

لكن من الواضح أنني لم أختزل أية نظرية مما طرحته حاليًا، كل ما أردت توضيحه هو التأكيد على أن أي نظرية في الإنسان في مجال علم النفس أو الأمراض النفسية، لا بد وأنها تقدم مفهوماً لهذه الأبعاد الأربعة التي تكرر دراستها لمن يتصدى لعلاج المرضى، وأن إنكار ذلك يرجعنا للاحتمالات الأولى:

إنه من يمارس الطب النفسي بوعي مضرب، وهو لا يتعرض أصلاً لهذه المفاهيم، ولا يبحث عنها داخله قبل خارجه، إنما يحكم على مريضه وعلى نفسه، ويوجههما إلى وجهة ما، قد لا يعرفها، وقد تسمى إليهما، وأن موقفه هذا ليس بالضرورة حيادياً كما يتصور.

لن أعد هذه المرة بشيء محدد،

لكنني سوف أعود

وهل أملك غير ذلك!

الإثنين 24-03-2008

206- مدارس ونظريات وافتراضات أساسية

اعتذار مكرر: وعدت أمس أن أقدم ما قدمت - متعجلاً أسفاً - بالإنجليزية أن أقدمه بالعربية، وهذا هو ليس ترجمة مباشرة، أو صورة طبق الأصل، فهو في شكل جداول لعلها تسهل المهمة (أوتصعبها)، وقد تم تعديل وتصويب بعض التفاصيل والتقسيمات، وأكرر اعتذاري.

(من المتوقع أنني لن أضيف كلمة واحدة بالإنجليزية للتوضيح، وعلى من يريد مثل ذلك أن ينظر في نشرة أمس).

مدارس ومدارس

مدارس ونظريات وافتراضات أساسية

مقدمة

ليس المطلوب من قارئ هذه النشرة أن يستوعب كل ما تورطنا في نشره هكذا وفاء لوعده أمس، تبريراً لفتح ملفات فحص "ماهية الإنسان" اصلاً (الغرائز) ومصيراً (الإبداع المفتوح النهاية)

لكن المقصود (أو المأمول) هو أن تصله رسالة عن مدى تنوع الرؤى (ويا حبذا لو امتدت هذه الرسالة إلى اختلاف الأديان)، وأن يجعله هذا يتحمل الاختلاف، وقد يعود إلى ماشاء مما ورد في هذه العجالة بين الحين والحين.

لماذا كل هذه النظريات عن النفس وفي النفس، ولماذا كل تلك المدارس؟

إن كل ذلك إن لم يكن الهدف منه - بالنسبة للطبيب النفسي، والأهم بالنسبة للمريض النفسي - هو العلاج، فلا داعي له في هذا المجال، ولتقتصر المسألة على منظور فلسفي، أو مجادلة نظرية.

لا يوجد إنسان ليس لديه مفهوم خطأ أم صواب عن ماهيته ووجوده ومعناه وغايته، كل ما في الأمر أن هناك من يُعنى بذلك واعياً، وهناك من يعيش كل ذلك دون حاجة لفحصه أصلاً، وهناك من ينكره علانية لكنه لا يمكنه التخلص منه إلا إذا تخلص من حياته كلها.

متجانسة بالضرورة، إلا أنها تؤكد علي التفرد من ناحية، وعلى وضع الإنسان كغاية في ذاته من ناحية أخرى، غاية تتحقق بما تعد طبيعتها الجيدة (الإنسانيون) أو بما تمارس من حرية مفتوحة (الوجوديون)

المجموعة الخامسة

امتداد الذات وعبرها

وتشمل هذه المجموعة خليطا من التنوعات النمائية، والتطورية، والدينية، والإيمانية، والصوفية، واليوتوبية، وهي تؤكد علي أن الإنسان الفرد (وأحيانا النوع) هو مجرد حلقة متوسطة لها ما بعدها، وأنه بتكوينه المتطور قادر علي الامتداد إلي ما بعده دون التوقف عند ما هو، أو ما يتصور أنه هو (أي عند مرحلة تحقيق الذات مثل سابقتها)

المجموعة السادسة

المنظور الكيميائي والبنوي الساكن

وتسمى هذه المجموعة باسماء مختلفة، ليست دقيقة ولا تمثل حقيقتها في كثير من الأحيان، مثل: النموذج الطبي، أو النموذج الحيوي، وأحيانا النموذج البيولوجي فحسب.

وهي يمكن أن تشمل علي الجانب الآخر (من حيث فكرة التركيب المبرمج الجاهز أو المتشكل في المحل) بعض غلاة السلوكيين، والبنويين التقليديين

المجموعة السابعة

المنظور الإنكاري الاجتماعي (السياسي)

هذا المنظور ينكر المرض النفسي أصلا ويعتبره نتيجة لقهر المجتمع المريض، وبالتالي فالمجتمع مسئول والمرض النفسي مجرد ثورة احتجاج علي مجتمع مريض

تعقيبات ومهاذير

مع هذه المحاولة الباكرة المتواضعة الشديدة الإيجاز، ينبغي أن نتذكر مرة أخرى، ما يلي:

(1) أن التقسيم تقريبي تماما

(2) أن ثمة تداخل يزيد أو ينقص بين مجموعة وأخرى

(3) أن ثمة مدارس ونظريات أخرى يمكن أن تضاف (خاصة وأنني جمعت هذه المدارس سنة 1980، قبل أن تظهر موجات العلم المعرفي الحديثة، وتشكيلات العلاج المعرفي المتتالية، وهو ما سأرجع إليه في هذه النشرة غالبا)

(4) أنه لم تذكر أية تفاصيل أو حتى إشارة عن ما تضمنه كل مجموعة من مؤسسين أو ما ترتبط به من تاريخ

المجموعة الأولى: التحليل النفسي (وما يرتبط به)
(1) التحليل النفسي التقليدي (ال فرويدي)

ماهية الإنسان	الإنسان نتاج تاريخه محكوم بالاشعوره ' قد يعاق بتثبيات طفولته مدفوع بغرائزه لا سيما الجنس (بالعنى الأشمل) أن يتجاوز (أى يفك وقفته) تثبياته, إذ يتمكن أن يضبط غرائزه ليحقق: "أن يعمل وأن يحب" (ويتكيف)
مفهوم الصحة	أن تحدد تثبياته, فتغلب عليه حتى ينكس أو يعاق بمكانزوماته ويختل التوازن بين تركيباته, فتكبله أعراضه
مفهوم المرض	أن يعيد معاشة تثبياته من خلال التداعي والطرح فيتمكن من إزالة الإعاقة فإطلاق الطاقة لإعادة التوازن "فيعمل, ويجب"
العلاج	

المجموعة الأولى: التحليل النفسي (وما يرتبط به)
(2) مدرسة العلاقة بالموضوع (الآخر)

ماهية الإنسان	الإنسان جماع مستدخلاته وانشاقاته الأولى التي نشأت حسب نوع علاقته بأمه, وتوالى التثبيات في مواقع النمو المتتالية
مفهوم الصحة	أن يحقق علاقة ناجحة بالآخر الموضوعى باعتباره "حسنا بدرجة كافية" متعاوناً للتكيف والأداء
مفهوم المرض	خلل الجهاز النفسي المحتوى لموضوعات سيئة والمار بتثبيات معطلة لعمل علاقة مفيدة بالآخر
العلاج	هو تصحيح هذه التثبيات من خلال إرساء علاقة تصحيحية تحسن الداخلى, وتسمح بالتعامل الموضوعى مع الآخر

المجموعة الأولى: التحليل النفسي (وما يرتبط به)
(3) إريك إيكسون

ماهية الإنسان	الإنسان كائن اجتماعى له قدرة أن ينمو في حلقات (دورات) طول حياته. وهو ليس مصنوعاً وإنما يشارك في صنع نفسه
مفهوم الصحة	هى النجاح في عبور أزمات النمو المتلاحقة في اتجاه الإيجابية وبما يصلح أخطاء المراحل السابقة إن وجدت
مفهوم المرض	هو تضخم أو استمرار مرحلة أكثر من دورها وكذا الخروج من أزمة النمو في الاتجاه السلبي
العلاج	هو بناء الثقة الأساسية وإصلاح ما سبق تضخمه بإعادة الإعاقة مع تصحيح المعلومات وإعادة تشكيل الناتج وإطلاق مسيرة النمو

المجموعة الأولى: التحليل النفسي (وما يرتبط به)
(4) هارى ستاك سوليفان

ماهية الإنسان	الإنسان كائن اجتماعي ينمو ويعيش في عالم حقيقي الآن، عالم مصنوع من العلاقات البينشخصية
مفهوم الصحة	حالة من نجاح العلاقات التي تشمل قبول الذات، والآخر وإثراء بعضنا البعض، والتعاون فيما بيننا
مفهوم المرض	هو ناتج إعاقة إرساء هذه العلاقات من خلال: 'ديناميات الصعوبات' التي هي مبالغت للعادة والناشئة من استعمال ذاتنا جزئيا
العلاج	مشاركة متبادلة لتصحيح مسار العلاقات البينشخصية وإزالة 'ديناميات الصعوبات' وسلامة توظيف الشخصية

المجموعة الثانية: المنظومات (التركيبية) المتعددة
(5) إريك برن

ماهية الإنسان	الإنسان هو مجموعة منظومات نفسية لها ما يقابلها بيولوجيا، وهي منظومات متعاونة، تحت قيادة واحدة فقط، في لحظة بذاتها
مفهوم الصحة	هو تناسب حالة الذات القائدة مع الموقف الحالي، مع القدرة على التبادل مع الذات الأخرى متى لزم الأمر
مفهوم المرض	هو طغيان وجهود إحدى الذات، والخلط بينها واحتمالات التلوث وفقد المرونة والعجز عن التبادل.
العلاج	هو استرجاع مبادئ التناسب الموقفي والتبادل النشط بين الذات حسب متطلبات التكيف والفاعلية

المجموعة الثانية: المنظومات (التركيبية) المتعددة
(6) ساندور رادو

ماهية الإنسان	الإنسان جهاز بيولوجي يعمل بتنظيم اتساقى (هيدوني) بتركيب هيراركي يعيد مسيرة تطور النوع.
مفهوم الصحة	أن يتقبل الإنسان نفسه كمصدر للتناسق الهيدوني القادر
مفهوم المرض	هو استمرارية نمط الطفولة المعتمد العاجز وهو نقص (ربما وراثي) في القدرة على تكامل القدرات التناسقية
العلاج	الإقلال من الانفعالية، وتدعيم الاعتمادية الذاتية من خلال إعادة تنظيم وتكامل التناسقية. من خلال التحليل التدخلى بدلا من التداعى الحر.

المجموعة الثانية: المنظومات (التركيبية) المتعددة
(7) هنرى إي

ماهية الإنسان	الإنسان جهاز بيولوجي يعمل بتنظيم اتساقى (ميدوني) بتركيب هيراركى يعيد مسيرة تطور النوع.
مفهوم الصحة	أن يتقبل الإنسان نفسه كمصدر للتناسق الهيدونى القادر
مفهوم المرض	هو استمرارية نط الطفولة المعتمد العاجز وهو نقص (ربما وراثي) فى القدرة على تكامل القدرات التناسقية
العلاج	الإقلال من الانفعالية، وتدعيم الاعتمادية الذاتية من خلال إعادة تنظيم وتكامل التناسقية. من خلال التحليل التدخلى بدلا من التداوى الحر.

المجموعة الثانية: المنظومات (التركيبية) المتعددة
(8) سيلفانو أريتي

ماهية الإنسان	الإنسان كيان معرفى إرادى أساسا. القدرة على تغليب العمليات الثانوية أساسا مع استمرار امتداد الذات إلا ما بعدها من خلال التوليف بين العمليات الأولية والثانوية
مفهوم المرض	العجز عن التحكم فى العمليات الأولية، والتوقف عن الامتداد إلى التوليف الأعلى
العلاج	إعادة تنظيم العمليات الثلاثة وتنمية القدرات المعرفية الناضجة من خلال الإصلاح المعرفى والتقبل وترجمة الأعراض والتنظيم

المجموعة الثانية: المنظومات (التركيبية) المتعددة
(9) نظرية المنظومات العامة

ماهية الإنسان	الإنسان مجموعة منظومات متعددة تحتية وفوقية مرتبة هيراركيا فى تراكم بين <u>المادة و الطاقة والمعلومات</u> .
مفهوم الصحة	هى كفاءة الهارموني بين هذه المنظومات، وبينها وبين المنظومات المحيطة أيضا
مفهوم المرض	نقص أو خطأ فى هارمونية التناسق بين هذه المنظومات أو أى منها (الطاقة-المادة - المعلومات)
العلاج	استعادة هذه الهارمونية بكل ما ينظمها معا من إزالة أسباب النشاط والتأهيل والإطلاق

المجموعة الثانية: المنظومات (التركيبية) المتعددة

(10) لنظرية التطورية الإيقاعية (الرخاوي)

ماهية الإنسان	الإنسان كيان بيولوجي دائم النبض الحيوي بتركيباته الهرمونية بما يسمح بفعلة المعلومات الداخلية والمُدخلة باستمرار النبض، ومن ثم النمو بلا نهاية
مفهوم الصحة	كفاءة النبض الحيوي مع نجاح فعلة المعلومات باضطراد لتحقيق التوازن المرهلي واستمرار النمو الولافي
مفهوم المرض	هو مضاعفات النبض الحيوي إما بالنبض الجسيم أو بناجحه النشاط الذى إذا تمدى واستقر تليفت الشخصية بما يمنع كفاءة النبض واستمرار النمو
العلاج	تصحيح مسار النبض الحيوي بإطلاق النبض المنتظم في النمو والأحلام والإبداع مع تدريب المستويات التى ضعفت والتحكم في المستوى البدائى الجامح لاستيعابه تدريجياً

المجموعة الثالثة: المنظور العلمى (التربوى)

(11) ألفرد أدلر

ماهية الإنسان	الإنسان نظام عضوى هادف يريد أن يحقق ذاته، وبقاءه الاجتماعى فى واحدية متكاملة
مفهوم الصحة	تحقيق هذه الأهداف بما يشمل استمرارية الذات واعتبارها والتقبل من الآخرين. ويتم كل هذا بالإقرار من المجتمع
مفهوم المرض	العجز عن تحقيق ذلك بما يترتب عليه من شعور بالدونية، والانعزال عن المجتمع. ويرجع ذلك إلى جذور فى الطفولة
العلاج	موجه أساساً إلى التأهيل والإصلاح بالتعليم الآن للناضج وليس الغوص فى الماضى، مع دعم اجتماعى علاجى مناسب

المجموعة الثالثة: المنظور العلمى (التربوى)

(12) نظرية التعلم للشخصية

ماهية الإنسان	الإنسان كيان يمكن أن تقاس وظائفه التى تتوقف كفاءتها على طرق التدريب المناسب فى المراحل المختلفة
مفهوم الصحة	تحقيق المعيار المناسب من كفاءة الوظائف اللازمة للذء العادى، مع اختفاء الأعراض
مفهوم المرض	سلوك عاجز تصدر عنه الأعراض المرضية نتيجة افتقاره إلى المعيار المناسب للكفاءة اللازمة
العلاج	هو إعادة التعليم من منظور متعدد التوجه متكامل الأداء لاستعادة

المجموعة الرابعة: (الوجوديون والإنسانيون وتحقيق الذات)
(13) كارين هورني

ماهية الإنسان	للإنسان دفع كامن يسعى إلى تحقيق الذات من خلال بسط القوة التكاملية المركزية المسماة: الذات الحقيقية وبالتالي يتجاوز التقابلات المتناقضة
مفهوم الصحة	هي النجاح في التطور الفردي، ومن ثم تحقيق الذات بإمكاناتها البناءة الحقيقية
مفهوم المرض	هو الخيلولة دون تحقيق الذات نتيجة للعدوانية العائلية الأولى والبرود الوجداني المحيط بما يترتب عليه القلق الأساسي، ومضاعفاته ومكافآته
العلاج	يتوجه لاكتشاف هذه الإمكانيات الكامنة وأسباب إعاقتها، ويشمل العمل على إرساء علاقة مع في هنا والآن فصاعداً للتغلب على الصعوبات معاً

المجموعة الرابعة: (الوجوديون والإنسانيون وتحقيق الذات)
(14) أوتورانك

ماهية الإنسان	الإنسان هو خبرة متصلة من رحلات الدخول والخروج لإعادة الولادة، حيث تمثل العلاقات المتصاعدة الرحم النفسي
مفهوم الصحة	هي استمرار هذه الرحلة في الاتجاه الصحيح حتى الحصول على الهدف منها وهو استمرار النمو
مفهوم المرض	هو في حد ذاته خبرة متميزة تشمل إعادة الولادة، لكنها تتم بقفزة شاطحة للأمام بدلا من التدرج المناسب لاكتساب البصيرة
العلاج	هو إعطاء فرصة من خلال المواجهة والميعة لسلسلة الترحال بين الداخل والخارج بما يضمن عدم الشطح مع استمرار التقدم

المجموعة الرابعة: (الوجوديون والإنسانيون وتحقيق الذات)
(15) أبراهام ماسلو

ماهية الإنسان	الإنسان كيان نام في اتجاه تحقيق إمكاناته الطبيعية التي تغلب عليها الإيجابية
مفهوم الصحة	هي تدعيم حاجات الكينونة بعد إشباع الحاجات الطبيعية بتزتيب هيراركي يضمن في النهاية تحقيق الذات
مفهوم المرض	غلبة الحاجات الطبيعية (الأولية) على حاجات الكينونة، ومن ثم توقف مسار النمو
العلاج	هو دعم استمرار النمو بشكل مرتب بطريقة هيراركية بهدف مساعدة المريض على تجاوز حاجاته الطبيعية (الأولية)

المجموعة الرابعة: (الوجوديون والإنسانيون وتحقيق الذات)
(16) التحليل الوجودى (مثل رولو ماى)

الإنسان مخلوق واع دار بنفسه وبالتالي دار بالزمن والمكان. وتتحقق ذاتيته نتيجة لهذه الدراية الوجودية والاختيار الحر	ماهية الإنسان
أن تعيش بدراية كلية في عملية توتر جدلى يدعم حرية الذات فالآخرين، فينضبط موقع الذات في العالم هو أن تفقد هذه الدراية باغتراب تنوى نتيجة للحتمية الاحتزالية.	مفهوم الصحة
وأيا فرط الدراية الذى يجل عمل الإنتاجية والتكيف هو نوع من المرض	مفهوم المرض
يتحقق العلاج من خلال تواصل 'أنا-أنت' لتدعيم الدراية بالذات في علاقتها بالعالم الأوسع. وبالتالي يمكن التغلب على الاغتراب ومن ثم استمرار المسيرة	العلاج

المجموعة الرابعة: (الوجوديون والإنسانيون وتحقيق الذات)
(17) جاردن مرفى (البيواجتماعية)

الإنسان تركيب متداخل كيان-جمال-بيئة وهذا جزء من مجال أكبر يمكن استكشافه بقدرات ما بعد الإدراك مثل التليباثى وغير ذلك	ماهية الإنسان
الصحة هي تحقيق التوازن بن الكيان الفردى والمجال الأقرب ممتدا إلى المجال الأوسع	مفهوم الصحة
هو العجز عن تحقيق هذا التناغم مما يترتب عليه نوع من النشاز والاغتراب	مفهوم المرض
هو استعادة هارمونية التوافق بين الذات ومكوناتها، وبينها وبين المجال، الأقرب فالأبعد من خلال العلاج النفسى أو أى وسيلة مساعدة	العلاج

المجموعة الرابعة: (الوجوديون والإنسانيون وتحقيق الذات)
(18) نظرية الجشتالت

الإنسان كيان كلى لا يمكن أن يتحلل إلى الأجزاء المكونة له، وهو "شكل" له "أرضيته"، وهما معا يمثلان وجوده المتكامل	ماهية الإنسان
هي منظور كلى يعكس التركيب الكلى المتوازن الذى يحافظ على تماسكه في كلِّ معا	مفهوم الصحة
هو تفكيك هذه الكلية إلى أجزائها بما يترتب عليه تنافسها وتصادمها وإعاقتها عن إطلاق فاعليتها ومرونة تبادل الشكل مع الأرضية	مفهوم المرض
يعتمد على استعادة الكلية بتميز الشكل عن الأرضية، والتركيز في "الهنا والآن" لإعادة بناء الجشتالت المتوازن	العلاج

المجموعة الرابعة: (الوجوديون والإنسانيون وتحقيق الذات)
(19) كيرت جولدشتاين

ماهية الإنسان	الإنسان كيان كلي وليس أبدا مجموع أجزائه وهو يعيش في بيئة كلية
مفهوم الصحة	هو تحقيق هذه الكلية ومن ثم تحقيق الذات وإطلاق القدرات والتنقل من مجرد إلى العيان وبالعكس
مفهوم المرض	هو التوقف عن إطلاق القدرات والاكتفاء بموقف التخلص من التوتر على حساب التقدم ومن ثم التوقف في الخلل
العلاج	يتحقق العلاج من خلال مجتمع مشترك تتحقق فيه ذات كل من المريض والمعالج معا

المجموعة الخامسة (امتداد الذات)

هنا بالذات يمكن أن تدرج كثير من النظريات السابقة خصوصا: المجموعة الثانية والرابعة

(20) كارل يونج

ماهية الإنسان	الإنسان هو كيان يجتوى الأضداد، وتمتد جذوره إلى اللاشعور الجمعي، وتمثل الأضداد في نماذج متقابلة
مفهوم الصحة	الصحة هي القدرة على قبول هذا التناقض وتحمل مسيرة الجدل المؤلف بينها لتحقيق التفرد
مفهوم المرض	هو تباعد الأضداد لدرجة النشاز والبعد عن الواقع والعجز عن التفرد
العلاج	هو استعادة التوازن والمساعدة على استمرار المسيرة لإعادة ولادة الذات الموضوعية من خلال العلاج النفسي وخاصة في منتصف العمر

المجموعة الخامسة (امتداد الذات وعبرها)

وهنا أيضا يمكن أن تدرج كثير نظريات المجموعة الثانية والرابعة، بل يمكن هي نفسها أن تدخل في أي منهما

(21) أنتوني سوتيش (عبر الشخصية)

ماهية الإنسان	الإنسان مرحلة متوسطة بين ما لا يعرف من امتداد لاحق وبين ما كانه، وهو يتجاوز ذاته الفردية خلال نموه
مفهوم الصحة	هو حسن توقيت النمو حسب كل مرحلة لتأخذ حقيها دون إسراع أو تجاوز
مفهوم المرض	هو التوقف عن مرحلة دونية، وأيضا تجاوز مرحلة سابقة بالقفز فوقها فيتحقق نمو كاذب
العلاج	هو دعم مسار النمو حتى تتحقق كل مرحلة في وقتها إلى ما يليها دون تسرع أو توقف

المجموعة السادسة (المنظور التشريطي الكيمياءى والبنىوى الساكن)

(22) بافلوف - واتسون

الإنسان مجموعة مركبة من المنعكسات الشرطية	ماهية الإنسان
الصحة هى كفاءة المنعكسات الصالحة للتكيف والأداء المناسب	مفهوم الصحة
هو تعلم منكسات صارة أو معيقة, وأيضاً الافتقار إلى تعلم منعكسات شرطية نافعة	مفهوم المرض
إعادة تعلم باستبعاد المنعكسات المعيقة وإعادة التدريب على منعكسات نافعة تكيفية	العلاج

المجموعة السادسة (المنظور الكيمياءى و البنوى الساكن)

(23) النموذج الكيمياءى البيولوجى المختزل

الإنسان تركيب كيمياءى معقد, يسمح بأداء وظائف تميزه وتضعه فى حدود المعايير الدالة على السواء	ماهية الإنسان
هو كفاءة هذا التركيب البيوكيمياءى باحتوائه النسب المعروفة من الموصلات والتراكيب العادية للشخص العادى	مفهوم الصحة
هو اضطراب تزيد فيه, أو ينقص بعض مكونات التركيب البيوكيمياءى المعقد, أو تختل فيه التراكيب التشريطية	مفهوم المرض
هو إصلاح هذا النقص, أو إنقاص تلك الزيادة, أو إزالة الخلل التشريطى الامراضى إن أمكن	العلاج

المجموعة السابعة المنظور الإنكارى (السياسى)

(24) ضد الطب النفسى

الإنسان ضحية للمجتمع المحيط به	ماهية الإنسان
أن يكون المجتمع صحيحاً وحامياً لأفراده حتى يصحوا	مفهوم الصحة
سحق للفرد لحساب مجتمع مريض	مفهوم المرض
حسن فهم احتجاج المريض والعمل على رفع القهر وعلاج (إصلاح) المجتمع	العلاج

تعقيب عام

(1) إن مزيداً من المدارس يمكن أن تزداد فى كل مجموعة أو فى مجموعات منفصلة

(2) إنه يمكن إعادة تنظيم وجدولة النظريات بعدة طرق أخرى

(3) إن ثمة اتفاق عام يشمل أغلب النظريات (لا كلها) يؤكد على قيم مشتركة مثل: التوازن (الداخلي)، والتكيف (مع الآخر)، وتحقيق الذات، واستمرار النمو.

(4) إن كل ما قدمنا ليس إلا مجرد عينات، والمقصود هو التنبيه على المبدأ الذي ذكرناه أمس واليوم من حيث استحالة فهم المرض النفسي، ومن ثم ممارسة التطبيب النفسي، بدون نظرية (ولو لا شعورية)، وأن ادعاء ذلك هو من أخطر ما يكون على الممارسة.

إن من يتنازل عن فكرة الاستهزاء بنظرية ما بدرجة ما من الوعى، إنما يستسلم لنظرية خفية، يديرها هو دون أن يعلم، أو يدار من خلالها من وراء ظهره (عادة لغير صالح المريض، ربما لصالح شركات الدواء).

(6) إن بعض أجدية بعض النظريات يمكن أن تترجم (بتحفظ) إلى أجدية أخرى

(7) إن الانتقائية تتسع وتنشط كلما زادت مساحة الإلمام بعدد أكبر فأكثر من النظريات

(8) إن الانتقائية ليست هى التلفيقية، بل هى تكاد تكون قبيضا كما أشرنا، وهى تحدث تلقائيا من جانب الممارس صاحب الخبرة.

وبعد

ليكن ما يكون

لن أتأسف،

لأن هذا كان لابد أن يظهر بعد حجه أكثر من ربع قرن

فعلا:

ليكن ما يكون

ومن لا يريد،

له كل الشكر والاحترام

الثلاثاء 25-03-2008

207- عن الإبداع التواصلي والإبداع الخالقي

مقدمة :

قلت أمس إن الاعتراضات والتحفظات التي وصلتني شملت تساؤلات عن علاقة الجنس بالعدوان من ناحية، وعلاقتها، أو علاقة كل منهما، بما أسمته الإبداع التواصلي والإبداع الخالقي، فوجب التوضيح بأى قدر ممكن.

قبل ذلك نتذكر الاستطرد الذي استغرق يومية أمس ليرد على التساؤل القائل: لماذا يتناول هذا الموضوع (أو مثل هذه الموضوعات) طبيب نفسي، وهو يوجه الحديث إلى زملائه النفسيين قبل وبعد من يهمه الأمر؟،

هذا الاستطرد - أمس- جرننا إلى عرض فكرة أن البحث في موقف الطبيب الأعمق من قضايا الحياة الأولية (أو حتى موقف أى شخص) هو أمر جوهرى أو على الأقل هو مفيد حتى تكون الممارسة على بيئة، ولا ينتهى دور الطبيب إلى ما أسماه صديق لى (د. رفيق حاتم) في فرنسا: **موظف بدرجة مدير عموم آلة الطب المبرمج.**

قبل ذلك أيضا أشرت إلى تسمية ما أفعله مع المريض النفسى طوال نصف قرن، حتى قبل كل هذا التنظير، وأنى اكتشفت أنى أقوم بقراءته، باعتباره نصا بشريا، (وليس تصنيفه تشخيصا) وفي نفس الوقت هو يقرؤنى فيسمح لى بإعادة قراءة نفسى، ثم أقوم، وهو معى، بنقد هذا النص (هو أساسا) ونعيد تشكيله معاً، (ومع آخرين فى العلاج الجمعى) وعلاج الوسط العلاجى خاصة) ، والمفروض أن يعاد تشكيل النص البشرى للمعالج نفسه، ما دام النمو مستمرا، والإشراف، على أى مستوى متواصل.

من هذا المنطلق يصبح النظر فى الطبيعة البشرية بدءا من الغرائز إلى ما تعد به (من غيب لا نعرفه) هو من أساسيات ممارسة هذا التخصص (وربما الحياة لمن أراد المواكبة).

كل هذا فسر لى - بأثر رجعى - اهتمامى بقضية الإبداع من البداية، منذ كتبت عن **مستويات الصحة النفسية على طريق التطور الفردى 20-1-2008**، وكيف يمكن أن يحقق الفرد منا

توازنه بالإبداع على مستوى متطور فائق، كما يتحقق التوازن للغالبية العظمى منا، بالعمى الجيد الرحيم (استعمال الميكانزمات العقلية) وفيما بين هذا وذاك، تأتي مرحلة تحقيق نوع أوسط من التوازن من خلال البصيرة الراضية المتألمة معا (بعد تراجع العمى نسبيا= الإفلال من استعمال الميكانزمات)، قبل أو دون الانتقال إلى تحقيق التوازن بالإبداع (وقد سبق أن نشرت ذلك في اليومية 20-1-2008، وهو موجود تفصيلا في أماكن أخرى كثيرة من الموقع).

وفي مرحلة لاحقة تناولت الإبداع من منظور الإيقاع الحيوى، وربطت بينه وبين الجنون والأحلام، ثم تناولت الإبداع من منطلق جدليته مع الجنون على مستويات مختلفة، وأخيرا في علاقته بالخبرة (كل ذلك اجتمع في الإصدار الأخير الذى صدر لى من المجلس الأعلى للثقافة هذا العام)، ثم ما نحن الآن ندخل إليه من جديد من باب العدوان، أما حقيقة التطور التاريخى لفكرى فهو أن هذا التناول لدور العدوان في الإبداع هو سابق لكل ما سبق إلا المرحلة الأولى (الصحة النفسية على طريق التطور الفردى حيرة طبيب نفسى).

عن الإبداع التواصلى والإبداع الخالقى

من هنا رأيت أن الإجابة على التساؤلات التى وصلتني وهى **تطلب بوجه خاص إيضاح الفرق بين الإبداع التواصلى والإبداع الخالقى** لا يمكن فصلها عن تطور فكرى كله، خاصة وأنتى خلال هذه الرحلة الطويلة قد صنفت الإبداع تصنيفات أخرى، مثل **الإبداع الفائق** و **الإبداع البديل** و **الإبداع الناقص** (المجهض) .. إلخ

بمراجعة كل هذا وجدت لزاما على أن أنبه إلى أن ما أسميته **الإبداع الفائق** من منطلق جدلية الجنون والإبداع هو (تقريبا) **الإبداع الخالقى** من منطلق العدوان والجنس، وأن ما أسميته **الإبداع البديل** من المنطلق الأول هو المرادف **للإبداع التواصلى** من المنطلق الثانى.

الفكرة الأساسية في إيجاز شديد لا يغنى عن الرجوع للأصل هى كالتالى:

○ لا الإبداع ، ولا أى نشاط مهذب مستنير، هو بديل كاف يحل محل الغرائز تمدنا ورقيا

○ التطور الخليق بإنسانيتنا هو الذى يحتمى الأقدم **ويتوجه به** ، إلى الأحدث، فالأكثر وعدا مما لا نعرف (الغيب)

○ **الجنس** بعد أن ارتقى للقيام بتسهيل التواصل الأشمل والأعمق والأقدر على إعادة تشكيل المتواصلين، يمكن أن يثرى ويشارك في تخليق تشكيلات جديدة، في الذات، أو في ناتج خارجها، وهو ما يؤدى نفس الوظيفة الأحدث للجنس: أعنى "التواصل إبداعا" ومن هنا اخترت له هذا الاسم "الإبداع التواصلى"، وهو نوع لا يحتاج بالضرورة إلى إغارة وتحكيم واقتحام قبل إعادة التشكيل بطفرة مختلفة تماما. هذا النوع من الإبداع هو - بدرجة ما - بديل عن ثورة الطفرة المفزعة برغم أنها إبداع أصعب ومن ثم فهو الأقرب إلى الإبداع التواصلى المحتوى لـ (وليس المتسامى عن) غريزة الجنس البدائية.

○ **العدوان** وقد احتوته مسيرة الإنسان تطوراً أصبح يشارك في كخطوة ارتقائية في الإغارة على الجمود وتفكيكه، تمهيدا لجمع شمل ما تناثر منه في تشكيل طفرى مغامر، فالعدوان إذن مسئول إيجابيا عن هذه الخطوة الاقترامية المفككة لجمود السكون المانع لخركية التطور، كما أنه المسئول عن مثابرة السعى الإقدامى لإعادة التشكيل الطفرى.

يمكن الرجوع الى بعض ذلك تفصيلا في "حركة الحياة وتجليات الإبداع"

معالم متداخلة لتفرقة صعبة

قبل أن أعرض موجز ما يميز بين هذين النوعين من الإبداع في صورة جداول غير مفيدة (بل مربكة لكنها قد تغرى بالرجوع للأصل لمن شاء) دعونى أبسط الأمر بشكل يومى مباشر هكذا:

- إن موسيقى النهر الخالد محمد عبد الوهاب هي (أعنى أقرب ما يمكن أن يسمى) إبداع تواصلى
- أما السيمفونية الخامسة لبتهوفن فهي (أعنى أقرب ما يمكن أن يسمى) إبداع خالقي
- إن رواية السراب لنجيب محفوظ هي (أعنى أقرب ما يمكن أن يسمى) إبداع تواصلى
- أما ليالى ألف ليلة ، أو معظم أحلام فترة النقاها، فهي (أعنى أقرب ما يمكن أن يسمى) إبداع خالقي
- إن أغلب شعر صلاح عبد الصبور أو محمود درويش هو (أعنى أقرب ما يمكن أن يسمى) إبداع تواصلى
- أما أغلب شعر أدونيس أو إبراهيم داود (أعنى أقرب ما يمكن أن يسمى) إبداع خالقي
- إن أغلب نظريات الرياضة الإقليدية هي (أعنى أقرب ما يمكن أن يسمى) إبداع تواصلى
- أما الرياضة الكموية الحديثة فهي (أعنى أقرب ما يمكن أن يسمى) إبداع خالقي
- إن اكتشاف زويل لوحدة الزمن المتناهية الصغر في التفاعل الكيميائى هو (أعنى أقرب ما يمكن أن يسمى) الإبداع التواصلى
- فى حين أن اختراق أينشتاين بنظريته النسبية هو (أعنى أقرب ما يمكن أن يسمى) الإبداع الخالقي
- إن ممارسة طقوس التصوف الشعبى الطيب هو (أعنى أقرب ما يمكن أن يسمى) إبداع إيمانى تواصلى
- أما كدح النقرى وتحدياته فى المواقف والمخاطبات فهو (أعنى أقرب ما يمكن أن يسمى) إبداع إيمانى خالقي

وبعد

هل يحق لي الآن أن أقدم الجدول القديم دون تعديل ليبين الفروق بين هذين النوعين؟

ولعله من المناسب أن أرجوا من لا يتحمل قراءة الجداول دون شرحها أن يطرحها جانبا، ويواصل معنا ما يشاء، ربما مثلما دعوت من لا يحب الإنجليزية (مثلئى) أو لا يتقنها ألا يقرأ ما جاء بها أول أمس؟

أرجوا أن تسمحوا لي بفعل ذلك مع اعتذار كاذب.

جدول (1) مقارنة بين الإبداع الخالقي والإبداع التواصلى

(دون فصل حاسم)

<p>1 - تحطيم القديم في مغامرة فردية صعبة 2-إعادة خلق الجديد من جزئيات القديم المحطم بما يشمل المخاطرة بالوحدة والرفض 3-يتم هذا التحطيم وإعادة البناء عادة علي حساب الآخرين- في البداية وظاهر الأمر. 4-يلاقى المبدع من جراء إبداعه الخالقي هذا قدرا من الرفض والنيزد والقسوة والاضهاد مما يجعله في معركة حقيقية. 5- يقاوم المبدع كل هذا بالوحدة والإصرار والاستمرار، مما يحتاج إلى كل زخم إيجابية عدوانه تجاه الآخر (الآخرين) وهى وحدة تصب في النهاية فيما رفضته (في الآخرين) 6-لا يقتصر هذا النوع على الإنتاج الفنى أو الأدبي، وإنما يشمل ، التغيير الذاتى الإبداعى فى النمو الفردي، والإنشاء العلمى والثورة السياسية والاجتماعية والاقتصادية المبدعة المسنولة إلخ ..</p>	<p>الإبداع الخالقي (النابع x من العدوان أساسا)</p>
<p>1- لا يلزم تحطيم القديم، وقد يكتفى بتحسينه حتى القبول 2- العملية الأساسية تهدف إلى تناسق الجزئيات القادرة على التناغم مع نفس المستوى عند المتلقي. 3- تتم هذه العملية لحساب، وسعيا إلي، الآخر أساسا. 4- عادة ما يجد المبدع تقبلا واستحسانا من البداية</p>	<p>الإبداع التواصلى (النابع x من الجنس أساسا)</p>

<p>5- المبدع هنا لا يؤكد وحدته بنفس الحدة المطلقة -كخطوة أيضا- وإنما هو يأنس بمن يتحدث -ويتلقى- على نفس موجته بشكل نسبي على الأقل، ومنذ البداية أيضا.</p> <p>6- يمكن أن يكون هذا النوع مرادفا للإبداع 'الموهبة' المرتبط بتنمية القدرات الفنية الخاصة، وبالتالي فهو يشمل أغلب الإنتاج الفني والأدبي بصورة التميز والمألوفة، دون القفزات الطفرية التي تغير مسار صورته وأشكاله، ومسار الحياة برمتها .</p>	<p>الإبداع التواصل (النابع x من الجنس أساسا)</p>
--	--

جدول (2) الفروق بين الإبداع الفائق (الخالقي تقريبا) والإبداع البديل (التواصل تقريبا)

ثم بعد ذلك يمكن عرض أقرب الأنواع من تقسيمات أخرى مرادفة - تقريبا - لهذين النوعين كالتالي :

الإبداع البديل	الإبداع الفائق	العلاقة
سلب للجنون وعكسه	في علاقة جدلية حركية نقيضية مواجهة ومحتوية	بالجنون
محدد، محكم، متماسك، المعالم.	مرن في قوة، مسامي في تماسك النهايات، في تضافر، متعدد المستويات في تواصل	نوع التماسك
رائق الجمال، يؤكد التناسق القائم، ويعمقه، ويجده	يخلق الجمال بالكشف عن علاقات جديدة، قد تكون صادمة بداية، لكنها 'هارمونية' على مستوى أعلى	جماليات
المستوى المفاهيمي للمعرفة يقوم بالواجب طوال الوقت، ويترجم إليه كل ما عداه (غالبا)	أكثر من تيار معرفي بدائي، صوري، مكاني، كلي) في تضافر يمنع فصل أي تيار بذاته لذاته	مستويات المعرفة
قوية ، ضابطة رابطة، واضحة، ملتزمة ملزمة.	مفتوحة، مرنة، متجددة، كائن حي، ينمو باحتواء القديم، لا يبديلا عنه (عن القديم)	اللغة
يؤكد ما يكاد يعرفه سابقا، لا يتغير بقدر ما يصل ما هو، يزداد تمسكا بمعتقده، يتقن في الموضوع نفسه	يعرف جيدا من خلال ما يفاجأ هو به، يتغير بإبداعه فتتمدد ذاته، يلين وتفتح مسامحه لاختلاف أرحب، يتطور في نفسه وفي إنتاجه	الأثر المبدع على

تكرار جيد، قد يكشف أبعاداً أكثر للمستوى نفسه	تطور معرفي، وتغير نوعي، ليس مطرداً بالضرورة.	الأثر الإبداع اللاحق على
مؤشر لمساره أحياناً، ومعتل له (بوصفه بديلاً كاملاً) في الوقت نفسه، كما قد يتلقى منه	هو الصورة المعلنة له، بعد اكتساب الإنسان الوعي، يدفعه ويتلقى منه، وقد يستغنى عنه، بحسب اطراد جرعة استيعاب النبض الحيوي للفرد (فالنوعي) وضبطها.	العلاقة بالنمو الفردي
احتمال أقل ندرة، أما إذا توقف الإبداع، فهو وارد، هو أو ما يكافئه وهو فيه (بالإبداع المحبط = جهود الإبداع)	احتمال نادر، يقل باضطراد مع اضطراد الإبداع ونمو الذات.	تبادلته مع حالة الجنون
نادر ندرة تامة (بما يفسر رفض أغلب المبدعين على هذا المستوى لأي إبداع فائق أو ناقص (العقاد مثلاً))	وارد أحياناً (بما يفسر اختلاف مستويات الإبداع عند مبدع متميز؛ محفوظ، مثلاً)	تبادلته مع أنواع الإبداع الأخرى
التقويم المحكم، والتحرك (إن أمكن)	التلقى الخاور، والإبداع الموازي.	دور النقد
الجنون البديل (مثل: الأكتئاب الهوس - حالات البارانويا...)	الجنون المتناثر الخاصة (الفصام، التفسخي)	المقابل التدهوري (المرضي)
الحلم المحكي وتفسيره الرمزي التحسين صفات النوع الخالي (على المستوى الحيوي نفسه دون طفرة أو تغير نوعي) وتأكيدها.	نبضات الحلم المتكاملة (تفكك - تعزيز - نمو...) طفرات التغير النوعي	المقابل الحيوي: أ- المستوى اللينهارى ب- المستوى البيولوجي لتطور الحياة

المواجهة :

دعونا نعرف ابتداءً بصعوبة - أو استحالة - وضع العملية الإبداعية ذاتها تحت مجهر البحث العلمي، إذ كل ما هو متاح لنا هو فحصه هو : إما نجاحها، وإما مبدعها. إن الوحدة الزمنية التي تستغرقها العملية الإبداعية خاصة في آخر مرحلة لانبثاق الإبداع ، هي لحظة شديدة التكتيف شديدة القصر (لا نبالغ إذا قلنا إنها جزء من ثانية رغم فساد قياسها بهذا المقياس العادي (من حيث المبدأ)، وقد تكون هذه الحقيقة في ذاتها هي التي تسمح وتبرر بتنوع المداخل إلى العملية الإبداعية، مع اختلاف الرؤى ، الأمر الذي يؤدي إلى بعض ظاهرات التباين.

ثم لابد من التدقيق في الأجدية المستعملة في تناول هذه القضية المكثفة المعقدة، فلا يجوز الخلط بين **نبض الإبداع**، الذي ينتمي إلى جذور العملية الإبداعية، وبين **نتائج الإبداع** علما أو أدبا أو تشكيلا، أو بينهما وبين سمات المبدع ومواهبه وقدراته.

كما لابد أيضا من التمييز بين تناول ماهية الإبداع باعتبارها أحد محاور الحياة لكل الناس (بل لكل الأحياء، بلا استثناء، في الحلم أساسا)، وبين تناولها في حدود إنتاج المبدع ناجما متاحا في أي مجال من مجالات المعرفة علما أو أدبا أو تشكيلا.

ثم أخيرا: لا مفر من تصنيف الإبداع المنتج (رمزا أو عيانا) في أشكال متعددة، متوازية أحيانا، متبادلة أحيانا، مكثفة أحيانا، ومتصاعدة (هيراكليا) كثيرا.

في محاولة توليف بين المراحل، وعودة إلى العدوان

في محاولة الإمام بأطراف القضية بدرجة تخفف قليلا أو كثيرا من التناقض المحتمل الظاهر بين مراحل تناول للقضية، أطرح آخر المحاولات للتأليف بين هذه المراحل على الوجه التالي:

استطعت أن أحدد أن دراسة الإيقاع الحيوى ونبض الإبداع كانت تركز- كمنطلق- على **أحقية الشخص العادى أن يكون مبدعا بالضرورة البيولوجية**، سواء ظهر ذلك في صورة الإبداع اليومي (الحلم) أو الإبداع الحياتي (تطور الحياة وارتقاء النوع)، ثم ليكن الإبداع المنتج رمزا أو عيانا قابلا لتلقى آخر في شكل أحد صور الإبداع لا أكثر.

لكن دراسة العدوان الباكورة قد ركزت على دور **زخم العدوان الإيجابي** في تحطيم القديم واختراق الوعى والتقدم للآخر، ولا يظهر هذا أصرح ما يكون إلا في نوع خاص من الإبداع المنتج رمزا، وهو ما أسميته **الإبداع الخالقي**، وإن كان في نفس الوقت هو دفع جوهرى في سائر الأنواع.

ثم جاءت دراسى عن جدلية الجنون والإبداع لتربط ما بين مرحلة التنشيط التلقائى (دراسة الإيقاع) وكيفية المحافظة على ناتج هذا التنشيط **بمحاولة توظيف السماح بحركية التنشيط أن تبقى في الوعى أو قريبا منه**، ثم التأليف من ذلك اقتحاما للوعى ثم إقداما نحو الآخر.

أما الدراسة الأولى التي أشارت إلى حفز الإبداع من خلال فقد التوازن المرحلى بين مستويات الصحة فإنها تشير إلى **العمليات المساعدة** في عملية التنشيط البيولوجى التلقائى من جهة، وحركية الولاى الإبداعى من جهة أخرى، فيما يتعلق بهيراركية أزمت النمو خاصة.

وعلى ذلك: نعود فنؤكد أن ثمة فرقا ضروريا بين التنشيط البيولوجى العادى اللازم **حركية فعلة المعلومات** التي لم

تتمثل في الكيان الكلي تمثلا كافيا، وبين التفكير الإرادي -نسبيا- اللاحق والواكيب، وخاصة تفكيك التركيب الجامد الذي يمكن أن يحول بين هذا التنشيط وبين إعادة التوليف. وإذا كانت عملية التنشيط الأولى تنتمي إلى الإيقاعية البيولوجية، فإن عملية التحطيم والاقترام تنتمي إلى إيجابية العدوان بدرجة مناسبة من الإرادة الغائية والوعي الفاعل للنشط.

وبتعبير آخر فإن الانتقال من مرحلة الإمكانية البيولوجية المتاحة (في فعلى التعتة و البسط / إيقاعا)، لا تصبح ناتجا إبداعيا متميزا ومرصودا إلا إذا انتقلت إلى مرحلة الصياغة في جرعة مكثفة مختقة وكاشفة، وإبرادة حاسمة ووعى مسنول، وهذه المرحلة الأخيرة - مرة ثانية- هي التي تحتاج قدرا هائلا من الطاقة الملتحمة بالوعي والإرادة (وخاصة فيما أسمته الإبداع الخالقى أو الفائق) طاقة تكون قادرة على الحفاظ على جرعة التنشيط إلى غاية الإبداع المنتج.

وهكذا نرى أن الدور الإيجابي لغريزة العدوان بما هي، وليس بالتسامى عنها، ناهيك عن إنكارها، إنما يسهم أساسا في المساعدة على استيعاب التناثر (البيولوجى التلقائى)، ومن ثم الخيلولة دون العودة الساكنة التى تمحو تلقائيا كل ما يتيح النبض الحيوى من حركية وتنشيط قادر على التمدادى للخلق والإبداع (عند كل الناس - من حيث المبدأ).

وعلى ذلك يكون إسهام العدوان الإيجابي (في الإبداع الخالقى بوجه خاص)، كما جاء في هذه الدراسة هو العمل على تكثيف جرعة التنشيط لاختراق طبقات الوعي الذاتى، وتأكيد الوحدة والتميز عن الآخر، وحمل التهديد بالفناء كأحد مخاطر عمق التغيير، ثم إنه يرتبط دوره أيضا بالحفز لاختراق وعى المتلقى (وليس الاكتفاء بدغدغته)، كما أن الأمر يحتاج إلى مزيد من الطاقة الاقترامية للحيلولة دون التناثر (كإبداع بديل مجهض أو سلبى، في بعض صور الجنون والانسحاب والتجمد)

وأخيرا فإن زخم تقدم العدوان الإيجابي يمكن أن يساعد على المثابرة لإكمال وصقل حركية الإبداع وتصعيدها إلى أن يتم الناتج الإبداعى، خاصة من النوع الفائق().

الخلاصة

ومن هذه المقدمة، فالمراجعة، نستطيع أن نخلص إلى ما يلى:

1- إن نظرية الغرائز بصورتها الجديدة من منطلق علم الإثنولوجيا قد عادت لتأخذ حلقها في فهم سلوك الإنسان وتطوره.

2- إن التسليم بنظرية للغرائز يرتبط ارتباطا مباشرا بالتأكيد على إمكان وراثية العادات المكتسبة الغائرة ذات الدلالة التطورية (التعلم بالبصم) وبذلك لا يصبح الأمر تسليما لغريزة وإنما انطلاقا منها.

- 3- إن غريزة العدوان أعمق وأكثر خطورة من غريزة الجنس، ومع ذلك فهي لم تأخذ حقها في الدراسة والبحث بالقدر المناسب.
- 4- إن الفرص المتاحة للتعبير عن العدوان في حياتنا المعاصرة نادرة وواهنة ، بحيث تجعل إهمال دراسة هذه الغريزة خطرا أكثر تهديدا .
- 5- إن الصور المخورة للتعبير عن هذه الغريزة وتراكماتها شديدة الخطورة لافتقار الإنسان إلى الجهاز المناسب الصالح للتحكم فيها مباشرة .
- 6- إن إنكارها-أو إهمالها- هو استسهال خطر لا يتفق مع مسئوليات العلماء المعاصرين مهما كان التبرير مقنعا تحت وهم أى أمل أخلاقي أو حلم مثالي.
- 7- إن محاولة ترويض غريزة العدوان بالتعليم الشرطي، أو إبدالها بالإعلاء والتعويض السطحي بالنجاح والسيطرة هي وسائل مرحلية، إن نجحت فينبغي أن نؤكد على طبيعتها المرحلية وإلا أعاققت النمو في النهاية .
- 8- إن التغافل عن حسابات غريزة العدوان وتأثيرها قد يكون مسئولاً عن الخروب والتمييز الطبقي المعلن والخفي بين الأجناس والطبقات الاقتصادية والاجتماعية والأديان، الأمر الذي زادت مضاعفاته وتضخمت مخاطره وخاصة بعد تملك أدوات الدمار بلا حدود، مما يهدد السلام البشرى بل وبقاء النوع الإنساني أصلا .
- 9- إن الحل المسئول يتطلب إعادة فهمنا لمراحل تطور الغرائز، فيما بعد الإبدال والتسامي نتيجة لتآلفها مع وظائف أخرى ومع بعضها البعض في تصعيد مستمر .
- 10- إن **الإبداع الخالقي** بمواصفاته الفائقة وخطواته المميزة من تحطيم وإعادة صياغة، ثم ما يترتب على ذلك من نبذ واضطهاد وإصرار وتحد، هو أقرب الصور للعدوان الحضاري مباشرة دون إعلاء أو إبدال ولكن بالمعنى التوافقي والولافي الأعلى.
- 11- يبدو أن إتاحة الفرصة لمثل هذا الإبداع الخالقي بجرعات متزايدة ولأعداد متزايدة هو الوقاية الأولى من مخاطر الدمار الشامل أو الانقراض التي تهدد وجود الإنسان في مرحلته الخالية (وهذا النوع مثل كل إبداع لا يقتصر على إنتاج الإبداع وإنما على معايشته أساسا) .
- 12- إن توظيف طاقة العدوان في الإبداع - بكل أشكاله ومستوياته- لا يتناقض مع نظرية التنشيط الدوري لأجندية الإبداع، ولا مع الجدلية الضرورية في مواجهة نقيض الإبداع (الجنون السلبي التناثري) .
- 13- إن ثمة تعديلا قد أضيف في هذه المرحلة من تطور فكر المؤلف، فقد عدل عن التركيز على دور طاقة العدوان في **تحطيم**

القدح - ما دام التنشيط الدورى يقوم بالتمعنة تلقائيا، لكنه يركز على قدرة طاقة العدوان على الاقتحام، اقتحام طبقات الوعى للمبدع ذاته، واقتحام استاتيكية السكون، ثم اقتحام وعى المتلقى.

14- إن دراسة أنواع الإبداع من منظور بيولوجى الجذور، وظيفى المحتوى، غائى الدافع.. يمكن أن تفتح آفاقا جديدة لبحوث تبنى على تفرقة جديدة تساهم فى مسار الإنسان وتكامله ولاتركز على سماته وإتقاناته الطرفية- على الرغم مما فى ذلك من إسهام إيجابي لاجدال فيه- إلا أنه يحتاج إلى أن يتكامل مع دراسات نوعية أعمق.

وبعد

لا معنى لاعتذار جديد،

ليس فقط لأنه كذب بشكل ما، ولكنى شعرت أن فيه قدر من الاستهانة بصبر وقدرة أصدقائى الذين يتحملون ما يلج على لتوصيله إليهم من خلال هذه النشرة ربما لأننى لا أتصور أن عندهم الصبر أو الوقت للرجوع إلى أصول هذا التنظير فى الموقع.

ثم إنى اكتشفت وأنا أنهى هذه النشرة اليوم أن الاحتجاج بأن هذا العرض هو للمتخصص فى الطب النفسى حتى يحسن التعرف على الطبيعة البشرية التى يتعامل معها هو أيضا خطأ منى لا أستطيع أن أعمسك به، إذ لم يعد أغلب الأطباء يهتمون بمثل ذلك أصلا.

فلمن إذن كتب كل هذا الكلام الصعب؟

لكل من يهمله الأمر

وهم كثير

وأخيرا أرجو أن أعود للرد على مزيد من التساؤلات التى أثارها نشر هذا الموضوع، وخاصة فيما يتعلق بعلاقة الجنس بالعدوان من منطلق تجلياتهما الإيجابية، وربما أيضا عن دور المرأة فى الإبداع بشكل خاص.

- إن الدعوة إلى استيعاب العدوان فى حركية الإبداع لا يمكن أن تقتصر على تنمية المواهب، أو الحفز على الإنتاج الإبداعى، بقدر ما تشير، وتوصى بضرورة خلق محيط من الحرية والحركة والمحاولة فى كل مجالات الحياة تسمح باستيعاب هذه الطاقة فى مختلف أشكال، ومراحل، ومستويات الإبداع.

الإثنين 26-03-2008

208- لغة الجنس، والجنس كالمغة

(مقتطف مع تحديث محدود من محاضرة بتاريخ 1998/12/15)

ألقيتها في المجلس الأعلى للثقافة عن "الوظيفة الجنسية من التكاثر إلى التواصل"

مقدمة قبل المقتطف

انطلاقاً مما جاءني من تعقيبات وتساؤلات عقب نشرات العدوان والإبداع، والتي أشرت فيها كيف لا ينبغي أن نتعامل مع أي من الغرائز بمنطق الخجل أو التسامي أو الإزاحة، بمعنى أن الغرائز كانت وسوف تظل جزءاً من تركيبنا الطبيعي، وأن وظيفتها تتطور وتتحوّر مع تطور الحياة وأطوار الإنسان، وبالتالي فإننا نسمو بها وليس على حسابها، وعلى هذا تصبح مقولة التسامي عنها في حاجة إلى وقفة ومراجعة، حتى لا يكون الارتقاء والتمدد - مثلاً - هو الذي يستوعب طاقة الجنس بدون جنس ..، وحتى لا ننكر أو نكتفي بمشاهدة العدوان في السينما والرياضة من الوضع جلوساً (هذا ناهيك عن اندلاعه في الحروب والإبادة).

نحن ننمو، نتحضر، نبدع، بما هو نحن كلاً كاملاً، بغرائزنا وليس على حسابها.

أقول: شعرت مما وصلني أن هذه المسألة تحتاج إلى توضيح بالنسبة لكل الغرائز

قلت: أبدأ بالغريزة الجنسية فهي الأسهل استيعاباً وربما تقبلًا حتى في وظيفتها البدائية قبل أن انتقل للدفاع عن غريزة العدوان سيئة السمعة على معظم المستويات.

تذكرت هذه المحاضرة التي سوف أعود للاقتطاف منها غالباً حسب التعقيبات التي قد ترد إلي، وفضلت أن أبدأ بقراءة لغة الغريزة الجنسية في التواصل أساساً

إلى المحاضرة :

بدأت - في المحاضرة - بالتنبيه على دلالة تناول موضوع كهذا بغير لغته كالتالي:

انفصال الجنس عن اللغة الجنسية

لماذا نطفئ الأنوار ونحن نتحدث عن الجنس حتى يكاد نقلب حديثنا رطانا في موضوع لا يصح فيه الرطان، أنا أتكلم عن الاختيار بين اللغة الصريحة المباشرة التي تسمى الأشياء بأسمائها، في مقابل اللغة المنافقة المغترية (المسماة المحتشمة)، ناهيك عن وضع نقط في الكتابة محل ما يسمى الألفاظ الخارجة (خارجة عن ماذا بالله عليكم؟) أو إصدار أصوات مُهَيَّمة في الخطاب الشفاهي.

إن مجرد العزوف - حتى في مجتمع علمي- عن تناول موضوع مثل الجنس بلغة جنسية مباشرة هو أمر له دلالته، حتى أنه يمكن أن يكون أحيانا ضد مصداقية المتحدث، أو لعله يعلن عن احتمال اغترابه. إن هذا التراجع عن استعمال اللغة الصريحة، لا يُسأل عنه الدين ولا الأخلاق الحميدة، فلا يوجد أصرح في الدين من فقه النكاح، ولا يوجد أصرح في التراث من المراجع التي تناولت هذا الأمر بكل جسارة، ليس فقط في كتب مجهولة المؤلف مثل "رجوع الشيخ إلى صباه"، وإنما في كتب معروفة ومتداولة مثل "نزهة الخاطر" وقد اعتبر فوكوه أن هذا الاحتشام الزائف الذي ساد حتى طغى في القرن التاسع عشر بالمقارنة بالصراحة والمباشرة التي كانت في القرن السابع عشر، هو من أهم السمات التي تميز قهر العصر الفكتوري، وأحسب أننا نمر هنا في مصر والعالم العربي، بمثل ذلك ونحن في القرن الواحد والعشرين، هذا ما يبدو على السطح على الأقل على المستوى الاجتماعي المعلن، وليس هو كذلك على أية حال بالنسبة لما يجري في المستوى الوافعي التحتي المتماذي فيما لا يمكن رصده بسهولة حول وعن هذه المسألة.

على الرغم من كل هذه المقدمة الحذرة، إلا أنني لا أملك إلا أن أجري النفاق الاحتشامي في حديثي اليوم، وغاية ما آمل فيه هو أن أستطيع أن أتجاوزه، متى أحت الضرورة، بأى قدر مهما ضؤل في بعض الهوامش أو الملاحق.

مناقشة هذا التحول الذي طرأ على خطابنا بشأن الجنس هو في ذاته مفتاح ما آلت إليه وظيفة الجنس من إحاطة بالصمت (الرهيب) وخاصة بالنسبة للأطفال، أو من إنكار كامل حتى داخل حجرات النوم الشرعية، ولو أن بحثا أجرى على تواتر إطفاء الأنوار، وإغماض العيون ونحن نمارس الجنس، ودلالة هذا وذاك وعلاقته بالاحتشام المصنوع، وتأثيره على معني وجدوى ونتيجة الممارسة الجنسية، خاصة في المؤسسة الزوجية، لو أننا أجرينا مثل هذا البحث بفروض شجاعة، فلربما نتبين إلى أي مدى ننكر على وعينا ما نفعل، ونحن ندعي تقاربنا مع الآخر في الجنس للتواصل أو حتى مجرد اللذة، وقد تظهر لنا نتائج هذه الأبحاث أننا نمارس الجنس وكأننا لا نمارسه، أو: كأننا نمارسه مع مجهول، أو: وكأننا نسرقه من ورائنا (وليس فقط من ورائهم).

ثم اقتراح ببحث آخر يستقصى ماهية اللغة التي يستعملها أطفالنا - من مختلف الطبقات والثقافات الفرعية- لتسمية

الأعضاء الجنسية (البوبو، الكلمة العيب... الخ) وسوف نكتشف كيف ننكر، أو نتنكر لكل ما هو جنسي منذ البداية .

إن تعبير أن هذا اللفظ أو ذاك "يخدش الحياء" يحتاج إلى وقفة يمكن أن تأخذ وقت المحاضرة كلها، لأنه تعبير يدل على أن النفاق عندنا قد أزاح الحياء الحقيقي، ليحل محله حياء زائف سابق التجهيز، ولا بد أن يكون هذا الحياء الزائف هش أو زجاجي القوام، وأن يكون اللفظ الجنسي الصريح، ماسي الجوهر قادر على الخدش بمجرد أن نتلفظه، وإلا فما معنى هذا التعبير "يخدش الحياء العام"، ثم: أليس ما يخدش الحياء العام، هو هو ما ينبغى أن يخدش الحياء الخاص، أم ماذا ؟؟؟!

لقد حدث انشقاق بين الكلام ومضمونه الحقيقي في كثير من المجالات، وربما في هذا المجال بوجه خاص، انشقاق بين اللغة الحقيقية، والمتولدة والمباشرة وهي لغة الناس (الذين يسمون -الآن- "بيئة"، وهي أقرب كلمة لمعنى الثقافة الخاصة) ولغة الطبقة المحتشمة (أو المغلفة بالاحتشام) وهي اللغة التي تكاد أن تصبح "لا لغة" لتفريغها من وظيفتها، وكان من بعض نتائج ذلك ما لحق بموقفنا من الجنس، بل إن هذا الانشقاق نفسه يمكن أن يصبح ذا دلالة تفيد تدعيما لهذا الموقف وإبقاء على استمراريته .

أورد هنا بعض مظاهر دلالات استعمال اللغة الجنسية بصورها المختلفة في حالتنا الآن:

(1) أصبح الحديث عن الجنس بلغة جنسية يصنّف المتحدث في موقع طبقي بذاته فهو إما في أدنى الشرائح، أو أعلاها، وإن كانت الشرائح الأعلى قد تلعب لعبة أكثر خفاء فتتحدث عن الجنس بلغة جنسية صريحة لكنها أجنبية، وهو نوع من "الصراحة المستورة" (إن صح التعبير) وهي أكثر كذبا لا تجملا .

(2) حلت الأفلام الجنسية محل الحديث الجنسي المباشر، (ربما كما حل التليفزيون محل الحوار الأسرى المباشر)

(3) أيضا حلت النكت الجنسية محل الأحاديث الجنسية (وأحيانا محل الممارسات الجنسية)

(4) أصبح العلم، ومنه هذه المحاضرة، وربما التدريس، يدرس بلغة باردة باهتة، وكأنك تصف رائحة زهرة بعدد من معادلات، على كمبيوتر ملون .

(5) لم يعد التراث الصريح الخاص بالحديث عن الجنس، وفي الجنس، في المتناول أصلا، حتى ألف ليلة وليلة، أو الأغاني، بل إن الأيدي امتدت إلى التراث المعاصر، ليس فقط بواسطة الرقابة والسلطات الرسمية، وإنما بواسطة الناشرين أنفسهم (حكاية السحار وعبد القدوس وقيل بعض محفوظ) .

أخلص من هذه المقدمة بالقول: إن انفصال لغة الجنس عن الجنس، سواء في الحديث عنه، أو تعليمه، أو حتى ممارسته، هي من علامات انفصال الجنس نفسه عن تكاملية الوجود مع الجسد

من ناحية، ومع اللغة ككيان فينوميولوجي غائر من ناحية أخرى، وأيضا عن اللغة كوسيلة للتواصل والتعبير بالكلام وغيره من ناحية ثالثة.

الجنس لغة قائمة بذاتها

لن أدخل في تعريف اللغة كثيرا، لكنني سوف أكتفى بالإشارة إلى أن اللغة هي من ناحية كيان غائر جاهز منظم منظم، لها عمليات تفيد في التعبير والتواصل.

الجنس في ذاته وبذاته يوفي بكل ما تعنيه اللغة من تركيب ووظيفة، سواء في ذلك وظيفتها للتواصل، أو للتمثيل (=التشكيل لاحتواء معنى ما، ليس بالضرورة بهدف توصيله).

يقوم الجنس بذاته في تحقيق وظيفة اللغة وطبيعتها معا، فهو **نَحْضُرُ "القول"** عادة دون أن يعلن ما يقوله برموز منفصلة عنه، وهو يحقق الحوار الواجب تفهمه لمعرفة نوع العلاقة ودلالات اللقاء، على أي مستوى في السواء والمرض.

سوف نركز هنا على مستوى التواصل

الجنس يستعمل كل الأدوات المتاحة المفروض أن تتحقق بها وظيفة التواصل على عمق المستوى الوجودي كله تحت قيادة الوعى المتعين الذى يسمى الجسد

فكرة الحوار الجنسى لا تستثنى أيا من مستويات الوعى، قد تبدأ من مستوى بذاته، ولكنها تمتد إلى سائر المستويات حتى تحقق وظيفة التواصل في أرقى تجلياتها.

الجنس يستعمل اللغة اللفظية واللفظية غير اللفظية، يستعمل اللغة الحسية الجزئية واللغة الحسية الكلية، يمتد من أول نظرة العين حتى رائحة العرق، مارا بكل خلجات ونبضات واستجابات الجسد. ومثل أى حوار ولغة توجد إشارات نداء، وعلامات استجابة، ودلالات، وتطور اقتراب، وسياقات جدل، وتوجُّه نحو غاية، واستيعاب متنوع، وردود متماوجة متنوعة، ونداء وردّ جاهز أو متراخ، وهمس جسد، وصمت تناغمى، أو نشاز مزعج، وهكذا، وهكذا، مما لا مجال لتفصيله هنا الآن اللهم إلا من حيث توظيفه للتأكيد على هذا المدخل إلى موضوعنا عن توظيف الجنس للتواصل على كل المستويات ،

إن من يحسن الإنصات إلى اللقاء الجنسى يمكن أن يستمع إلى ما نريد أن نشير إليه من احتمالات نجاح أو فشل أو تجاوز أو صعوبة عمل علاقة مع آخر، أو فهم مغزى عرض، أو إعلان نقلة نوعية، أو إضاءة ضوء أحمرا، ينذر باختلال الوظيفة في مرحلة بذاتها... إلخ

أعراض وأمراض

أستطيع أن أزعم أنه من الممكن أن نترجم أغلب الصعوبات الجنسية إلى ما يقابلها في اضطرابات اللغة (في وظيفتها التواصلية أساسا)

• خذ مثلا العُقلة (في الكلام = هي وقفة لا يمكن - أو يصعب- تحريكها، Stammering)، وما يقابلها في الجنس من العجز عن المبادأة أصلا، وبما أن الشائع أن المبادأة (لا النداء) تبدأ عادة من الرجل، فإن هذه العقلة الجنسية تظهر في الرجل أكثر وضوحا مما تظهر عند المرأة حيث هي تقابل، تعلن (العجز عن الانتصاب) وهو ما يقابل العُقلة في الكلام، في حين أن المرأة قد لا تكتشف صعوبة توقفها إلا في مراحل متأخرة من الحوار (الجنسي).

• ثم خذ عندك التهته (في الكلام، وهي حركة لا يمكن - أو يصعب- إيقافها، Stuttering)، وهذا ما يصيب الرجل في الجنس أظهر أيضا، كما يصيب المرأة أخفى. في الجنس تحدث التهته حين تتذبذب الاستجابة حدة وفتورا، وكأن الخطاب الجنسي بعد بدايته يجد من المعوقات الداخلية والخارجية، الحقيقية والمتخيلة، ما يعرقله بانتظام وتكرار، وهكذا

ودون الإطالة في تعداد أنواع أخرى من الاضطرابات الجنسية وترجمتها إلى ما يقابلها من اضطرابات اللغة، (الأمر الذي قد نعود إليه لاحقا) دعونا نتساءل عن ما هو المضمون الصحيح المناسب لانتقال الوظيفة الجنسية من مجرد التكاثر، إلى زخم (وصعوبات) التواصل؟ وبالتالي يمكن أن نتصور قصورنا دون تحقيق هذا المضمون أو نجاحنا في ذلك إذا ما أحسنا الإنصات لهذا المضمون المأمول.

الجنس في جملة مفيدة

أستطيع أن أتصور أن الجملة المفيدة التي يريد الإنسان، في نهاية النهاية، أن يقولها بالممارسة الجنسية الإنسانية (بعد تجاوز اقتصارها على التكاثر) وانطلاقها إلى وظيفتها الجديدة وهي التواصل يمكن أن تقول،:

"إن وجودي يتحقق أكثر بوجودك معي لتتحقق انت لك بي/معي، وأنا كذلك: أقرب، أدخل، أكثر التحاما. لا ألتيك وأنا خارج، ولا أتلاشي فيك وأنا داخل، لا أبلعك وأنا أحتويك، ولا ألتك وأنا أنسلخ منك، أبتعد لأكون نفسي فأندخل لأكونك، أسمح لك ولا أخشى الانسحاق، وأتركك فلا أخشى اختفاؤك، حتى نتلاشى معا، فينا، لنتخلق من جديد، جديدين معا "

نلاحظ هنا أن هذه الجملة لم تظهر فيها اللذة لذاتها،

الجملة من بدايتها لنهايتها متمتجة بلذة قادرة على الدفع فالحفاظ على تحمل كل هذه المخاطرة بالتلاشي (أنظر بعد).

إذا استطاعت الغريزة الجنسية ملتحمة بكل الوجود أن تقول مثل هذه الجملة المفيدة، فإنها تعلن أن الجنس يؤدي وظيفته التواصلية كأروع ما يكون الإبداع الذاتي "معا".

إذا صح أن الجنس قد تجاوز دوره التناسلي (التكاثرى) إلى هذا الدور التواصلى الإبداعى، فإن معنى التكاثر البشرى يمكن أن تعاد صياغته من خلال تطور نوعية الوجود البشرى،

وليس مجرد الحفاظ على النوع، بمعنى أنه إذا كان التكاثر الخلوي ينشأ من اندماج خليتين حتى لا يعودا كذلك إذ يتخلق منهما كائن جديد، وأن هذا يتم عن طريق رشاي الدفاع الجنسي من شبق ونداء واستجابة ولذة متبادلة، فإن التواصل بالجنس نفسه يمكن أن يحقق نفس الوظيفة ولكن على مستوى الفرد نفسه بالمعنى الوجودي كله، أي أن الممارسة الجنسية في صورتها الإبداعية المطلقة إنما تحقق هذا الاحماء فالتجدد (الجنس كإعادة الولادة) باستمرار.

تنبيه لا تراجع:

حتى لا يبدو القول مرسلا وكأنه تفكير آمل، أود التنبيه على شروط قراءة هذه الجملة الصعبة التي هي في الأغلب: غاية لا بداية، قائلا:

- إن هذه الجملة لا تقع في بؤرة الوعي بالضرورة، بل إنها غالبا ما تكون بعيدة عن دائرة الوعي الظاهر أصلا.
- إن مصاحبات الخيرات الجنسية، ومقدماتها، وبدائلها، وتجلياتها قد تعبر أكثر عن هذه الجملة المفيدة، في حين أن الممارسة الجنسية نفسها تبدو أحيانا وكأنها تفتقر إليها، وهذا لا يدل على غيابها الحقيقي، وإنما هو قد يشير إلى صعوبة التحام الجسد مع الوعي في وجدان كياني لحظي بشكل مباشر متصاعد.
- إن التيقن من اختفائها تماما قد يضبط الغريزة الجنسية وقد ارتدت إلى بدائيتها، ربما دون إذن صاحبها.
- إن فرط الدراية بهذه الجملة حاضرة كمرقب دقيق في الوعي الظاهر، قد يصبح معوقا للممارسة الجنسية السلسة، وليس دعما لتحقيقها.
- لكل ذلك، فإن جملا أخرى، وإن كانت تبدو أقل إحاطة، تقوم بوظيفة التدرج، والتيسير، حتى يحقق الجنس هدفه التواصل الإبداعي، دون مواجهة بصعوبات مُعيقة من البداية.

جمل جنسية مساعدة، داعمة أو بادئة:

إنه لكي يتحقق مضمون هذه الجملة الصعبة، فإن الأمر يحتاج إلى جهد ثنائي من الجانبين لا من جانب واحد، وبديهي أن مستوى الوعي بها، ومستوى التطور البشري لكل شريك، ومستوى القدرة على تحقيقها يختلف مثل كل الاختلافات الفردية ومن ثم تقوم الدفاعات النفسية، والاحتياجات الجزئية، والأوامر الغرامية باللازم للتخفيف من وطأة هذا التحدي الصريح الصعب، الذي يزداد صعوبة إذا استعمل الحوار الجنسي - بالمكانزمات المختلفة - للتعبير عن أشياء قد لا تكون لها علاقة مباشرة بالممارسة الجنسية نفسها.

لما كان فرط الوعي بهذه الجملة الجامعة قد يصبح عائقا عمليا على أرض الواقع، وخاصة أن تحقيقها هو غاية أكثر منه بدءا كما أشرنا، فإن ثم جمل أخرى أخف ثقلا يمكن أن

نستمع للجنس وهو يقولها في أطوار مختلفة من أدائه أو تطوره، هذه الجمل وإن تبدو لأول وهلة بعيدة عن الهدف الإبداعي التواصلى للجنس، فإنها جزء من الحوار الجنسى وهى تبدو ضرورة مرحلية نافعة، على الطريق إلى **الجملة الأكمل، والولاف البعث.** ومن ذلك (على سبيل المثال):

- أنا خائف أريد أن أرجع لرحم أمى
 - أنا خائفة أريد أن أحتفى في ظل أبي
 - هل تريدنى (أنت تريدنى): إذن أنا موجود
 - هل أرضيك؟ (أنا أرضيك) إذن ثم من يحتاج وجودى.
 - أنا أبحث عنك، فدعنى أجذك
 - أنا أجذك رويدا رويدا فلا تنسى أو تنكر
 - أنا أصدقك، دعنى أصدقك أكثر
 - أنا أأكمل بك، لكن ثم صعوبة، لا تراجع
-إلخ

هذه أمثلة لحضور الطرفين في حوار يعلن امتزاج وعى مشترك، وبديهي أنها لا تجرى بهذه الرموز المحددة، مع أنها أخف من الجملة المفيدة الجامعة الأولى.

الجانب الآخر

بقدر ما تكون مثل هذه الجمل السالفة الذكر التي يقولها الجنس (دون ألفاظ) مفيدة أو بادئة واحدة لما يمكن أن يصبح تواملا، يمكننا إذا أحسنا الإنصات إلى الجانب الآخر من لغة الجنس أن نستمع إلى جمل أخرى مغتربة، ومجهضة، وهى لغة تكشف بشكل مباشر، أو من خلال نتائجها، طبيعة ما يمارس من جنس اغترابي (عمره قصير عادة)، ذلك لأنه مبنى على ما لا يحفظه أو يحافظ عليه، لأنه إذا كانت لم تعد بنا حاجة إلى الجنس بكل هذا التكرار للحفاظ على النوع (التكاثر)، وفي نفس الوقت هو (الجنس) لم يرق ليقول الجملة المفيدة السالفة الذكر، أو حتى الجمل المساعدة، فإنه يصبح ممارسة مغتربة، قهرية أحيانا، منفصلة عن الوجود الكلى، عاجزة عن تحقيق وظيفتها الجديدة أصلا، كل ذلك يمكن رؤيته من خلال الموقف الأساسى لهذا الجنس المغترب (الذى قد تبرره اللذة لبعض الوقت، كما قد تطيل عمره الذاتية المعلنة أو الخفية، المتبادلة أو أحادية الجانب) هذا النوع من الجنس يعلن **نفى الآخر من البداية**، فلا يعود إلا مسقطا لاحتياجات الذات، أو وسيلة لتحقيق اللذة الذاتية الاغترابية التي تلغى الآخر،

على هذا الجانب الآخر يمكن الإنصات لما يمكن أن يقوله الجنس من جمل سلبية يقولها الجنس، لا تخدم التواصل، بل لعلها تقطع التواصل، أو تجهضه، أو تنفيه، قبل أن يبدأ أصلا، ومن ذلك:

- أنا أمتلكك وهذا يجعلني أكثر أمانا وثقة بنفسى
- أنا أحسن استعمالك، وعليك أن تسعد بذلك
- أنا أختفى فيك فلا يبقى منى شيء، ولا وجود لى إلا بك أداة نافعة
- أنا أستمد وجودى من قبورك لى هكذا، وإلا الضياع (ضياعى)
- أنا ألتهمك (فأضمن استمرارى) فلا يبقى منك شيء بعد تمتعى بلذة التهامك ...
- أنا أحتاجك حتى أشبع، على شرط ألا يتبقى من ذلك شىء... (فلا يهددنى التلاشى فالبعث)
- إلى غير ذلك من كل تباديل الحب والغرام والرشوة والاستعمال، دون ولادة أو بعث.

صعوبات وصعوبات

نجاح العملية الجنسية فى ذاتها ليس دليلا على نجاح التواصل، بل إن الصعوبات الجنسية قد تظهر وتشتد أكثر حين تكون اللغة الجنسية السليمة قد وصلت إلى الوعى أو اقتربت منه حتى أصبح التواصل الحقيقى شرطا للقاء بشكل أو بآخر.

أما إذا ألغى احتمال التواصل أصلا، وأصبح الجنس مغتربا ذاتويا تماما، فإن الممارسة الجنسية قد تنجح ، وإن كان عمرها الافتراضى يتناقص باستمرار.

استعمال الجنس" لغير ما هو (لا للتكاثر ولا للتواصل)، يؤدى به إلى أن تعتبر المرأة شريكها (شعوريا أو لا شعوريا) مجرد مذبذب، فى حين يعتبر الرجل المرأة (شعوريا أو لا شعوريا) بمثابة وسادة إستمنائية.

فإذا تجاوز الطرفان أو أحدهما هذا الحوار السلى للجنس، إلى ما هو أرقى، فقد يعلن ذلك فى شكل عرض (أو مرض) ، يمكن علاجه باحترام شديد، بدلا من اعتباره انحرافا أو قصورا.

ومن أمثلة ذلك:

(1) تظهر العنة مثلا حين يكون "الموضوع" (الشريك) "موضوعا"، أو ملوحا أن يكون موضوعا حقيقيا (كيانا بشريا منفصلا مشاركا)، أو واعدة بذلك، أو حين يشترط الشريك ذلك، وكأن العنة تقول:

1- إختلت إسقاطاتى، فلم أعد أستطيع أن أقرب منك إلا "موضوعا حقيقيا،" ليس فى مقدورى أن أكذب

أو لعلها تقول:

ب - إن لذتى لا تتحقق إلا بأن أستعملك دون أن أعرف عليك، فما دمت قد تعرفت عليك فأنا عاجز الآن.

(2) وقد تقول المرأة بالبرود الجنسي:

أ- أعرف كذبك ولا أريد أن أشارك فيه، رغم البداية الخادعة معك

أو لعلها تقول:

ب- اكتشفت كذبك، ولم أستطع أن اتمادى فيه

(3) وسرعة القذف قد تقول:

أ- رجعت في كلامي، لا أحتملك كآخر، لا أطيق الاستمرار، نُنْهها أحسن.

أو لعلها تقول:

ب- أخاف من التلاشى. قد أموت بلا عودة، يكفى هذا

أو ربما تقول:

ج- خفت أن أدخل لا أخرج، أو أن أخرج لا تسمح لي ثانية. سلام.

..... وهكذا

هامش عن معنى انتشار الفياجرا هكذا

إن انتشار استعمال الفياجرا حتى عند الشباب، وفي الصعيد أكثر (كما بلغني من الممارسة الإكلينيكية مؤخرا)، وفي المؤسسة الزوجية أكثر فأكثر، إنما يؤكد انفصال الأعضاء الجنسية عن كلية وجود صاحبها فسيولوجيا ونفسيا ووجوديا وهو لا يتيح الفرصة لاختبار لغة الجنس التواصلية الصادقة، ولا حتى اللذية المؤقتة.

أنا لا أريد أن أعمم فأنصح بتجنب هذه المساعدة في حالات خاصة، ولوقت محدود، فقط أريد الإشارة إلى أن هذه لعقائير المألثة للجهاز الجنسي الطرقي إنما تسمح للمخ الأعلى فالوجود الأشمل أن يتخطى صعوبة موضعية مؤقتا لها أسبابها المحدودة، بما يتيح له أن يكمل أن يمارس وظيفته الجنسية، سواء كانت اغترابية، أم تواصلية مبدعة، ومن ثم فإن فضل الفياجرا هو أنها تعمل بمثابة تأكيد ضمان كفاءة الجهاز الطرقي بما يتيح للجهاز المركزي الأعلى أن يستعمله كيف شاء متى شاء،

أما إذا كان استعمال مثل هذه الكيمياء هو البداية والنهائية، فإن تهادى الانفصال لا التواصل هو الأكثر احتمالا.

الخطر الحقيقي، حتى تطوريا، هو أن تساعد مثل هذه العقائير على تراجع دور الجنس من لغة للتواصل إلى أداة للتفريغ واللذة وإزالة التوتر لا أكثر، ذلك أن الانتصاب الطبيعي في حد ذاته يعلن أن المخ وافق على الاقتراب، فأرسل رسائله التي أعلنها هذا النجاح الفسيولوجي ممثلا في الانتصاب.

ومن جهة دور المرأة، فإن هذه العملية الطبيعية في ذاتها هي إعلان أنها مرغوب فيها بدليل (بأمانة) هذا الانتصاب، مرغوب فيها بقدر ما هي راغبة وبالعكس.

فإذا نحن فرحنا بتجاوز هذه الخطوة، واستسهلنا استعمال الضخ الكيميائي (بالفياجرا مثلا)، فإن معنى ذلك أننا نفرح بتريديد صوت ببغائي كأنه الكلام، مع أنه رطان خال من مضمون التواصل على الرغم من الإبقاء على مضمون اللذة وخفض التوتر.

إذن فلإستعمال الفياجرا دورين نقيضين:

الاستعمال الإيجابي: وهو الاستعمال المؤقت، لكسر حلقة التردد واستعادة الثقة، ومن ثم تعود اللغة السليمة تعبر عن القدرة والرغبة، فالتواصل.

أما **الاستعمال السلبي** فهو أن يحل هذا التنشيط الكيميائي الميكانيكي محل الاختبار التواصلي بصفة دائمة، فتختفى فرصة الإنصات الواعي والبدال للغة الجنس أصلا

الجنس والجسد

عُيِّبَ الجنس حين عُيِّبَ الجسد، والإنسان المعاصر انفصل عن جسده أو كاد:

(1) حين طغى العقل مستقلا نتيجة فرط الذهننة (Hyper intellectualization)

(2) حين أهملت تدريبات الحواس حتى أصبحت الحواس مجرد مداخل ونوافذ ومحطات إنذار، وليست قرون استشعار، ولبنات تكامل.

(3) حين سخر الجسد كمجرد أداة للاستهواء ومجال لاستهلاك منفصلا عن تكامل الوجود

(4) حين أهمل الجسد كوسيلة معرفية، وحضور وجودي دال

وترتب على كل ذلك أن الجنس المفعول في جسد مغترب، أصبح مغتربا بدوره، واقتصر دورهما (الجنس والجسد) إما على تحقيق لذة منفصلة، وإما على إعلان عجز انشقاقي دال.

الجنس والموت والبعث

ذكرنا في الجملة المفيدة السالفة الذكر التي يمكن أن يقولها الجنس التواصلي الإبداعي كيف تكون الممارسة الجنسية هي الوسيلة إلى التكاثر الوجودي بمعنى اختفاء الاثنين المتلازمين في سبيل تخليق اثنين آخرين جديدين، وأجد من المناسب أن أعيد الجملة المفيدة هنا من جديد، إن تقول:

إن وجودي يتحقق أكثر بوجودك معي لتتحقق انت لك بي/معي، وأنا كذلك: أقرب، أدخل، أكثر التحاما. لا ألغيك وأنا خارج، ولا أتلاشي فيك وأنا داخل، لا أبلعك وأنا أحتويك، ولا ألفظك

وأنا أنسلخ منك، أبتعد لأكون نفسي فأتداخل لأكونك، أسمح لك ولا أخشى الانسحاق، وأتركك فلا أخشى اختفاؤك، حتى نتلاشى معاً، فينا، لننتخلق من جديد، جديدين معاً "

ومعنى الاختفاء هنا هو تلاشي الفرد في اللقاء كخطوة لازمة لكي يعود جديداً، وهذه الخطوة ليست مجازية في التناسل البيولوجي، وهي كذلك بالنسبة للجنس التواصلى الإبداعي فإن نفس الخطوات تتم ولكن محل التناسل البيولوجي تخليق الذات (الذاتين) أى التغير النوعى للشريكين، بمعنى إعادة الولادة أو إبداع الذات من خلال لقاء الآخر والاندماج فيه حتى التلاشى

ولو أننا صورنا هذه الجملة المفيدة بالتصوير البطئ، ثم تصورنا توقيف التصوير إذن لضبطنا هول لحظة التلاشى، (العدم / الموت) وكأننا بذلك نكتشف أن الجنس التواصلى الإبداعي لا يتم إلا إذا تحقق الموت (كخطوة) ومن ثم البعث. ولكن من يضمن؟

وقد كنت أرفض قديماً بشكل ساخر تعبير "أموت فيك، وتموت فيّ" ثم انتبهت مؤخراً إلى احتمال أن هذا الموت بالجنس هو في نفس اللحظة إعادة ولادة، وبالتالي فإن فيوميولوجيا الجنس تؤكد على هذه العلاقة الوثيقة بين الجنس الكامل، والموت/البعث

ومن ثم فإن الخوف من الجنس حتى العجز، يمكن أن نتتبع معناه من عمق معين، حتى يثبت في بعض الحالات أنه ليس إلا خوف من الموت دون بعث، وهو ما أشرنا إليه في الفقرات السابقة في جملة الذهاب بلا عودة، أو جملة الدخول بلا خروج.. إلخ

كما أنه قد يكون خوفاً من تلاشي الآخر التهاماً (ومن ثمّ القضاء عليه)، بلا عودة أيضاً، أى أن يكون الجنس سبباً في فقد الآخر، وبالتالي الحرمان من مصدر وشريك الجدال الخلاق

ولكن لهذا حديث آخر، غالباً.

- كثير من المناقشات التي دارت حول مسألة اللغة المستعملة في تناول المسألة الجنسية حتى في سياق أدبي كان وراءها بحث في دلالات ذلك عبر التاريخ من أول الموقف من عوليس جيمس جويس حتى كتابات د. هـ لورنس، هذا بالإضافة إلى دلالة ما لحق بديوان الحسن بن هانئ، وألف ليلة وليلة، وغيرها من مصادر التراث.

وقد تراجعت في آخر لحظة عن أن أقتطف ما يدعم موقفى من كتاب الروض العاطر في نزهة الخاطراتأليف قاضي الأنكحة أبي عبد الله محمد بن محمد النفزاوى إذ يقول " الحمد لله الذى جعل اللذة الكبرى في .. إلخ"، وسوف أكتفى بالإشارة إلى خطاب الوزير الأعظم "عبد العزيز صاحب تونس وهو يدعوه إلى تأليف الكتاب بعد اطلاعه على كتاب سابق (تنوير الوقاع في أسرار الجماع)، يقول الوزير " .. لا تحجل .. فإن جميع ما قلته حق، .. (و) هذا العلم... يحتاج إلى معرفته ثم يضيف: ولا يجمله ويهزأ به إلا كل جاهل أحمق قليل الدراية" .. إلخ

الخبيس 2008-03-27

209- قراءة في أحلام فترة النقابة

(حلم 43) ، (حلم 44)

43 حلم

ليلة الزفاف ابن عمى تقام في بيتنا بالعباسية بين الطبل والأغانى. يتقدم ابن عمى تتأبط ذراعه عروسه في حلة العرس. وقبل أن يصعدا السلم إلى الداخل يعترضهما مفتش الشرطة. ذهلنا وتساءلنا عما وراء ذلك. انقض المفتش على العروس فتفحص وجهها وأخذ بصمتها على لوح صغبر وفحصه بمنظار مكبر وألقى القبض عليها وسار بها إلى سيارة الشرطة، وأدرك الجميع ما يعنيه ذلك

وأقبلوا على ابن عمى يواسونه ويمدون الله الذى نجاه من شر أوشك أن يطوقه،

ورغم ذلك فقد مضى الشاب وهو يبكى وقررت أن أمضى الليلة في بيت العباسية مع أهلى ولكنى اكتشفت أن جميع مصابيح الكهرباء معطلة.

فسألت أختى كيف يعيشون في الظلام. واكتشفت أيضا أن جدرانهم تحتاج إلى ترميم ودهان وضقت بالمكان ونويت أن أصلحه، وأعيده إلى رونقه القديم.

* * * *

القراءة

نبدأ من الآخر وهو يسأل اخته "كيف يعيشون في الظلام"؟

ترى أى ظلام؟

ظلام أنهم ليسوا على دراية بسذاجة ابن العم الذى كاد يشوه سمعة الاسرة وهو لا يميز من يناسبها من مصاهرة؟ أم ظلام عدم احترامهم لمشاعر شاب اختار، وانكسر في ليلة عرسه، ولم يصلهم معنى بكائه من أثر الفضيحة، أو ربما من لوعته لفقد العروس، أو من شعوره باحتمال الظلم.

هل منظومة القيم الظلامية هذه هى كذلك لأنها لا ترى إلا

ظاهر الظاهر دون أن تتيح الفرصة لرأى آخر أو رؤية مختلفة فهي تحتاج إلى ترميم؟ وهل يا ترى يكفى الترميم أم سيكون دهانا يحفى الشقوق لينسى الجميع الفضيحة "وكان الذى جرى ما كان"؟

لاحت لى علاقة ما بين الترميم هنا، وبين ما جرى فى حلم (8) الذى انتهى بجوار بينه وبين أمه حين التقاها وقد خرج من البيت وقرر ألا يعود إليه مدى الحياة، وقالت له

- أنت السبب فيما حصل
فثأر غضبه وصاح

- بل أنت السبب فى كل ما حصل
ثم راح يمضى فى الهرب؟

الفرق هنا هو أنه حين ضاق بالمكان، والظلام لم يهرب، بل قرر أن يصلحه ويعود به إلى رونقه القديم.

هل هذا الرنوق القديم هو "من كان منكم بلا خطيئته؟، أم أنه قيمة "العدل والاحترام"؟

أم كلاها،

أم هو مجرد مزيد من طلاء لامع على جدران متآكلة؟

ثم من أدرانا أن البوليس كان على حق فيما فعل؟

من أدرانا أن من تقبض عليه الحكومة هو مجرم، وهو لم يحاكم بعد؟

لم يظهر فى الحلم ما يشير إلى أى دليل على موضوعية مثل هذه الاجراءات التى بررت أن ينتزعوا العروس هكذا من عريسها فى ليلتهما، وهم فى مرحلة أخذ البصمات، ومن ذا يستطيع أن يتحقق من تطابق البصمات بالنظر بمنظار مكبر وكأن البصمة الأخرى قد انطبعت فى ذاكرته؟ إذن هم لم يتحققوا يقينا بعد من ما إذا كانت بصمات العروس ستطابق من يشتبهون فيها أم لا

إلى متى نعيش فى هذا الظلام؟

* * * *

حلم 44

مقدمة قبل القراءة

اكتشفت أننى سبق أن قدمت نقدا منشورا لهذا الحلم (44) بالاضافة إلى حلمى (124)، (113)، حيث ربطت بين هذه الأحلام الثلاثة وبين إحدى فقرات **أصداء السيرة الذاتية**، وفضلت أن أثبت النص بأكمله هنا الآن، لعلى أعرض بعض ما أنويه فى "الدراسة الشاملة" لكلا النصين معاً، بعد تجميع كل على حدة، ربما!!

أولاً:

من أصدقاء السيرة الذاتية الفقرة 32 بعنوان "التحدى"

في غمار جدل سياسى سأل أحد النواب وزيرا:

هل تستطيع أن تدلنى على شخص طاهر لم يلوث؟.

فأجاب الوزير متحديا:

إليك - على سبيل المثال لا الحصر - الأطفال والمعتوهين
والجانين، فالدنيا مازالت نجير.

القراءة

من موقع التنبيه إلى أن ضغوط الحياة قد تضطر مدعى
الفضيلة إلى الدعارة الخفية (الأصداء/فقرة28)، أو تضطر
المكافح من أجل لقمة العيش، إلى التنازل عن الكرامة
(الأصداء/فقرة34)، أو تضطر رب الأسرة البريئة إلى عمل صفقة
مع ضميره (الأصداء/فقرة23)، فيقع الجميع في مصيدة التلوث،
مع اختلاف التبريرات، يكاد يعمم نجيب محفوظ في هذه الفقرة
استحالة الحفاظ على البراءة، وذلك من خلال إجابة الوزير
متحديا: إن القادرين على أن يظلوا طاهرين لا يلوثون، هم
الأطفال والمعتوهين والجانين" ثم يضيف "فالدنيا ما زالت نجير"
حتى يبدو مرتاحا تماما إلى ما خلس إليه.

هذا الموقف من شيخ ينصت إلى أصدائه، لا يحكى خبرته ولا رأيه
بصفة شخصية، ربما أراد محفوظ أن يتردد في وعينا ما يحل هذا
الإشكال المزعج الذى يقول: "... تلك هى المسألة الصعبة: أن
نعطى للطفل الحكمة والنضج، دون مساس ببراءته بطهارته بجلاوة
صدقه، أن نصبح ناسا بسطاء لكن فى قوة، أن ننسج من خيط
الطيبة ثوب القدرة" (ديوان: سر اللعبة للناقد).

إذا لم ننجح فى حل تلك المسألة الصعبة، فربما واجهنا
الخيار الصعب: إما أن نظل أطفالا عاجزين، أو نصبح معتوهين،
أى نُجِن، كل هذا "لتستمر الدنيا نجير" كما يراها النواب
والوزراء، وكأنهم ينبهوننا إلى إننا إذا نحن تحركنا بعيدا
عن هذه الاختيارات، فسوف نتلوث (مثلهم ولا مؤاخذه).

(ربما أتحذ نجيب محفوظ حذره ضد هذا التعميم الذى أقوم به
الآن حين وضع الجملة الاعتراضية "عل سبيل المثال لا الحصر")

نستمر فى القراءة متجاهلين هذا الاستطراد مؤقتا:

ثمّ تحذير واجب هنا: إن وصف أحدهم بأنه تلوث أو لم
يتلوث، يستدعى افتراض أنه سبق خوضه تجربة ما. هذه الفئات
التي ذكرها محفوظ (الأطفال والمعتوهين والجانين) يمكن أن تدرج
ثلاثتها تحت من يسمى "لم يُختبر"، أو من هو إذا اختبر فإن
فرصته هى أن يفشل أن يلوث .

فرقٌ بين أن تعجز عن أن تتلوث، وأن ترفض أن تتلوث، هذا
شئٌ وذاك شئٌ آخر.

من هنا وجب التنوية على خطورة التعميم - برغم الجملة الاعتراضية التي لا تكاد تغني- خصوصا إذا جاء هذا التوجه إلى التعميم من وزير يحاطب نائبا في مجلس الشعب

رحت أبحث عن هذا الذي أشار إليه الوزير عفوا أو توفيا، وهو يقول " على سبيل المثال لا الحصر". لم أجده في الأصدقاء بشكل مباشر، لكنني وجدته في حلم 142 من أحلام فترة النقاها،

نقرأ معا "نص" هذا الحلم

* * * *

حلم 142

هذه القطعة من الأرض الفضاء هي ميراثي الوحيد وقد أطلق عليها اسم الخرابة لطول ما عانت من إهمالها. وما أن رُزقت بعض المال حتى فكرت جادا في تعميرها، ولكني لم أقدم لكثرة ما عرفت من حوادث النصب وفساد الذمم، حتى سألت جاري الحكيم: ألا يوجد في الدنيا شخص خيّر؟ فأجابني بأنه موجود ولكن يتطلب العثور عليه عزمًا وشجاعة وحنًا لا يتوقف.

القراءة

في الصدى المثبت في البداية كان السائل نائبا (برلمانيا!)، وكان المسؤول وزيرا، في حين أن السائل هنا في الحلم هو صاحب حق بسيط، وميراث محدود، يبحث عن شخص أمين يثق فيه، والمجيب هو جاره الحكيم. هل يا ترى كان هذا كامن في عمق إبداع محفوظ، مع أن الفارق الزمني بين كتابة النصين يكاد يقرب من عشر سنوات؟ الجار الحكيم يثق في خير الناس، ويعرف أن الأصل فيهم هو الأمانة والصدق، فهو يوصي السائل أن يجد في البحث بشجاعة وعزم ومثابرة.

هذا النوع من اليقين لا يوصل صاحبه فقط إلى الإقرار بأن الدنيا بخير، لكنه يلزمه - ضمنا - أن يكتشف الخير بنفسه، وأنه إن لم يجده، فليس عليه إلا أن يشك في بجه، لا أن يدمغ الناس أو يحكم عليهم ويصنفهم -كما فعل الوزير - باعتبارهم بلهاء أو مجانين أو ناقصي النضج (أطفال).
نجيب محفوظ لا يعمم.

الإبداع هو الإبداع لا أكثر ولا أقل، فجعلت أبحث أكثر فأكثر عن صورة الوزير في كل من الأصدقاء والأحلام. لم أعثر على ما يعينني في الأصدقاء، لكنني عثرت على بعض الإنارة في الأحلام.

نقرأ أيضا "نص" هذا الحلم

* * * *

حلم 113

أخيرا حضر الوزير الجديد فقدمت له نفسي باعتباري سكرتيره البرلماني ولكنه لم يفهم كلمة من كلامي، فحاولت شرح

عملى ولكنه نهرنى بمجة وأمر بنقلى من وظيفتى، وهكذا بدأت المعاناة فى حياتى ثم شاء القدر أن يجمع بينى وبين الوزير فى مكان غير متوقع وهو السجن، وبعد أن أفقت من ذهولى أخذت أذكره بلقائنا الأول وما جرى فيه حتى تذكر، وتأسف، واعتذر.

وانتهزت فرصة وجودنا فى مكان واحد كى أشرح له عمل السكرتير البرلمانى.

القراءة

نلاحظ فى هذا الحلم ، مقابلةً بالصدى (التحدى: فقرة 32) ، أننا ما زلنا فى جو البرلمان (مجلس الشعب)، وكما كان الحوار بين أحد النواب وبين الوزير فى الصدى، جاء الحوار هنا بين السكرتير البرلمانى والوزير. من أجل الإبداع هنا تعمد التجهيل لحيقة نوعية عمل ما هو "سكرتير برلمانى"، هذا التجهيل يفزك فوراً للبحث عن سر (سيم) الجارى، وقد تشم رائحة بها ما يشير إلى أن المهمة الحقيقية لهذه السكرتارية البرلمانىة قد تكون ممارسة أساليب التحايل، والتستر، والتلاعب، وترتيبات الصفقات، وتسريب المعلومات، بحيث يصبح التساؤل حول كل ذلك علانية أمراً أقرب إلى البلاءة. من هنا يمكن الاستنتاج أن الذى فصل من وظيفته فى هذا الحلم لم يكن الموظف الذى سجن مع الوزير، لكنه كان المبتدئ الأهل الذى راح - من فرط خيبته- يتصور أنه عين سكرتيراً ليكون سكرتيراً، فى حين أن السكرتير الحقيقى (وهو بداخله أيضاً) هو الذى يشارك الوزير نشاطاته السرية، دون إعلان طبيعتها، ولا تسميتها. المعاناة التى بدأت بعد عقابه بالفصل لم تكن لأنه ترك وظيفته، ولكنها كانت لأنه اكتشف أن ما كان يتصوره "سكرتارية برلمانىة"، تبين أنها شراكة فسادية عميقة، عليه أن يمارسها بشروطها، فكانت المعاناة وهو يروض نفسه ليقوم بالمهمة الحقيقية تحت المسمى المعلن، دون شرح أو توصيف، ويبدو أنه قد قام بها خير قيام بدليل أنها انتهت به إلى السجن بالسلامة. علينا أن نقرأ نهاية الحلم باعتبارها سخرية تعلن أن وجودهما معا فى هذا المكان المناسب، هو الشرح الحقيقى لطبيعة عمل السكرتير البرلمانى.

أكرر بلا ملل أن محفوظ -غالبا- لم يقصد، بوعى هادف، أيا من ذلك، إلا أن إبداعه قام بالتشكيل الدال بكل حبكة وجمال. كالعادة، وكما ينبغى

عاودت البحث عن صورة الوزير فى الأعلام، فإذا بي أجد أنه قد ورد فى حلم باكراً (44) بصورة قد تدعم هذا الفرض النقدى البدىئى.

* * * *

حلم 44

وجدت نفسى جالسا أمام مكتب وزير الداخلية. منذ أيام قلائل كان زميلى فى الجريدة، وكان اختياره وزيرا للداخلية مفاجأة، وانتهزت الفرصة وطلبت مقابلته فاستقبلنى بمودة

وترحاب وعرضت عليه مطلبى وهو توصية لرجل أعمال معروف بصداقته له، لأختار في وظيفة معينة في شركة من شركاته. وكتب بخط يده التوصية المطلوبة وانتهت المقابلة على أحسن حال.

وفي مساء اليوم نفسه وأنا أمشي على شاطئ النيل اعترضني رجل من تسمع عنهم في الصحف، وأشهر على سلاحا وسلب منى نقودى. كانت في حدود خمسين جنيها.

رجعت إلى منزلى مضطربا ولكنى لم اتخذ أى إجراء يؤثر في الميعاد الذى حدده لى رجل الأعمال، وعند الضحى كنت فى مكتبه، وبعد دقائق سمع لى بالدخول وقدمت التوصية، ولكنى تجمدت فى موقفى لحظة غاية فى الحرج. قلت فى نفسى ارباه .. إنه اللص الذى سرقنى أو أخوه التوأم

ودارت بى الأرض.

القراءة

التكثيف هنا أصعب وأعمق، فالبدائية تقول إن الوزير الخالى ليس إلا صحفى زميل سابق، والنقلة من الصحفى إلى الوزير نادرة، لكنها محتملة (راجع تاريخنا السياسى الأحدث). النقلة هنا أكثر دلالة، لأن هذا الصحفى الحريف لم يعين وزيرا للإعلام أو للثقافة، وإنما وزيرا للداخلية، هكذا خبط لزلق، ترى ماذا كان عمله الحقيقى فى الصحافة حتى يعين وزيرا للداخلية؟

من هذين الموقعين: الصحفى الجاهز لوزارة الداخلية، فوزير الداخلية ذو الاتصالات برجال الأعمال الذين هم، نتذكر وظيفتى السكرتير البرلمانى فى الصدى (السالف التصدير به)، وما ذكرناه عن الوظيفة الظاهرة والوظيفة الخفية، ثم تنتقل بنا الصورة حتى نفاجا - مثل طالب الوظيفة - أن قاطع الطريق الذى استولى، وبالسلاح، على كل ما يملكه هذا المسكين (خمسون جنيها سنة 2005) هو هو رجل الأعمال الموصى له بالتزكية

نتذكر أن ما بين كتابة ذلك الصدى وهذا الخلم ما يقرب من عشر سنوات. وبعد مضى ثلاث سنوات أخرى، ولو أن شيخنا كان على دراية بكل تفاصيل ما يجرى، ومعدلات تضخم الفساد، لما بدت للراوى، ولا لنا أية مفاجأة.

تعقيب الآن 2007/3/26

ألا يحق لى أن أمل فى دراسة لاحقة أشمل لهذين النصين
ألا يحق لى أن أصر على أهتمامى بالدورية النقدية لشيخنا الذى لم يرحل.

والدعوة عامة.

- حتى تاريخ نشر هذا النقد الباكر 2-9-2005.

الجمعة 28-03-2008

210- حوار بريدي الجمعة

مقدمة:

آسف أن يبدو الحوار مرة أخرى - ربما ليست أخيرة - عائلياً أغلبه، ولكن.. والله العظيم هو ليس كذلك..، ماذا أفعل؟؟!!

د. محمد يحيى الرخاوي: رد على الإبداع الخالق والإبداع التواصلي

أولاً: أحفظ تمام التحفظ على الاستشهاد وضرب الأمثلة بأعمال إبداعية بوصفها ممثلة لكل من (أعنى أقرب ما يمكن أن يسمى) الإبداع الخالق والإبداع التواصلي.

1- هذه أمثلة مريكة أكثر منها موضحة، فهي تتعلق بذائقة معينة هي ذائقة الكاتب/المصنف نفسه، في لحظات معينة عاشها الكاتب/المصنف نفسه، بانطباعات المصنف نفسه، بينما ما رآه الكاتب/المصنف من رؤى دفعته لهذا التصنيف، أو ما مارسه من تحليلات أو قراءات تدعم التصنيف، أياً من هذا لم يطلع عليه القارئ.

د. يحيى:

أوافقك تماماً، وأرفض هذا التصنيف بالذات أن يؤخذ على أنه "إساءة.. أو" لكن يبدو أنني اضطررت إليه إذ كان بمثابة محاولة تسهيل وتقريب لمن يستطع أن يقبل الفكرة من حيث المبدأ، ثم إن لذائقتي الحق أن تحاول وتخطئ دون حسم، ولمن يصله الفرق أن يفعل مثلي أو لا يفعل، وأرجع لأقول: أنا ضد التصنيف لأن التداخل وارد، ومطلوب، ومفيد، وواقعي.

د. محمد يحيى الرخاوي:

2- يمكن لأي قارئ (أنا مثلاً) أن يتفق مع رؤية الكاتب لأنواع عمليات الإبداع وتصنيفاتها وربما مستوياتها أيضاً، وأن يتعلم منها أيضاً. ويمكن لهذا القارئ -أيضاً- أن يطبق اتفاهه وما تعلمه على أعمال أو ممارسات في ذاكرته (ذاكرة القارئ) وحسب انطباعاته، ويظل في هذا محققاً لأغراض الكاتب المجردة. ولكن، ومع كل ذلك يظل من حق هذا القارئ أن يختلف

مع الكاتب/المصنف في تصنيفه لأعمال إبداعية بعينها ينتقيها، خاصة وأن الكاتب لم يقدم مبرراته "المنهجية" للتصنيف. هنا تكمن مشكلات منهجية جسيمة، كما تكمن أيضاً مخاطرة تضييع المستوى الأول من الاتفاق أو التضحية به لحساب ما هو هامشي.

د. يحيى:

يا أخي، والله العظيم لم أكن أقصد، ولن أضيف شيئاً على ما ذكرته سالفاً.

د. محمد يحيى الرخاوي:

3- كما أحرص على الإصرار على عدم إخضاع الأعمال الفنية خاصة، والموسيقية على وجه أخص لهذا التصنيف، فالذائقة والانطباعات الجمالية ليست شيئاً ثانوياً في أي عمل فني. حتى ولو أظهر النقد المتخصص عوامل تصنيف ترتبط بأغراض معينة؛ إلا أنه يظل من حق بعض المتلقين أن يختلفوا مع بعض آخر لأسباب شخصية/جمالية خاصة. الغرض المعين هنا هو إبراز وظائف نفسية/إبداعية ترتبط بغرائز فرد وعملياته النفسية كما تحدث في عملية الإبداع في حالة الإبداع، لا بالحكم النقدي المنتظر على ناتج هذه العمليات من أعمال إبداعية. ماهذه العمليات النفسية وما المستوى العمل أو تصنيفه خالقياً أو تواصلياً (تصنيفاً قد يكون مشتركاً أو غير مشترك بين المتلقين، والاختلاف من حقهم جميعاً)؟ ربما هناك من الإبداع الخالقي ما لا يرقى أصلاً لينشر كعمل فني يتحمل مسؤوليته ومسؤولية تكلفته ناشر، ومع ذلك يظل خالقياً أو تواصلياً بالنسبة لصاحبه، ولسيرته، وللحظة، ولسياقه، ولفرص اطلاعه وثقافته.. إلخ.

د. يحيى:

حاضر، حاضر،

فقط دعني أبدي لك أنني لاحظت أنك تركز على "جماليات الإبداع" أكثر من مسألة ثورة الإبداع الخلاقة في كل من المنشي والمتلقي، وأنت قادر على أن تعرف دلالة تركيزك هذا

د. محمد يحيى الرخاوي:

4- افتقدت الإشارة الصريحة لكون هذه الأوصاف للإبداع وتصنيفاته هي أوصاف لحالات وليست أوصافاً لأشخاص ولا -ربما- لنواتج إبداعية؟ لقد افتقدت الإشارة الصريحة (ولو مختصرة) لهذه النظرة، حتى ولو لم يكن الموضوع يتطرق لحالات العادية والجنون بالإضافة للإبداع.

د. يحيى:

من حقه أن تفتقد ما تفتقد، ولست ملزماً باستطرادات لم تردني، في موضوع آخر يحتاج أن يقدم مستقلاً بكل تفاصيله وأشكرك على أنك انتبهت إلى أنه لا علاقة بين هذا التصنيف وبين حالات الوجود (العادية والجنون، والإبداع)

د. محمد يحيى الرخاوي:

بالنسبة لي هذه فكرة ذات أهمية منهجية بائنة، ولكنني أجد حضورها أو صداها ضعيفاً في سياق هذا النشر المتلاحق (حتى مع تضمن المقال لإشارات سريعة تفرق بين العملية والنتائج): إن حالات الإبداع المختلفة - كما عرضتموها في مواقعها الأصلية - في كتابك عن الجدلية، وربما أيضاً حالات العادية والجنون إنما هي "حالات" أكثر منها تكوينات ثابتة، أو أوصافاً لشخصيات أو حتى أوصافاً لأعمال أو نواتج إبداعية مما يضيف إلى تحفظي الشديد على الاستشهاد بأعمال إبداعية أو التمثيل بها. لقد أعجبتني هذه الفكرة (فكرة الحالات) جداً، وبراحتها، وتشجيعها، ومعناها بأكثر من أن تحتفي في ثنايا ما يُنشر الآن مما هو مرتبط بها ومؤسس عليها. فلماذا لا يتم التركيز على "مخربتها"؟ ولو في يومية لاحقة.

د. يحيى:

حاضر، أدد مع يا محمد أن تأتي فرصة أن أعرش هذه الفكرة بالذات بشكل أبسط لقارئ اليومية الذي أشعر أنه ليس ملزماً أن أردد للأصل أن يرجع للأصل.

د. محمد يحيى الرخاوي:

ثانياً: أعتقد أن أرقى إبداع خالقي/فائق لا بد أن يخضع نفسه لكثير (إن لم نقل أغلب) محكات الإبداع التواصلي/البديل. إن عظمة أي مثال ضربتموه من أمثلة المبدعين/الفائقين وإبداعاتهم/الخلاقية اضطرت أن تكون تواصلية لكي تسمى إبداعية. لا يمكن لإبداع أو لمبدع أن يتخلى عن تواصليته (حتى بالمعنى الجنسي الذي تتناولونه) ثم يطالب بالاعتراف به مغتبراً، لا مجنوناً. ما يقال عن أينشتاين نفسه، وما يحسب له هو أنه "صاغها"، ويشار كثيراً إلى أنه لم يكن أول من "رآها". كذلك قل ما تريد عن الجماليات التواصلية وإتقان نوات وتوزيعات وتزامنات وهارمونييات السيمفونية الخامسة، والأمر نفسه ينطبق على الشكل الفني واللغة الجميلة المبهرة ليلالي ألف ليلة، أو لغة النفرى، أو دقة وكفاءة معادلات الفيزياء تحت الذرية الحديثة.

د. يحيى:

يبدو يا محمد أنك فهمت الفروق بين النوعين أكثر منى، لذلك سأتركك براحتك تفعل بها وبي ما تشاء، ولكن دعني أكرر لك ما سبق أن سمعته منى غالباً، سأحكي لك من جديد يا محمد ما سمعته من محمد عبد الوهاب في إذاعة الشرق الأوسط يوماً بالصدفة، وأنا أحجل من حكيه لأنني حكيت له لك مرات كثيرة في مناسبات كثيرة، ولكن دع الباقي يشاركوننا، كانت المذبة تسأله سؤالاً سخيفاً (كالعادة) هل كنت "تبدع" بشكل خاص لكوكب الشرق أكثر من غيرها؟ فأجاب إجابة لا أذكر نصها، أنه لا يوجد شيء اسمه إبداع بشكل خاص وأنه حين يشكل لنا لا يقصد الإبداع لهذا أو ذاك، ثم أضاف ما وصلني هكذا، ربما ليس

بنص ألفاظة: "إن المسألة تبدأ في تشكيل هوامش وهوامش تسمى اللحن، وتظل الهوامش تضطرد وتتنوع حتى تأتي جملة موسيقيّة أو أكثر تكون هي الإبداع، أو لا تأتي، فبالله عليك كيف أرد على سؤالك هذا (للمذبة!)؟"

أظن يا محمد أن صدق محمد عبد الوهاب الذى ما أحببته هكذا إلا بعد أن مات، بإجابته البسيطة الناعمة هذه، يمكن أن يشير إلى احتمال أن ما أسماه "هوامش" هي شديدة الجمال أيضا وهي الأقرب إلى الإبداع التواصلي، أما تلك الجملة (أو الجمل) التي ينتظر حضورها مقتحمة تفرض نفسها أصيلة ليس كمثلها شيء، فهي الأقرب إلى الإبداع الخالقى، (لست متأكدا!)

د. محمد يحيى الرخاوى:

ثالثاً: دعنى، في سياق هذه الفرصة "النقدية" التي سنحت، أضيف شيئاً آخر يتعلق بما أريد كتابته منذ يومية "علم هذا؟ أم ماذا؟" ولا يتعلق بهذا المقال تحديداً: إن حضور مخاطب محترم وربما متحدى (أو حتى مهذّب) بمنهجه وعلمه في وعى يحيى الرخاوى وهو يكتب؛ هذا الحضور يجعل من الناتج شيئاً أليق ألف مرة بيحيى الرخاوى وحجمه من حضور مخاطب تابع أو غائب أو صغير أو مستصغر، أو غياب المخاطب أصلاً. تعرفون جيداً علاقتي الأقوى (من بين أغلب أعمالكم) بما نشرتم في مجلة "فصول" مما كان أغلبه المادة الأساسية لكتابكم الأخير "حركية الوجود وتجليات الإبداع". أظن أن عاملاً رئيساً، إن لم يكن "العامل الرئيس" في هذا المستوى من الكتابة الذي أحببت هو حضور هذا المثقف المتحفز في وعيكم أثناء الكتابة، ربما مثله أثناءها أسرة تحرير فصول وكتّابها ومن ثم قراؤها المتوقعون، إنما في كل الأحوال جعلكم هذا المثقف (أو ذلك التحف المنهجي المتوقع) تكتبون بما يكشف عن "العملية/المنهج" التي كتبتم بها، ودافعتم بها، وشرحتم بها رؤيتكم، أكثر مما تعجلتم في طرح مضمون الرؤية أو اكتفيتم به. أعتقد أنه كان في صياغتكم، بعد وأثناء رؤيتكم، جهداً تواصلياً/بديلاً مكملاً مهماً.

أرجو المعذرة إن كنت قد زوّدتها. عذرى أن فكرة "وظيفة العدوان هي الإغارة على الجمود" مع كونها أيضاً حالة تتناوب مع الحالات الأخرى، وربما تتكامل معها على مستوى الشخص ومستوى العمل الإبداعى الناتج، بدت لي فكرة متكاملة، وتكاملها مهم ومطلوب.

د. يحيى:

لا أبدأ، خذ راحتك (على الأقل مقابل العشاء الذي دعوتني إليه في ذهب من أسبوع، إطعم الفم يستحي القلم) أنا معك. والله العظيم معك، وأنا فخور بما اضطرتّ إليه آنذاك، لإرضاء هذه الصفوة حتى تسمح لي أن أنشر ما نشرت عندهم، لكن ماذا كانت نتيجة ذلك؟ أنا استفدت أنني عرفت أنني أستطيع أن أتكلّم لغتهم، وأن ألتزم بشروطهم، ثم ماذا؟ هذا الكتاب الذي صدر عن المجلس الأعلى للثقافة شخصياً لم يقرأه مبدع ولم

يعلق عليه ناقد (في حدود علمي) ولم يصف إلى الجدل حول حركية الابداع أو منهجه أية إضافة (بلغتني)، وفي نفس الوقت لم يبلغني أنه قد استفاد منه (أو علم به)، أي طبيب (غريب عنا) في ممارسته مهنتي (اللهم إلا بعض تلايذي من أشك في تبعيتهم طبعا) لا تقل لي إنني أكتب للتاريخ، فأنا اكتب لربنا.

أما وقد بلغت الخامسة والسبعين، والأمر كذلك، فعلى أن أقول ما عندي وانتم (ليس انت) عليك ما قبل ذلك وما بعد ذلك إذا شئتم وكان يستأهل.

د. محمد يحيى الرخاوي: النظريات النفسية الإنجليزية (رد العدوان)

لـى طرقة من طرقات أيام المراهقة (أى المراهقة الفكرية في الغالب، وبألها من أيام، وبألها من طرقات)، تعيدنا إليهما \ "الإنسان والتطور" (أى الطرقات والمراهقة كليهما) وإحيائها المنفرد المعاصر (أى هذه اليوميات) تقول الطرقة: \ "إن كل المنطوقات (أقصد تلك التي ينطقها أى شخص طبيعي، لا يعتمد الكذب) صادقة، إلا الجمل المنفية، حيث هي كاذبة بقدر ما تنفى جملاً أخرى". يعنى حوالى كل الجمل التي ينطقها الناس، أو يكتبونها صادقة. أو بعبارة أخرى: كل الكلام صادق ما عدا الكلام الذي ينفى غيره (وهو غير الكلام الذي يتعارض مع غيره). بالذمة: أليست طرقة؟

تصور حضرتك، قال لى أحد المتخصصين ذات مرة (صديقى طارق النعمان: وحشني، أصله مسافر، ودائماً يرسل لك سلاماته بشكل أصدق أنه يعنيه)، في فعدة تجلى، قال لى إن لهذه الطرقة صورة علمية رصينة في اللسانيات البراهماتية . قال لى إنهم يقولون إنه \ "كل الجمل صادقة في عالم ممكن" (يمكن كان يقصد في \ "عالم الممكن" وسمعتها أنا خطأ). كل ما ينطق به بشر لا يعتمد الكذب صادق. يعنى إيه الكلام ده؟

حضرتنى هذه الطرقة وأنا أقرأ كل هذه النظريات التي تجتمع وتلتقى لتشرح كل منها الإنسان وصحته مرضه وعلاجه دون أن تشير كل منها إلى اجتماعها وتلاقيها، بل العادة أن تشير كل نظرية إلى قصور الأخرى، ذلك القصور الذي (قال إيه!!) هو ما يبرر صياغتها هي. وذلك دون أن يحاول أحد أن يضع صيغة تقول \ "إنها كلها صادقة، وحتى لو تعارضت فهي تتعارض دون أن تتنافى بالضرورة؛ فالتعارض غير النفي"، ثم يحاول أن يفهم - ويفهمنا - كيف كان ذلك.

إذن فليس يجعل من إحدى تفصيلات أى منها كاذبة إلا أن تكون التفصيطة مبنية على نفي تفصيطة (أو كلية) في نظرية أخرى. ياااه!!!؟

د. يحيى:

تصور يا محمد أن هذا هو ما بلغني من آخرين وأخريات، من حيث المبدأ، ولو لاحظت أنت في بداية تقديم هذه النشرة أنني

أشرت إلى هذا الموقف التكاملي ربما هو الذي يساعدنا على اختراق اختلافاتنا كلها، وليس فقط في المدارس النفسية، بل والفلسفية، والدينية، ربما، نخرقها. تكاملاً، لا تنافساً، أو فخراً وهجاءً، يارب يا شيخ.

د. محمد يحيى الرخاوي: النظريات النفسية الانجليزية (رد العدوان)

يعني كل النظريات دي صح؟! صح تماماً؟! كلها؟! طيب ازاي؟!؟

أسهل حل أن يقال لك إنها جميعاً متكامل، ولكن كلاً منها يركز على زاوية من زوايا طبيعة الإنسان، وصحته، ومرضه، وعلاجه. وتتعدد الزوايا والمناظر فتتعدد النظريات. حل سليم طبعاً، وصحيح صادق (أليست كل الجمل صادقة!!؟)، ولكنه لا يكشف ما وراء هذه الجملة المطرقة (\ "كل المنطوقات صادقة\ ") مما أريد قوله أو إبرازه:

د. يحيى:

طبعاً تعرف أنني أخشى الميوعة والسماح الرخو، من يضمن لنا عدم الخلط بين حركية التكامل وزخم الجدل وبين التوفيق أو حتى التلفيق؟

د. محمد يحيى الرخاوي: النظريات النفسية الانجليزية (رد العدوان)

إذا كانت كل المنطوقات صادقة (حكاية في عالم ممكن، أو في عالم الممكن، ليست -بالنسبة لي- إلا تحصيل حاصل) فما لزوم النطق أصلاً؟! لست ضد النطق بالضرورة (كما يسميه النفرى: أصمت لي الصامت منك ينطق الناطق ضرورة)، ولكن عندما تتعدد النظريات بهذا الشكل، وتكون جميعها صادقة؛ فلا بد لمستوى الضرورة أن يتخطاها، أن يتجاوزها، أن يستوعبها، جميعاً، فهل حاولت إحدى النظريات أن تستوعب صدق جميع النظريات الأخرى؟ قلبي مع الطبيب أو المعالج الذي يقرأ كل هذا ولا يعرف كيف يختار (إن كان يريد أن يختار) أو يخترق أو يكامل مستوعباً (إن كان يصبر على الأمانة). هل يتم الالتفات لهذا عندما يذُرس الأكبر (الذي يعرف كل هذه النظريات) للأصغر (الذي ينتظر من الأكبر أن يدلّه على \ "ال\ " طريق)؟ هل تتم مناقشة مثل هذا حينما تعرض كل هذه النظريات، بعيداً عن الحل السهل التلفيقي إياه؟ الحل الذي لا أتصوره سهلاً، وإن كان الأكثر بدهاءة، هو أن المنطوقات (النظريات) لا تعلقو (أبدأً على ما تنظر عنه، عما تنطق عنه \ "الإنسان (MAN) "،

د. يحيى:

حلوة هذه: "النظرية لا تعلقو أبداً على ما تُنظر عنه"، طبعاً، الله نور!

د. محمد يحيى الرخاوي: النظريات النفسية الانجليزية (رد العدوان)

هذا يعني -ضمناً- أنها لم تدرك إلا أقل القليل عنه، وأنه (أى الإنسان، أى المريض في مجال اهتمامكم هذا) هو الأول بأن يكون مصدر التعلم، حتى ولو لم يوضع حاله في منطوق صادق (أى غير ضروري).

د. يحيى:

أعمل ماذا؟ دلّوني، ربنا يخليكم: أفتحه ولا أسدّه !!؟

د. محمد يحيى الرخاوي: النظريات النفسية الانجليزية (رد العدوان)

هل تمّ طريق لإبراز هذا الإشكال ونحن ندرس؟ هل ثمة وظيفة لهذا الإبراز لغيري ممن لا يهتم باللغة بشكل خاص؟ لا أعرف. ولكنني أعرف أن الأمين لا بد أن يتساءل عن \معنى النظرية ولزومها\ وهو يقرأ كل هذه الاستبصارات الرائعة. أعلم أيضاً أن منهجكم (الذي حاولتم صياغته في يومية \علم هذا؟ أم ماذا؟\ وفي رأيي لم تنجحوا تماماً) يعلى شأن الممارسة على شأن التنظير، فلماذا كل هذه الكتابة؟ لعلها -تحديداً، وبامتياز-: إجهاض لغرور الكتابة، أى التنظير. ولكنني لا أوافق تماماً، فما زالت هناك كتابة ضرورية ممكنة، ولازمة.

د. يحيى:

هذا هو بعض ما حيرني جداً، ولعل هذا هو بعض ما قصده صديقك كريم شوقي وهو يقول لي "لا تكتب ما ينبغي أن ندركه من الممارسة"، ولعل هذا كذلك هو ما حاولت التحذير منه وأنا أكتب عن لغة الجنس، (يومية لغة الجنس، والجنس كلغة) وبرغم التحذير الصريح جداً فإنني لم أكتب بهذه الرموز الألفاظ إلا اضطراراً، ومازلت أن على من يريد أن يدرك ما أعني، أن ينسى ما كتبت تصنيفاً، برغم ذلك فقد وصلني كلام - بالألفاظ، وهل يوجد غيرها - أنني هكذا أجعل الجنس مغزياً.. هل عندهم حق؟ ماذا أفعل حتى أقنعهم؟ بالممارسة؟ أنا أمزح!! أم ماذا؟

###

د. كريم شوقي: الابداع التواصلي والابداع الخالقي 25-3-

2008

الكلام صعب اوي يا دكتور يحيى... حضرتك بتكتب كلام يتحس ويتعاش و لكن مينفعش يتحط على الورق... أكنك بتوصف حركة السمك في البحر.. اعتقد ان الأسهل إن الناس تشوفها بدل ما تقرا عنها... كل سطر في المقال عاوز صفحة تشرحه.. جدول الفرق بين الابداع الفائق والبيديل اكثر من رائع وهارجله كثير بعد كدا... اكرر ثاني ان المعلومات دي تتحس وتتعاش واحيانا قراءتها والكلام فيها يعطل زي ما حضرتك علمتنا...لانه مينفعش آخذ فيلم من على الشاشة بمجردته والوانه وحيويته واحطه على ورق بشكل جامد

د. يحيى:

يعنى يا كريم، وربنا "ينتعلك" فى الامتحان بالسلامة، ماذا أفعل؟ أكتب أم أقول من "ذاق عرف"؟

أحترم ما وصلك وأحيلك إلى "محمد ابني" عليه!! (واللى جى أكثر)

د. كريم شوقى:

باكرر انه بيعجبني في مدرستك قدرتك علي انك تعترف وتحترم وتشتغل في اللي موجود بجد, مش اللي المفروض يحصل حسب العرف والتقاليد والأديان..حضرتك بتحترم عجز الإنسان وضعفه وغباوته ودا ممتاز...التسامي والاعلاء والكلام دا لوحده مش حيمنع نشوب حرب عالمية ثالثة... بالمناسبة: يا تري حضرتك تصنف إبداعك ازاى...خالقي ولا تواصلى ولا مزيج بين هذا وذاك؟؟؟؟؟؟؟؟ شكرا لك

د. يحيى:

يا كريم الله يخليك، الإبداع لا يصنف لا إلى خالقي ولا إلى تواصلى، يبدو أننى أخطأت خطأ جسيماً، الآن اتضح لى اعتراض محمد وآخرين أكثر فأكثر، المسألة أنه كل إبداع فيه هذا وذاك بدرجات متفاوتة ومتداخلة، ثم هل أنت تعرف شيئاً كافياً عن إبداعى حتى تسألنى هذا السؤال؟

تصور يا كريم أننى لا أعتبر إنتاجى إبداعاً إلا إذا فاجأنى، هو الذى يفاجئنى رغماً عني، فكيف مع ذلك أجرو أن أسميه حتى إبداعاً ناهيك عن تصنيفه تواصلى أو خالقي!! يا شيخ صنّفه أنت كما تشاء أو أقول لك، لا داعى لأى من ذلك اللى يخليك حتى لاتعمل فى مثلما عملتُ أنا فى غيرى، يارب يساعونى .

###

د. أسامة عرفة: الابداع التواصلى والابداع الخالقي

الفكرة مدهشة: الابداع النابع من العدوان و الابداع النابع من الجنس ما وصلني منها ليس العدوان مقابل الجنس بل تأجج الحركة مقابل الروقان و التريحة ..عودة للمقالة الأولى :

في تعليقي عن المقالة الأولى أحثّ إلى محور البقاء في علاقته بالعدوان (البقاء منفرداً في العدوان ومعية البقاء في الجنس و نوعية البقاء في الابداع) أريد اليوم أن أضيف ملمحاً رابعاً في اتجاه نكوصي أقصد العدوان على الذات أي الانتحار و كأنى أرى تجليات العدوان في هذه الرباعية : الانتحار- القتل- الجنس - الابداع، فأجد نفسي أمام طيف قطبيه الانتحار و الابداع وأتساءل ما الذى يجمي المبدع في حركته بين هذين القطبين ما الذى يجميه من الانتحار ..ربما الابداع التواصلى صمام أمان أو دفاع يغنى عن تأجج حركة المبدع ألا يروح فى سكة "اللى يروح ما يرجعش" ربنا يستر. لك كل الشكر يا مولانا

د. يحيى:

ليس هكذا تماما يا أسامة، مع احترامي لإنارتك، ويمكن أن تراجع نقد محمد للفكرة الأساسية، أو لما أوحى به ظاهر التصنيف، وبعض ردى عليه .

التواصل يا أسامة ليس "روقانا ولا تريحه" لعل الأمثلة التقريبية التي عرضتها في هذا المقال خدعتك، وهذا ما نبهني محمد إليه، فتراجعت.

أما رباعية تجليات الابداع فليس عندي اعتراض عليها إلا فيما يتعلق بالجنس، من حيث المبدأ أفكارك تدفعنا أكثر إلى النظر في كيفية استيعاب العدوان مادام الاحتمالان الآخران هما القتل والانتحار

أما أن يكون الجنس هو أحد تجليات العدوان فكلا وألف مرة كلا، إلا إن كنت تقصد جنساً تدميراً شاذاً،

الجنس له دوره الابداعي المستقل الرائع، وهو حين يتكامل مع العدوان الابداعي، يصبحان بعثاً آخر جداً يا أخی.

د. أسامة عرفة: العدوان والإبداع

هذا العمل من باب القول الثقيل الذي سيحتاج أن يقرأ مرارا ما بين العدوان و الجنس : أليست غريزة الجنس هي تطور أرقى يستوعب غريزة العدوان في ولاف أعلى

د. يحيى:

لا..لا... عندك ! لا طبعاً،

قد تكون الغريزة الجنسية على مسار تطور الأحياء لاحقة للعدوان، لكنها لاتستوعبه هكذا بهذه المباشرة، كيف يا أخی تكون كذلك؟

د. أسامة عرفة: العدوان والإبداع

هي (غريزة الجنس) كالعدوان حركة في اتجاه الآخر وتحتوي اختراق والتهام وتحقق غائبة العدوان في البقاء، بل في الامتداد، وهي تهذب آليته من القتل إلى التكاثر فيصبح الجنس هو ولاف أعلى للعدوان وأكثر ابداعاً إذ يحدد معية البقاء في مقابل فرديته ويأتي الإبداع فيه ايضاً في اتجاه غائبة العدوان ولكن في ولاف أرقى لا يحدد فقط البقاء بل نوعية البقاء، عذراً على التعجل في المداخلة

د. يحيى:

الآن أتصالح معك قليلاً، حين تقول يأتي الإبداع في اتجاه غائبة العدوان ..الخ، لكن أرجو أن تراجع الفقرة الأولى، وربما المقالات الأخرى (النشرات المتتالية) وأيضا الحوارات اليوم، وسوف نلتقى بأن يكون بيننا ما هو أفضل مما بدأ كل منا به .

ياه يا أسامة، الحكاية اتسعت، الظاهر.

###

د. أميمة رفعت: العدوان والإبداع

هذا الفرض يثير الفكر ويجعله كالأمواج المتتالية حيناً، والمتلاطمة أحياناً أخرى، وأنا أحب (بشدة) أن أجد فكري في هذه الحالة. والجميل في الأمر أن ينتج عن هذا التلاطم تساؤلات لا تكاد تولد حتى تجد إجابة لها في السطر التالي أو في الفكرة التالية، لينتج عنها هي الأخرى تساؤلات جديدة... أكاد لا أستطيع الانتظار حتى يوم الأحد. شكراً لك يا سيدى.

د. يحيى:

أرجو يا أميمة أن تكوني قد نتبعت هذه المسألة ليس فقط يوم الأحد، ولكن أيضاً فيما أثارت من حوارات أنا شخصياً استفدت منها، وأشكر الجميع عليها، أما حكاية "يثير الفكر والأمواج المتلاطمة" فلعل هذا ما أعنيه بتحريك الوعي وهو الهدف من هذه النشرة، وهو كان الهدف من مجلة (الإنسان والتطور) ويبدو أنه الهدف من الإبداع عموماً، ثم لعله مبرر وجودى شخصياً،

على الله!

د. أميمة رفعت: العدوان والإبداع

أولاً: العدوان والإبداع:

هل الطاقة المصاحبة لغريزة ماء لها سمات هذه الغريزة بحيث في النهاية تعدد الطاقات وتختلف باختلاف الغرائز، أم ان الطاقة ما هي إلا الوقود اللازم للغريزة لدفعها للأداء بكفاءة فقط لا غير؟

يحيى:

بصراحة أنا لم أعد أتعامل مع الغرائز باعتبارها طاقة تدفع شيئاً غيرها، ولهذا أتخفظ على استعمال كلمة "الوقود" هنا، وأظن أنني أظهرت ذلك في إحدى النشرات السابقة أو الحوارات السابقة، ربما في ذلك ردى على محمد وهو ينبهنى إلى حكاية انفصال الطاقة عن غايتها.. الخ

د. أميمة رفعت: العدوان والإبداع

إذا كانت هذه الطاقة بإمكانها الانتقال من غريزة لأخرى أو من شعور لآخر فهل تتغير طبيعتها (كما أو كيفاً) حسب الغريزة الجديدة المصاحبة لها؟ وإذا كان لها طبيعة خاصة فهل تغير أو تعدل من طبيعة الغريزة الأخرى التي تنتقل إليها؟

هل إنتقال الغريزة من البدائية إلى الإبداع إلى الولاة الأعلى يحتاج إلى تزايد في الطاقة أكثر فاكثراً؟

د. يحيى:

مرة أخرى أذكرك برأي أنها برامج منطبعة قابلة للتوليف والتطور إلى أعلى فأعلى، وليست طاقة دافعة أو وقوداً فقط، وكل برنامج يحتاج إلى اطلاق ومُطلق Releaser وليس بالضرورة طاقة منفصلة تدفع غيرها، لكنني احيلك أيضا إلى ما يؤيد كلامك، أعني توجه كلامك، برغم أنني تجاوزته بعد أن استشهدت به، وهو بعض أعمال لوزنز، وتبنيجن عن "الطاقة الخاصة الفعالة" Acton Specific Energy الفعالة، و"إزاحة النشاط" Displacement of Activity وقد تناولته بإيجاز في أصل الأطروحة (الانسان والتطور ابريل سنة 1980) على ما أذكر.

د. أميمة رفعت: المواجهة المواكبة المسئولة

برغم من أنه يبدو غريبا أن نعتبر "حوار الصم أو الطرشان" التي ذكرها الدكتور يحيى الرخاوي في مقالته (العلاج النفسي- المواجهة ، المواكبة، المسئولية) وسيلة تواصل مع المريض في العلاج النفسي، إلا أنني أوافق تماما على كل كلمة جاءت في المقال. وموافقتي ليست نابغة فقط من اقتناع منطقي، بل أيضا من ممارسة عملية إكلينيكية:

" لدى مريضة (50سنة) تحضر جلسات العلاج الجمعي منذ ثلاثة أشهر، وينطبق عليها تماما صفة حوار الصم، فمهما كان السؤال أو الحديث المدار لا ترد إلا بقصة صغيرة تخصها، أو تخص بها أشخاص بعينهم و تستخدم كلمات بعينها في التعبير، وبنبرة صوت لا تتغير لتنتهي ببكاء قصير أشبه بالنهضة..."

شهران كاملان لم تخرج فيه المريضة عن هذا السيناريو و كأنها لا ترى أحدا و لا تسمع أحدا ولا تشعر بشيء آخر. و مع ذلك استمررت في "الحوار" معها بصبر، و قد هذا حذوي الآخرون. وذات يوم كانت تطرح مريضة أخرى مشكلة ما و إذا مريضتي الأولى ترد عليها، بل و تبدي رأيا أيضا. و يبدو أنها سعدت بالتغير الذي طرأ فظلت تردد هذا الرأي بجماسة غريبة عليها. ما زالت المريضة تذكر قصتها الأولى، و لكن بالتبادل مع قصتها الثانية، في إطار حوار الصم أيضا.

أعتبر ما حدث لها هو تغير كبير، فبعد أن كانت ثابتة متجمدة عند النقطة (أ) تحركت إلى النقطة (ب) وهي تتحرك الآن بين النقطتين. بل و خرجت قليلا خارج ذاتها لترى الآخر. لم يحدث هذا التغيير محتوى الحوار، بل مجرد وجود حوار. أحدثه الدفء الذي شعرت به خلال الجلسات، أحدثه الأمان الذي وصل إليها عبر قبول الآخرين لها. بل و أحدثه استمرار وجود حوار ما مع شخص ما و التعود عليه. ما زلت أحلم بتغير و تقدم آخر معها، والانتقال من مرحلة حوار الصم إلى حوار من نوع آخر ...

د. يحيى:

أعدك يا د. أميمة أن أعود لتناول هذا الموضوع بالذات قريبا حيث عندي حالة تكلمت بعد سنة إلا شهرا في مجموعة

علاجية قديمة (منذ أربع سنوات)، ثم ما هي معي الآن (2008) حيث دخلت مجموعة جديدة بعد مرور سنوات من الخبرة القديمة، وهو شاب بلغ العشرين الآن ويواصل حضور المجموعة منذ ستة أشهر، وهو لا يتكلم أثناء المجموعة ولا حرفاً واحداً وبالذات وأنا موجود، لكنه يتكلم خارج المجموعة مع زملائه وزملائي الأصغر، وحالته شديدة الدلالة والإيجابية أعتقد أنها تحتاج لشرح تطوراتها كتاباً بأكمله.

نقطة أخرى شديدة الأهمية لابد من الإشارة إليها:

"حوار الصم" يا د. أميمة لس مرادفاً أبداً للصمت

الصمت كلامٌ أعمق وأقوى من حوار كثير من حسنى السمع،
طلقى اللسان

حوار الصم هو كلام لا يؤدي وظيفة الكلام أما الصمت فهو
كلام دون كلام!!

أنا أقرأ الآن رواية "فوضى الخواص" لأحلام مستغانمي، وهي
رواية جيدة، لعلها تفوق ذاكرة الجسد، (لست متأكداً)

وقد عدت فيها أكثر من عشرين نوعاً من الصمت (الكلام
الرائع)

وقد أعود إلى كل ذلك في عمل نقدي مستقل.

###

أ. يوسف عزب: العدوان والإبداع

ما يصلني من هذا العلم وما يجعله مفهوماً عن أي كتاب
علمي، هو أنه يقوم بتناول الإنسان كاملاً وليس مجزأً، ولذلك
تكون اللغة نفسها مفهومة، والعلم هنا ليس أقرب إلى الفن
فقط بل إنه من سهولة لغته ووضوحها وارتباطها باللحم الحي
للبي آدميين تبدو وكأنها مقال اجتماعي

د. يحيى:

هذا طيب ومطمئن يا يوسف، لي الآن بالذات، وخاصة وأنا لا
ألقى إلا الاحتجاج على للصعوبة والغموض في كل ما أكتب، ترى
ما رأيهم؟

أ. يوسف عزب: حلم 41

"الصبر هو ما ينقصه": وصلني هنا ان الشقة هي المأوي وهي
البر بالنسبة للبحر هو في حيرة الي اي بر سيرسي عليه ولم يعد
البر او المأوي القديم يسعه وعليه الخروج منه لاي سبب ولم يجد
بعد مأوي جديد واحتمالات أن يحصل على مأوي جديد هي
باسعار لا يستطيع دفع ثمنها (الأثمان التي دفعها زميلاته) قد
يبدوا لامل في البر والمأوي القديم الذي جاء منه ولكنه اكتشف
انه لم يصبح قديماً كما كان يتوقع

د. مجيى:

لك ما قلت يا يوسف، لكننى مازلت عند رأيي، وما زال هذا الحلم بالنسبة لي فاتراً نسيباً،

شكراً، ودعنا نختلف لصالح النص.

أ. يوسف عزب: العدوان والإبداع

لدي تساؤل بسيط: هل إنكار الغريزة في الإنسان يعد إنكاراً لفكرة التطور كاملة؟، أم إن مدعي ذلك من العلماء يقرونها من حيث المبدأ ويقولون ذلك محاولة من الفكك من أسرها...؟

د. مجيى:

أظن أن تعبيرى في البداية كان: "ينكرونها أو يتنكرون لها" وكنت أشير إلى غريزة العدوان أكثر، فلا أحد يستطيع أو يجرؤ أن ينكر غريزة الجنس قد أعطيت كل هذه المساحة بشكل مباشر ثم بشكل غير مباشر في الزواج وغيره ثم في إعلانها تحت اسم التسامى، أكرر رأي أن إنكار الغرائز - من حيث المبدأ - يؤدي إلى مسار منحرف للطبيعة البشرية، والتسامى عنها يؤدي إلى مسار وديع متحضر، لكنه يوقف حركية استيعابها في كل أرقى بها فعلاً (يمكنك مراجعة كل ذلك في كل ذلك) .

أ. يوسف عزب: العدوان والإبداع

ذكرتم سيادتكم في وظائف العدوان ان العدوان يعتبر جزءاً متضمناً في كل الوسائل المسئولة عن الحياة بل وعن تطورها كذلك، وكيف أصبحت، مسلمة بديهية.

د. مجيى:

لا أظن أنني أعنى مسلمة بديهية تحديداً، وأرى أنني أحتاج مساحة كبيرة لتقديم تفاصيل ما أعنى، وأعدك أن أنتهز الفرصة المناسبة لشرح ذلك في حينه، لعل الأمور تتضح لي أكثر،

###

أ. رامى عادل: حوار بريد الجمعة

بالنسبة لكلامكم عن الخوف من تجاوز حدود النمو / الوجود الحاليه، وعلاقته بالإيمان التخليقي المتماذي وارتباطه باقتحام الكون للذات .. ليس من الخطر أن تتشابك الحيوزات هكذا، فنسبح بالسرمديات ونكتفي بالفعل الهامد دونما انتفاضات فكر كونييه .

د. مجيى:

بصراحة يا رامى أنا لست أدرى من أين أتيت بهذا الحدس الذى سوف أعود إليه تفصيلاً في كتابي عن الغرائز، وبالذات عن غريزة أهميتها الايقاعية التوازنية الممتدة،

أفسر بها مثل هذا النزوع إلى ما اسميته أنت "انتفاضات فكر كونية" أنا أخاف يا رامى حتى الآن من فتح هذا الملف في الوقت الحاضر، وأدعو الله تعالى أن يلهمنا اللغة المناسبة في الطريق إليه .

أ. رامى عادل: مدارس ومدارس

من خلال قراءتي العابره اليوم انت محسني انك اطلعتنا علي سر مهنة الطب النفسي. وانه مش من حقك لوحك تنشر الكلام ده وان الاطباء النفسيين هيتنرفزوا ان منهجهم اتكشف وانهم اتشردوا في الموقع بتاعك. وان سيرة الطب النفسي بقت علي كل لسان. وان الدكتوراه عايزينك حيا او... سلام يا عم.

د. مجيى:

يا رجل، ولا يهملك. شكرا

وبعد

انتهى الحوار قبل أن ينهى .

ويبدو أنه لا بد أن يكون له امتداد في أحد أيام الأسبوع القادم وليست بالضرورة غداً،

لست أدري !!

السبت 29-03-2008

211-فرسان العصور

"مسرحية قصيرة قديمة" 1980 (تصلح الآن)

بمناسبة انعقاد مؤتمر القمة العربية

دمشق 30/29 مارس 2008

(ترتفع ستارة خوف الناس من الشمس الوجلة)

[قد أعطى كل فريق للأخر ظهره .

وانشغل الفارس في أحد الجنين بملء الزمرك اللامع .

وانهمك الأخر في وضع حجارة بطارية

تُملاً تلقائياً]

(يُنْفَخ في الصور)

[يتقدم أحد الفرسان من الجيش الأول للخلف

يمسك بشماله

مقود فرس لُعبه

ويلوح بيمينه

بذراع الزمرك المخلوع:]

أنا فارس عصر الأزرار

الأقنعة الأزرار

قمرى أخذود ظلام من صلب منصهر بارد

ليلاى من الألياف الممطوطة

والزرع قمامة

حوتى يفتح فاه

ألقمه البشر، بقايا القمح، الكلمات

أنا فارسُ كل الأزماتُ

-2-

[يأتى دور الفارس من جيش الأعدادُ

فيكور كلماتٍ مصقولة

يطلقها ذاهلةً مذهولةً]

أنا سيد كل الأجواءُ

أرسم قدر الناس بمطواة

وأحول سير الأيام

بالطلقة والألغامُ

أحتجز امرأةً خرساء جنينا في الشهر التاسع

أجعلها تتكلم

أنتزع النصر من الطفل الأعزلُ

-3-

[يقفز من الجيش الآخر شخص يدعى المغوار الفهامه]

أنا فارس عصرى الحرُ

أفهمها وهى تمرُ

[يأخذه الزهو فينطلق يعيد]

أنا فارس عصرى الحر الثائرُ

أفهمها وهى تمر بسر الخاطرُ

أنظم بيتا مكسورا تسكنه الأشباح

أعشق بدني

أفترش امرأتى "ذاتي"

ألتهم اللذة أتقايأ

أبدأ شيقاً أبدا

أتصدى

أقهر غانية الخائنةُ

تضحك مني إهلاسا

فأضعف كأسي

أنا سيد نفسي

-4-

[يأتيه الرد من الرجل الرادار ربيب المدفع والخاتم]
 أنا فارس خطى الساخن
 وأعدوا . .
 القرش أمان الثورة
 والكذب غطاء العورة
 والمرأه حاملة الراية
 تغنج بشعارات الساعة
 فأشاركها

-5-

[يقفز من يلقيه قولا أمضى]
 أنا فارس ليلى المقدام
 ألعب في ساحة حلمي
 أتمنطق بالأيام
 أعرف نفسي أبحث أجدد
 أمتز على عجز أريكه
 أتداعى "حرا"
 ففروسية هذا العصر
 هي جذق ألعيب القصر

-6-

[يجر من غصص الرأس بعلم القرصان
 ليؤذن في الناس بقول فصل في خلق الفرسان]
 أنا فارس غدنا الثائر
 أتجاوز
 أكسبها دون قتال
 أعدو فرحا معصوب العينين
 نحو الهاوية المتساوي فيها كل الناس
 من يملك زرا أو يحمل مطواه
 من يكتب شعرا، يقتل طفلا، يهتك عرضا

أو يستغرق في الإغماء النشوانُ
فالكل يمارس دورة
في التعجيل بإنهاء المعركة العوره
قبل بدايتها
[تنسدل ستارة وعى الناس على أفق الرؤية]

(2008)

بيان ختامى:

من بعد الإجماع العادى،

غير العادى

قرر كل الفرسان بأن الشئ لزوم الشئ تمأدى

حتى بات الأمر كما لو كان الأمر كذلك.

ولذلك

فليبقَ الأمر كذلك.

الأـمـد 2008-03-30

212- الإـشـرافـة عـلى العـلاج النـفسـي

تـرويض المـخ البـدائـي فـي المـريـض وأهـله

مـقـدمـة:

جاءت أغلب الردود على تساؤلي حول طريقة عرض هذه الحالات تفضل عرض الحالة دون تقطيعها بالتعليق داخلها، بل وربما دون تعقيب نهائي (الأمر الذي لجأت إليه هذه المرة)

بناءً على ذلك: هذه هي الحالة، مع انتظار تعقيباتكم، واقتراحاتكم، فاحتمالات التحويل والتعديل والمراجعة قائم دائماً، حسب الطلب والفائدة!!

د. فتحي عبده: ... الحالة التي أنا عايز أتكلم فيها: هو ولد عنده 21 سنة كان دخل المستشفى، وقعد حوالي 6 أسابيع، وخرج، وهو بقاله معايا دلوقتي بقاله معايا سنتين وكان بييجي بانتظام، وهو في كلية "... (قمة) ، وكان عنده تعسر في الكلية

د. يحيى: وبعدين؟

د. فتحي عبده: ... هو اتعسر 3 سنين في الكلية، كان في سنة أولى ودلوقتي في سنة تانية هو ماشى كويس أوى بييجي من محافظة بعيدة شوية عن مصر، أبوه مصري ناجح مؤهل عالي، بيشتغل في بلد عربي، وأمّه مدرسة وقاعدة له دلوقتي تقريباً بقالها سنتين برضه، مش عابزة تروح شغلها تاني يعني هي مدرسة وقاعدة شوية جنبه، مش عارف ليه زى ما يكون هي مبسوطه كده.

د. يحيى: له كام أخ وكام أخت؟

د. فتحي عبده: هو الكبير، له أخت واحدة أصغر منه في كلية هنا.

د. يحيى: أبوه مسافر بقاله أد إيه

د. فتحي عبده: بقاله كتير، بقاله أكثر من 10 سنين وزى

ما تكون الأم عاملة اتفاق كده مع ابوه على حاجة بين الطرفين، كله راضى.

د. يحيى: مش فاهم، علاقتهم أخبارها إيه؟

د. فتحى عبده: هما بينكروا إن فيه أى مشاكل، بس أنا أعتقد إنهم بيستكروا وخلص، لما باضغط على أبوه فى المرات اللى شفته فيها يعنى مابيتكلمش كثير فى الحته دى، بيقول ماشية..، لأه ما فيش، الدنيا مافيهاش حاجة، والدنيا ماشية أهه، واهو الولد ماشى

د. يحيى: السؤال؟

د. فتحى عبده: حسيت من مدة مش كبيرة ومش قليلة إن العلاقة بين الولد وأمه فيها حاجة

د. يحيى: حاجة إيه؟

د. فتحى عبده: حاجة أوديبية، يعنى بين الأم والولد يعنى

د. يحيى: ليه بتسميها أوديبية كده خبط لزق، هوه إسم شائع وكويس وله دلالتة، بس خلى بالك إحنا اتكلمنا فى الموضوع ده كثير، وقلنا إن التطور والتاريخ بيقولوا لنا إن الحاجات دى موجودة قبل أوديب وقبل سوفوكل وقبل فرويد، وأنا كتبت فى الحكاية دى كثير، وقلتها ليكم، وقدمت عدة تفسيرات ونقد لتسمية العلاقات دى بالاسم ده تحديداً، فيه علاقة؟! ماشية..، نوصفها قبل ما نسميها على الأقل، يعنى هى ليست بالضرورة أوديبية، وبعدين إنت فاكر إنى قلت كام مرة إن أنا شفتها بتبدأ أكثر من ناحية الأم، مش زى ما فرويد ما قال، الأم هيا إالى بتنادى، بتطلب، لا شعوريا غالباً، وساعات تصل لدرجة الشعور، بشكل غامض.

د. فتحى عبده: تمام!! الحقيقة الحته دى هى اللى باسأل عنها

د. يحيى: إيه بقى! الحكاية بدأت من ناحية الأم برضه؟

د. فتحى عبده: آه من ناحية الأم، هى بادة من الأم، واضحه جداً

د. يحيى: إنت متأكد؟

د. فتحى عبده: آه، دى واضحه لدرجة إن الأم يعنى بتتكلم عليها والولد بيتكلم عليها بشكل واضح يعنى مابينكروش

د. يحيى: يعنى إيه، بيقولوا إيه؟

د. فتحى عبده: يعنى مثلاً هى تيجى تعمل ازاي...، أولاً هوا ما فيش علاقة جنسية بينها وبين جوزها

د. يحيى: نعم؟ إنت متأكد؟

د. فتحى عبده: التسوية اللى وصلت لها مع جوزها إن خلاص ما فيش حاجة، والظاهر إنها واخده الولد بديل

- د. يحيى: هي عندها دلوقتي كم سنة؟ والعلاقة منقطعة من زمان؟ من إمتي؟
- د. فتحي عبده: هي دلوقتي عندها 43 سنة
- د. يحيى: كام؟
- د. فتحي عبده: 43
- د. يحيى: وجوزها
- د. فتحي عبده: جوزها عنده 51 - 52
- د. يحيى: وانت؟
- د. فتحي عبده: أنا عندي 40 سنة
- د. يحيى: ومتزوج وتعمل مش كده!! يلا كفل..
- د. فتحي عبده: أنا كنت منتبه لده من الأول
- د. يحيى: أنا آسف، العلاقة منقطعة بقالها قد إيه؟ مش الراجل مسافر ولأ كانت معاه
- د. فتحي عبده: لأ مسافر، هي بتروح له كده في الأعياد، بتاع ...
- د. يحيى: طيب ماشى، كام مرة في السنة؟
- د. فتحي عبده: الحقيقة ما عنديش معلومات كافية يعني
- د. يحيى: سنتين يا راجل وما عندكش معلومات كافية!!؟
- د. فتحي عبده: فيه صعوبة إنها تتكلم
- د. يحيى: عندك حق، بس خلى بالك المسألة مش مسألة جنس بالمعنى المباشر المنفصل، الجنس ممكن يكون تمام التمام، وما فيش علاقة، والجوع على آخره.
- د. فتحي عبده: لأ مش جنس ، العلاقة عموماً.
- د. يحيى: بقول لك إيه، هي مش جنس لكن جنس، بس ده بعيدين. إنت بتشوف الأم بانتظام؟
- د. فتحي عبده: أنا طلبت من فترة من حوالى 7 شهور إن أنا أشوف الأم، بقيت يعني باشوفها بانتظام هي والولد، يعني باقسّم الجلسة كده نصين، نص ليها ونص له، ده في محاولة إنى أنا أخلى الأم يبقى واصلها اهتمام، لأن أنا شايف إن عندها احتياج جامد قوى، وزى ما تكون هي قفلت على الاحتياجات دى، وعوضتها بالعلاقة مع إبنها...ينام في حضنها على طول، هي تيجي تنام جنبه من غير ما يطلب، يعني كده.
- د. يحيى: يعني إيه؟

د. فتحى عبده: الواد كل ما بيجى يفلص يطلع منها ويعمل علاقة مع زميلة أو حاجة، أنا بازق الولد بشكل غير مباشر فى الناحية دى، مش قصدى... كل ماينجح مثلاً إنه هبة حايعمل صحوية مع واحده الأم تفضل تقفل تقفل تقفل

د. يحيى: مش ده طبيعى فى بلدنا، ولا إيه؟

د. فتحى عبده: مش قوى كده، هما مش متزمتين، كل اللى بيعمله الواد حاجات خفيفة زى مثلاً تبادل نمر موبايلات، ممكن نتقابل، حاجات زى كده

د. يحيى: هوه بيتقابل فعلاً؟ ولا كلام؟ ولا مشاريع فى خياله؟

د. فتحى عبده: لأ بيتكلم وكده، وكل حاجة، وبخارج، بس الأم بتبدأ تقفل عليه بشكل واضح وباستمرار، وهتُب يلاقى نفسه بعد كده إن الدنيا فشلت

د. يحيى: لخد دلوقتى ما شوفت العلاقة الأوديوية أوى، يعنى غالباً أى أم فى مصر بتقفل على ابنها خصوصاً لما يكون كان عيان، ومتعطل فى كلية صعبة، وانت عارف..

د. فتحى عبده: لأ يعنى مثلاً حضرتك، ما فيش تبرير مثلاً إن هما يناموا مع بعض

د. يحيى: هما مين؟ الواد وامه؟ فى سرير واحد؟

د. فتحى عبده: أيوه، فى سرير واحد، وهو يحط إديه فى أماكن حساسة من جسمها

د. يحيى: هى بتطلب؟ ولا هو بيعملها وهى بتنطش؟

د. فتحى عبده: هى بتتعد تضحك، وكأنه هزار، وهوه نفس الحكاية

د. يحيى: طيب وانت بقى موقفك إيه؟

د. فتحى عبده: ماهى دى بقى اللى أنا عايز أتكلم فيها: الحقيقة يعنى الفترة الأخيرة دى زى ما يكون الأم بالذات بتجيب دا كمحور أساسى فى الموضوع، أنا عايز أتكلم معاها فى حياتها فى كذا هى تقوم حضرتك مرجعاني للحته دى

د. يحيى: اللى هى إيه؟

د. فتحى عبده: اللى هى منطقة إن الولد بيجى بيحط أيده وبيضايقنى، طول الوقت حاطه دا فى الأول ومش شايفه هى بتعمل إيه.

د. يحيى: إنت قلت لنا الولد نجح فى سنة تانية وانت عارف السنة دى صعب قد إيه

د. فتحى عبده: لأ، هوه كان متعسر فى سنة أولى ونجح وهو دلوقتى فى سنة تانية يعنى كان متعسر فى سنة أولى سنتان ونجح، فى الحقيقة أنا مش عارف حاسس يعنى عندى كده مخاوف إن أنا لو بدأت بقى يعنى اشتغل فى ده بشكل مباشر إنه ما ينفعش وكلام من ده

د. يحيى: السؤال؟

د. فتحى عبده: ما انا قلت، هل أنا أشتغل فيه برضه بالشكل الواضح ده ولا أقعد لأجل أجل لحد إمتى

د. يحيى: الشكل الواضح إزاي يعنى ؟

د. فتحى عبده: يعنى مثلاً أقول للولد ماتعملش مثلاً ده الإسبوع ده لحد ما أشوفك، يعنى أمنعه بصريح العبارة، حتى لو الحكاية ما تبدأشى منه، حاجة كداء، يعنى أنا بحس إن أنا كده بأستدرج في منطقة أنا يمكن مش واثق في قدرتى فيها

د. يحيى: وأخته موقفها إيه من ده كله، مش ده قدامها؟ أخته ملاحظة ده؟

د. فتحى عبده: آه وما بتعلقشى، وساعات تضحك، آه، فيه برضه حاجة مهمة هنا: الظاهر إن هو لَح على اخته كبديل، الولد هدد أمه يعنى، هدد أمه إنها ماتسافرش لأبوه في العيد اللي فات، ولح ان ده عشان أخته، تقريبا قال إنها حاتبقى بدالها.

د. يحيى: بدال مين؟ في إيه؟

د. فتحى عبده: إن هو يعاكسها يعنى بدل عن أمه يعنى

د. يحيى: طيب السؤال برضه؟

د. فتحى عبده: السؤال بقى هل أنا صح؟

د. يحيى: إنت صح 100 % ، قصدى يعنى إن مش مطلوب منك غير إنك تعمل إالى تقدر عليه، واديك بتتونس بينا لما تقف معاك، المعالج ما يصحش بحسب إالى بيعمله طول الوقت بإنه صح ولا غلط، هو يشك في نفسه آه، ويراجع نفسه آه، لكن لازم يعرف إنه ما بقدرشى يعمل إلا إالى عنده، ولما يكبر في الصنعة، حايلقى نفسه بيعمل أحسن، وفي كل مرحلة هوا صح، إحنا ما عندناش في العلاج النفسى نموذج إجابة للصح والغلط، نقول إيه وما نقولشى إيه.

د. فتحى عبده: يعنى مفيد إن أنا يعنى، زى ما هما بيحطوا الموضوع ده في شكل واضح كده، إن أنا أشتغل فيه بالشكل الواضح ده؟ طيب وإذا حسيت إن أنا بأستدرج، في الحالة دى أعمل إيه ..؟

د. يحيى: عندك سؤال تانى ولا هو ده ؟

د. فتحى عبده: لأ دا السؤال الأساسى

د. يحيى: أشكرك

هو طبعاً إحنا في العلاج النفسى بنقول إن المهم هو إن احنا نقعد مع العيان ساعة كل أسبوع، ومش مهم الباقي، ومش عارف أياه، يعنى مثلاً مش مهم التشخيص وبتاع، لأن مهما

كان التشخيص في البداية، مع مرور الوقت يتراجع ويبقى في الخلفية، التشخيص مش هو اللي بيحدد العلاقة، لكنه مهم، وساعات إحنا ننساه خالص مع مضي المدة في العلاج ، لكن خلوا بالك، لما أثناء المسألة نلاقى نفسنا في أعماق غريبة، أو تظهر صعوبة حقيقية مش عارفين لها حل، تبص تلاقى التشخيص بينظ لوحده في محك، الواحد بينسى التشخيص من كتر ما صاحب العيان، نرجع مرجوعنا للولد ده بالذات، وإنه دخل المستشفى، هبّ، هو حد في السن ده، والظروف الاجتماعية دي يدخل المستشفى، ويقعد المدة دي إلا لما تكون الحكاية جد جد، ويكون التشخيص إلى هؤا، مش عايز اقول أسامى وكلام من ده، هوا التشخيص كان إيه يا دكتور فتحي

د. فتحي عبده: فصام

د. يحيى: طبعاً إنت عارف إن كلمة فصام دي بالنسبة لنا ما تخوفشى، واديك قاعد معاه أنه بقالك سنتين، والواد نجح بفضل الله وفضلك، زملاءنا بتوع الكيمياء، والأسامى والأتنين في اتنين باربعة، متصورين إنك لما تقول فصام يبقى كله زى كله، لأ طبعاً، عكّمه دوا وخلص، إنت في العلاج النفسى، تقول فصام تلاقى نفسك في عمق الوجود شخصياً،.. وتبتدى تحسبها واحدة واحدة، كل عيان غير التانى، عندنا أنه في الجدد ده بالذات، كونه يستمر المدة دي دا إنجاز محترم لك وله،.. إلى أنت وصلته دا جيد لك وله. بس الزنقة اللي انت فيها دي تحليننا نعيد ترتيب أوراقتنا:

إحنا لما كنا بنتكلم على حكاية البدائية في الغرائز أو في العواطف أو في الجنس، قلت لكم إن الأصل هو إن ما فيش موانع بيولوجية تمنع أى علاقة جنسية بين واحد وواحدة، وأظن أنا حكيت لكم على حكاية الأم الطيبة، اللي كان عندها 56 سنة وابنها اللي اتهم عليها جنسياً ، ما علشى حاكيتها تانى للى ماسعهاش،:

الكلام ده كان وانا نائب سنة 58 /59، الست دي كانت متجوزة وعندها خمس ست عيال، وعمرها ما تعرف يعنى إيه إن الست توصل أو ما توصلشى (أورجازم يعنى)، طبعاً أنا ما سألتهاش، ده جه بعدين، المهم إنها كان شاب حوالى في سن الشاب ده، وكان بيأخذ جلسات كهرباء (إلى بنسيميها دلوقتى تنظيم إيقاع)، وكنت باشوفه بانتظام حتى بين الجلسات، المهم بعد جلسة من الجلسات دي جت له حالة تهيج على أمه، تهيج جنسى، وهجم عليها وحاول، وهى زقتّه جامد، واترعبت، لكن خافت تقول أبوه وجت قالت لى انا، أنا ساعتها كنت صغير، ولا سميت الحكاية أوديب ولا حاجة، وكنت لسه ما تفالختش، قلت لها معلشى دا عيان ولما حايكمل علاج حا يبقى كويس، بس خلى بالك، وكلام من ده، الوليه الطيبه صدقت، والواد ما عملهاش تانى، وبعدين في الجلسة اللي بعدها طلبت إنها تقابلنى وهى في غاية الخجل والتردد، أنا تصورت إنها حاتقول إنه حاول تانى، سألتها قالت أبدأ، ودعت لى وكلام من ده، قلت لها إمال إيه؟ بصت في الأرض ووشها احمر، خليكوا فاكرين أنا قلت لكم

عندها 56 ، حكمت لي بجعل شديد وطيبة إنها بعد ابنها ما عمل كده، وكررت أنه ما عملشى حاجة ثانية من دى بعد أول مرة، ومع أخذ الجلسات، آمال إليه يا ستي؟ قالت وهى بتبص في الأرض زى بنت عندها ثلاثاشر سنة، قالت لي إنها بعد الحكاية دى، لما نامت مع جوزها عادى، جوزها أبو الواد ده، حسنت بانبساط جامد وجسمها كله انهز، حاجة عمرها ما حسنت بيها طول الكام وتلاتين سنة اللى خلفت فيهم العيال دول كلهم، وقالت لي وهى مكسوفة وخائفة بصحيح إنها اتخضت، وافتكرت ان ده حرام، وخافت تنام مع جوزها تانى، وفضلت إنها تيجي تسألنى تعمل إليه ؟

طبع أنا كنت صغير، بقيت مش عارف هى بتسأل تعمل إليه في إليه، يا ستي دا جوزك، مبروك، دا شرع الله، وهى أبدأ، إمال ما حصلشى قبل كده ليه؟ وتستغفر وتعيط، وما ربطتشى نهائى بين هجوم ابنها عليها وبين إالى حصل، الحمد لله الواد اتحسن، وقلتها الكلمتين إالى كنت عارفهم مرة واتنين، ودعت لي ومشيت، طبع ما سألتهاش بعد كده عملت إليه، وهى ما فتحتش الموضوع، لكن لما كنت باشوفها كنت بالاقى الطيبة زادت، ووشها منور، وأيامها ما رضيتشى أزود حتى لنفسى في التفسيرات.

الحكاية دى يا دكتور فتجى بقالها أكثر من نص قرن، طبع بعد كده لما اشتغلت في المسألة الجنسية، وأوديب ومش أوديب انتبعت لمعنى دا كله، ولاحظت كتر الحالات إالى الأم فيها بتشارك في الجذب المتبادل، - لا شعوريا غالبا، أو قول دائما عشان ما حدش يتخض

أنا شخصيا ما شفتش الحالات دى بالوضوح ده اللى مع الذهانين (المرضى العقليين)، وده خلان أزيد احتراما لفرويد بصراحة- أنا برغم اختلافي في تفاصيل كتيرة معاه في المسألة دى (وغيرها) إلا إنى أترف إنى ما شفتش الظاهرة دى بتاع الحارم والأم بالذات إلا في الذهانين (المرضى العقليين) يعنى صريحة بالشكل ده، فرويد ما كانشى بيعالج (بيحلل) - ذهانيين، ومع ذلك وصفها زى ما باشوفها في المرضى العقليين تمام.

نرجع مرجوعنا للحالة بتاعتنا دى، قلنا إزاي إن التشخيص ينط في محك لما محتاجه، الجدع ده كان فصامى، يعنى إحنا جوه قوى، يبقى نحسبها صح بقى، المسألة مش مسألة قلة أدب، وعقد وكلام من ده، الست بتاعة القصر العيني من خمسين سنة بتعلمنا إن المستوى البدائى إالى بينط في الفصام قدر يحرك فيها إالى ما قدرشى يحركه الجنس اللى جاب خمس ست عيال من أبو الواد، غير الواجبات المنزلية السريرية عمال على بطل، يبقى المستوى البدائى اللى بيطلع في المرض الخطير اللى زى ده، له وظيفة لو استوعبناه، يبقى ما يصحش نبص للحالة دى منفصلة لا عن التشخيص، ولا عن علاقة الست بجوزها المسافر، وحتى لما بتسافر له زى ما انت قلت أو شاورت، الحته البدائية اللى أنا بشاور عليها اللى هى بتتير النسوان وتثير الرجالة ولها قيمة حيوية حقيقية، ما يصحش نرفضها من

حيث المبدأ، لكن إحنا ما بنقفش عندها ، خلى بالك، ولا بنسقف لها لوحدها، إنت هنا بتعامل واحد فصامى، مهما كانت الأعراض الكبيرة بتاعة المرض اختفت، هو - فى الأغلب بدون قصد فى الأول - أثار فى أمه حته بدائية قصاد الحته البدائية إالى انحركت عنده بالمرض، مش معنى كده إن الفصام بيحرك الجنس بدائى أو غير بدائى، هوا بيحرك الدائى ومن ضمنه الجنس ساعات، وساعات بيموته، بيلغيه حسب مرحلة البدائية، كل حاجة ولها حاجة، إحنا بنحاول نخط فرض يساعدك فى الزنقة دى.

وانت بتفكر فى الفرض ده، حاتلاقي نفسك فى منطقة عايزة منك موقف مسئول ونفّس طويل زى ما أنت بتعمل كده،

الغريب فى الحالة دى إن الأم هى اللى بتصدر الموضوع أثناء العلاج، وتكلم عنه وتحليه على الوش، بتبقى انت مش عارف هى بتشتكى، ولا بتاخذ منك إذن خفى، ولا بتحاول توهم نفسها إنها بتعمل اللى عليها، واهو الواد عيان بقى؟ إنت يا دكتور فتخى لازم تستحمل ده كله من غير ما تستعجل وتدمغها، وفى نفس الوقت تاخذ بالك من التعود، والتمادى ، وأخته ، وكلام من ده. إالى انا تصورته إنها ما بتصدرش الموضوع عشان يتحل، كأنها بتحكى وتقول وتعيد علشان يمكن الإعلان يديله مشروعية غير أخلاقية ، كلمة غريبة شوية دى اللى انا استعملتها دلوقتى، هو فيه حاجة إسما مشروعية غير أخلاقية؟ ما علينا ن فكر فيها بعدين، يمكن قصدى إن إعلان العلاقة، وتكرار ذلك، لمعالج متحمل زيك، بتديها فرصة إنها ما تظهرشى لنفسها أساسا كأنها متهمة، وبالشكل ده تفضل ماسكة خيوط الحدوده كلها مادام هى أعلنتها لك، ويمكن تظن إنك أنت حتدور عليه أصل وفصله بقى بطريقتك، فبالتالى هى تخليك إنت تشتغل فى الجزء المتاح فقط اللى هى سمحت بيه وكلام من ده. خلى بالك بعد الحكاية ما بتبتدى، من الواد، من امه مش مهم، بتستمر لوحدها من الاتنين بقى، ولا احنا محتاجين نتمسج فى عقدة أوديب ولا عقدة خصاء ولا كلام من ده، دا مستوى بدائى بيلاغى مستوى بدائى، وربنا يستر، خلى بالك مجرد قبولك ده وانت فى مرحلة تدريبك دى، صعب جدا، أنا مثلا قبلت الست بتاع القصر العينى من خمسين سنة، لأنه هى نفسها عملت شغل بسيط وسريع، وما كانش فيه أى مشكلة بعد ما الواد أحسن، والست ما اشتكتشى من الواد، دا هى كانت مكسوفة من نفسها إنها انبسطت، مع جوزها حلال.

المسألة هنا زى ما انت شايف، الفروق بين الحالات، وبين نوع العلاقة، وبين المستوى الاجتماعى: طبقة غير الطبقة وظروف غير الظروف، الراجل أبو الواد بتاكد ده خالع بقى وبتاع ، غير إنه مسافر، والست مش حاقول مستسهلة، إنما بتتسحب وهى مش واخدة بالها، والواد عيان، أو حتى كان عيان بمرض من اللى بيقلب اللى جوانا قوى، بصراحة الله يكون فى عونك، طبعا ما تنساش دور الدوا هنا مهم جدا، لأنه بيهمد الحته البدائية بانتقاء رائع، طيب دا عند الواد، والست نعملها إيه؟

لا الله يكون في عونك وباشكرك على صبرك وانتباهك بصحيح.

د. فتحي عبده: لما باخش فيها جامد يعنى بتوقف الحاجات شوية، لكن لأه، أنا عايز أستريح شوية

د. يحيى: تستريح من إيه، هوا اختيار بإيدنا، دى مسئولية، أنا قلت لك هى حاله شديدة الصعوبة، الحالة صعبة يابنى وعاوزه وقت وشغل مع نفسك علشان تستحمل وتحذر من أى تمادى! وتعرضها تانى وتالت كل ما تلاقى فيه داعى.

د. فتحي عبده: يعنى دلوقتى أعمل إيه ؟

د. يحيى: قلنا نبتدى بالدواء، تعدل الجرعة شويتين وتنشئ على المخ البدائى

د. فتحي عبده: وبعدين

د. يحيى: وبعدين بتشتغل في الموضوع خفيف خفيف، لكن أكثر في مناطق بعيدة عن الموضوع ده، لكن بتحل محله، يعنى الست دى لولقيت احتياجها الإنسانى إنها تتشاف، اعتراف بجرمانها من غير الغصوة، وفي نفس الوقت إحنا همدنا الجزء البدائى عند الواد بالدواء، يمكن نقرر نقطع الحلقة المهبية دى. وساعتها لما تقول لهم يعنى ماينامش معاها في السرير يبقى الكلام حاجة تانية، مش مجرد قهر مش حايتنفيذ، وتقعد تتبع وتشوف نفع ولا ما نفعشى، وتستمر عجلة المذاكرة والكلية واللعب شغالة، خصوصا اللعب الجماعى يا شيخ، تراكم الرسائل الإيجابية بالشكل ده بيدك فرصة تحقق التغيير مش بمجرد الحكم بالعيب والحرام، لأ تغيير بحق وحقيق، يجوز تروح تلاقى هُبّ الوضع اتغير والمجتمع إالى جواها وجواه ابتدا يشتغل صح،

وبعدين خلى بالك إنت عملت عمل مهم جدا، إنك قدرت تحافظ على علاقة طيبة، لها نتائج واضحة مع واحد فصامى في ظروف مهبية لمدة سنتين، هوا دا شوية يا شيخ، أديك ماشى، بس لازم تهتم بالتفاصيل كلها، مش بس المذاكرة والكلية، ما فيش شيء على حساب شيء، ومن حقك إذا ما التزموش بتعليماتك حثة بحتة إنك تهتهم بعد ما حققت دا كله، يعنى: ياتسمعوا كلامى في جزئية صغيرة زى السرير، زى الغرفة، زى التحسيس، يا مش حاينفع أكمل، وكل شوية تزود جزئية يبقى في فرق بين موقفك الأخلاقى وموقفك العلاجى، إنت مش بتزود جزئية علشان ده عيب، بتزود جزئية علشان البُنا اللى إنت بتبنيه معاه من أول وجديد يطلع دور بدور، ويستحمل

د. فتحي عبده: طيب وهى، أمه يعنى ؟

د. يحيى: لا ما يهكمشى، إن شاء الله خير، هى لما حتلاقى منك موقف صلب، وفي نفس الوقت خالى من الحكم الفوقى عليها، خاتنتيه وتحترم إالى بيوصلها منك، وتحترم نفسها حتى مع الحرمان، ماهو إذا كان ليك أى قيمة حضورية في وعى مثل هذه السيدات الفاضلات المحتاجات بدور رائع وطيب، هيا يعنى محتاجة جنس قوى قوى كده لدرجة اللخبطة دى، ولا يعنى الحكاية دى بترضيها

جنسيا؟ العلاقة العلاجية لما تكون طيبة ومحیطة وهادئة دافئة وقوية وواضحة، بتقوم بأدوار كثير إحنا ما نعرفهاش، وما فيش داعى ننظر كثير، المهم النتائج أول بأول.

بأمانة حقيقية أنا أرجح إن الست دى، دلوقتى على الأقل، وابنها عيان ودخل المستشفى وكلام من ده، ماهاياش محتاجة جنس أوى النهارده، ثم إن الجنس لما بيخش فى حدوتة العلاقة الكلية، والعلاقة العلاجية هى نوع من ده، بتلاقى الحكاية تمشى وتستغنى، ولو مؤقتا عن بعض جزئيات مش حاضرة، ده غير لما جزئية زى الجنس تنفصل، فى الحالة دى بتبقى مثارة من نشاط المخ البدائى عند ابن مريض، وتبقى مصيبة لما تثير الحثة اللى صاها عند حد له علاقة بيه زى كده، تحصل البهلة والمضاعفات زى ما انت شايف.

معلش معدش ما عدشى فيه وقت، الحالة صعبة وده يوريكم حاجة مهمة غير العلاج النفسى والإشراف والكلام ده، يمكن يوريكم ليه أنا مهتم بالشيزوفرينيا، من غير شيزوفرينيا مش ممكن نعرف إالى جوه قوى كده، وبالطريقة المباشرة دى، ثم تلاحظوا إن احنا بنكسر الإشاعة إالى بتقول الفصام ما يتعالجش بالعلاج النفسى إلا تدعيم وتفويت وكلام فارغ، لا، مافيش كلام من ده، العلاج علاج، وبرضه تاخدوا بالكوا إزال اللعب والتنغيم بين الدواء، والعلاقة بالمريض، والعلاقة بأهله على كل المستويات. على فكرة هى مش صعبة قوى إلا واحنا بننظر بس

اللى بيلاقى فرصه يشتغل مع عيان فصامى مدة طويلة ، بيتعلم ضمنا كل الحالات الأقل من كده، وأظن أنا قلت لو عرفت حاله واحدة فصام بعمق كاف ولدة طويلة حا تقدر تعرف كل حاجه أو أغلب الحالات الثانية، فما بالك إذا كان علاج نفسى.

الإثنية - 31-03-2008

213- قصة قديمة (ليست كذلك)

قبل الحكى:

• أغرائى ما نشرته يوم السبت - أول أمس_ أن أتعرف بهذه الطريقة الغربية، على هؤلاء الأصدقاء الجدد، زوار الموقع، بأن أخرج من خزائنى، أو حتى من صندوق قمامتى، (أسف) ما أتصور أنه "أنا"، مما لم يصل إلى الناس فعلاً أبداً، برغم نشر أقله لبضع عشرات هنا وهناك.

• انتهيت اليوم لتوى من قراءة ثلاثية "أحلام مستغانمى" (ذاكرة الجسد- فوضى الخواس- عابر سرير) فحضرنى فجأة نقدٌ كثير. قلت: متى أكتبه وقد امتلأ وقتى بهذه النشرة اللحوج؟ (هذا فضلاً عما أثاره ما حضرنى من تذكر عشرات المباحث النقدية الكاملة والناقصة والتي لم تنشر منذ سنة 1974)

• ثم أنئى، وبعد عشرين عاماً، بعد حوار طيب مع جسدى داخل البحر(دهب) ، ومعه طوال أكثر من ساعة، وكان البحر عنيفاً بالغ الخنان، وجدتنى أكتب قصة قصيرة احترت أن أختار لها اسماً من بين اسمين إما "جسد الرانحة" أو "مسهسات المربع الصغير جداً"، وحين طالت حيرتى، وكنت قد نويت أن أنشرها فى هذه النشرات التي قررت أن أضفنها بعض مثل هذه الأعمال بمناسبة الحديث عن أنواع الإبداع،

• طال التردد وأزف موعد الدخول بنشرة الغد إلى الموقع، وإذا بي أتذكر مجموعة قصصى القصيرة التي لم يقرأها أحد، قلبتها ووجدت أنى لو قدمت بعضها فى الموقع أحياناً فإنها قد تصلح للوفاء بأكثر من غرض، مثلاً: أن أعيد تقديم "بعضى" مما لم يصل إلى الناس ، وفى نفس الوقت أن أوفر بعض الوقت لمهام تحتاجه أكثر، ربما هى أولى ، وغير ذلك كثير،

وهكذا مددت يدي عشوائياً، فوقعنت هذه القصة فيها فنشرتها اليوم دون أن أقرأها.

شكراً لتحفلكم.

هيجل

- 1 -

عاد قرب المغرب وهو ينفخ دون سبب ظاهر، سأل عن الأم فوجدها في الخارج دون أن تحدد وجهتها، جلس على طرف المائدة وحيداً، كشف عن الأطباق المغطاة وراح يأكل دون تمييز وهو ينظر إلى ابنه في أقصى الصالة وهو يُعد واجباته المدرسية في حماس واهتمام، كان الولد قد بدأ مؤخراً يلتزم ويستقل ويواصل التقدم كل "فترة"، وكل عام، وكل امتحان، حتى أصبح قريباً من أن يكون أول فصله بكل جدارة، لم يفرح لهذا الخاطر الذي طالما انتظره وأمل فيه، بل راح يتذكر كل الأوائل الذين كانوا معه في الدراسة.

- 2 -

قابل منهم أخيراً ذلك الطبيب المشهور، فتطرق الحديث فأترا طبيباً أطلت من خلاله ذكريات للزوم لها، فلم يرد الطبيب قيمة الكشف، هل هذا هو الغتي الذي كان موضع أنظار الزميلات، تراخي جسده حتى ليعجز أن يحيط بمحتواه، ولا بد أن عقله قد تبعه، أو لعل العكس هو ما حدث، طالما شعر بالنقص الذي كان ينتابه عند المقارنة بين إمكاناته المتواضعة في الدرس والبنات، وبين تفوق صاحبه هذا الذي صار طبيباً جداً في العلم والجادبية معاً، راح ينظر إلى ما آل إليه جسد زميله الطبيب جداً، وبالتالي: حسه وأشياء أخرى، فاقترب منه همس شماتة، فأنكره، هذا الطبيب الزميل لم يكن يكف عن التنافس فإن لم يجد من يتنافس معه تنافس مع نفسه، يبدو أنه ما زال يتنافس وإن اختلفت التفاصيل، ترى مع من يتنافس هذه الأيام في هذا العمر؟

وعلى الرغم من الفتور السائد وضيق الوقت فقد ذكر له الطبيب الأشهر عدد العُمُرَات التي عملها هذا العام، كما سأله حين علم أنه مُحاسب وله زبائن يتعاملون في البورصة التي لم يألّف لغتها بعد عن أي الأوراق أضمن، هو لا يتوقف عن العُدّ واستعمال أفعال التفضيل، لابد أنه سجل مضاعفات الركعات: سبع وعشرين ضعفاً، مائة ألف، ولا بد أنه حسب كيف يمكن أن تعوض تلك الأضعاف الصلوات المتروكة، والمخطوفة، التي يؤديها غالباً بنصف وعى.

- 3 -

عاد ينظر إلى ابنه في شك رافضٍ واحتار :
حين كان الولد بليداً كان يقيم الدنيا ويقعدها حتى يتقدم في الدراسة، وحين تقدم في الدراسة هاجمته خيبة أمل متوقعة وتذكر زميله الطبيب الأشهر.

إذن ماذا؟

- 4 -

انتهى من غذائه دون أن يدري،

وكان عادة يتصفح الصحف أثناء تناوله طعامه فلا يستطيع أن يميز بين البازلاء من القلقاس، ولا يعوقه من ممارسة هذا النشاط المزدوج إلا طبق ملوخيّة يحتاج إلى درجة من الانتباه تسمح بلف اللقمة عدة مرات حتى يتقطع "العرق"، أما الآن فالملقعة تمسخ طعام الملوخية، وعادة ما ينتهي الأمر إلى الإمساك بالطبق من كلتا الناحيتين، بكلتا يديه، لا حباً فيه، ولكن من باب العجلة العاجلة.

في هذا اليوم تساوت عنده - أكثر فأكثر - الأطعمة والأمور والعادات والأخبار السياسية وصفحة الوفيات وصفحة الاجتماعات. ثم نسيها جميعاً، كما نسي أيضاً أنه نسيها، ولم يأكل سوى ما هو جاف جاهز بما تطوله يده وهو مستغرق في القراءة، وكأنها هي.

هو مازال يصرّ على هذه العادة.

- 5 -

توقف فجأة وهو يمر بابنه دون أن يقترب منه، وسأله عن مكان بقية صحف اليوم، بادر الولد بأنها على المنضدة بجوار الباب وأنه سيأتي بها حالا، وهم أن يقوم لإحضارها، لكن يدا حازمة ربتت عليه بشدة غير مناسبة، ثم تدافعت الأمور على غير توقع، هكذا:

- وأنت؟

- نعم يا والدي؟

- الصحف؟

- أحضّرهم حالا؟

- لم تقرأهم، أليس كذلك؟

- فعلا...

- وأمس؟ هل قرأت صحف أمس؟

- كلا

- وأول أمس؟

- ولا أول أمس.

قالها الصبي وهو يتدرج في مراتب الخيرة والتوجس والخوف معاً،

انفجر الرجل يسب ويلعن الصحف والأولاد والحكومة والمهندسين، والتجار وخاصة شقيق زوجته، وزوج شقيقتها، وشقيقته أيضاً، وإبنها الشاطر في الشطرنج والكرة الطائرة معاً. أولئك الأوغاد الذين يعيشون فيها "كالهاجرين"، أليست هي بلدهم أيضاً؟

لم يستطع الولد أن يتابع كل ما لم يسمع، فوالده لم ينطق بكل هذا السباب، .

راح الولد ينظر لوالده، منتظراً تحويل الفوهة إلى ما يخصه هو، لابد لهذا الموقف أن ينتهي.

هدأ الرجل بسرعة غير متوقعة، واستدار مبتعداً.

- 6 -

أفل راجعاً إلى الولد قبل أن يغلق عليه باب الحجر، عاد مندفعاً وكأنه تذكر شيئاً هاماً، وكان أصل كل ما حدث هو في ذلك الشيء الهام، سحب كرسيّاً وجلس بجوار ابنه على الأريكة، ووضع جسمه في هيئة استعداد متنمر، حتى أحس الولد طعم موت بارد على وشك أن يغمره

قال الرجل في نبرات واضحةٍ وببطءٍ مرعب:

- هل "تعرف" هيجل؟

خاف الولد أن يرد بالنفي مثلما رد سابقاً، كما خاف من الكذب على حد سواء، وتيقن أن الموضوع "هكذا" لن ينتهي على خير، إذ لابد أن يتفتق عن إهمال، أو تقصير، أو تجاوز، أو ما يرى والده مادام الأمر هكذا بهذه الصورة الحاسمة القابضة على مجهول، فانبرى الولد مدافعاً:

- ليس "علينا" هذا العام.

- ولن يكون عليكم في أي عام.

راح الولد يتحسس أي ثقب نجاة وهو يحاول أن يعتذر عن ذنب لم يقترفه، وهو لا يعرفه أصلاً.

- علينا أم ليس علينا؛ كل ما تشير به حضرتك هو علينا، حضرتك أدرى، حضرتك قل لي وأنا أنفذ، أحفظه عن ظهر قلب، فقط قل لي قبلها، وسوف... .

قاطعته الرجل متحسراً:

- أقول لك ماذا؟

- أي شيء، هذا الاسم أو غيره، أو أي أحد، وسوف أفعل كل شيء، فقط قل لي.

قال الرجل في نفس الهدوء الواثق الحاسم:

- كل ما في الصحف كذب ونفاق وتلفيق، هل تعرف ذلك؟

قال الولد وهو لا يدري إلى أين يذهب به الرد:

- هكذا تقول حضرتك باستمرار، نعم، هو كما تقول حضرتك.

قاطعته أكثر حسماً

- أعرف ردك هذا، توقعته بالخرف، عذر أقبح من ذنب، لا بد أن نقرأها يوميا، نستعين على ما بها بالصبر والعناد والاستمرار على الرغم منها، نعم، كل يوم، صباح كل يوم، صباح كل يوم بعد التالي، الآن فهمت لماذا قال هيجل إن قراءة الصحف اليومية هي صلاة الإنسان المعاصر، بل إنها في أيامنا هذه هي الجهاد الأكبر، لا بد أن نقرأها ونحن نعرف أنها لا تستحق القراءة، ولا يصح أن تصدر أصلاً.

لم يعرف الولد ماذا يخصه في كل هذا، كان أبوه يكلم نفسه بصوت عال، ولم يحاول الولد أن يستبين أبعد مما يخصه، مع أنه لم يستطع أن يميز ما يخصه مما لا يخصه. ارتعد وهو يسمع نفس الإسم الغريب من جديد، - "هيجل" - فالتقط من كل ذلك كلمة "الصلاة" فلاحته انفراجة، لعل وعسى.

- أنا أصلى يا والدي بانتظام، وحضرتك تعرف، أننى أصلى كل الأوقات.

- 7 -

أفاق الرجل فوجد نفسه متلبسا، كاد يأخذ رأس ابنه في صدره يعتذر له، تراجع في آخر ثانية، وصله من داخل نفسه نشيج مكتوم، فخاف أن ينتفض جسده أمام ولده، دون أن يلحظه، تمنى لو أن نمة وسيلة للاختفاء دون حركة، حاول أن يشير أية إشارة، أو حتى أن يقهقه، يريد أن يزعم أنه كان مزاحا لا أكثر.

حاول أن يبدأ أى حديث آخر، هل يقول له إنه كان يختبر أعصابه؟ هل يلفق له رواية تفسر بعض ذلك، كأنه سمعها في المكتب فحاول أن يمثلها معه.

الثقل يزداد في الساقين واللسان على حد سواء، فتمنى أن يكون كل ذلك حلماً.

- 8 -

حين عاد آخر الليل، اتجه إلى سرير الولد مباشرة، فوجده نائما ينتفض.

انحنى عليه بهم بتقبيله،

تراجع في آخر لحظة خشية أن يستيقظ الود فيفزع، أو يتذكر، أو يسأل.

وحين هم أن ينسحب في هدوء لم ينتبه إلى تلك "الدمعة" الدافئة التي سقطت على خد النائم. وحين تنبه لها بدرجة كافية،

لم يحاول أن لمسحها،

ولا أن لمسح لاجتئها عن خده هو.

مارس 2008: العدد 7



إصدارات شبكة العلوم النفسية العربية

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف 2008

أ. د. يحيى الرضا أوي

- أستاذ الطب النفسي: كلية الطب، جامعة القاهرة
- كبير مستشاري دار المقطم للصحّة النفسية لشخصيات
- رئيس مجلس إدارة جمعية الطب النفسي التطوري والعمل الجماعي

**الأبحاث النفسية**

- عيد الأبحاث وأوراق بالإنجليزية و عيد الفروض والنظريات والمداخلات بالعربية إضافة إلى عيد أبحاث الدكتوراه والمجستير التي قام بها وأشرف عليها ومشاركته بعيد الندوات والمؤتمرات العلمية والعالمية

المؤلفات

- حيرة طبيب نفسي - المشي على الصراط (ج1 الواقعة. ج2 مدرسة العراة) - مقدمة في العلاج النفسي الجمعي - دراسة في علم السيكيوباتولوجي (شرح : سر اللعبة) العمل المحوري الذي يمثل تنظيره للأمراض النفسية والسيكيوباتولوجيا - أغوار النفس - حكمة المجانين - النظرية التطورية الإيقاعية وأساسيات من علم النفس (تشمل الخطوط العامة للنظرية النفسية البيولوجية للمؤلف) - قراءات في نجيب محفوظ - مثل.. وموال - مراجعات في لغات المعرفة - مواقف النفري بين التفسير والاستلهام - ترحلات يحيى الرضاوي (ثلاثة أجزاء) - مبادئ الأمراض النفسية - علم النفس في الممارسة الطبية - علم النفس تحت المهرج -) ألف باء . الطب النفسي - حياتنا و الطب النفسي - حيرة طبيب نفسي - عندما يتعري الإنسان - دليل الطالب الذكي في علم النفس والطب النفسي: 3 مجلدات - أفكار وأسمار حول القصر العيني - البيت الزجاجي والثعبان. (شعر) - اللغة العربية والعلوم النفسية الحديثة - المفاهيم الأساسية للطب النفسي- الطب النفسي للممارس - قراءات في نجيب محفوظ- مثل.. وموال قراءة في النفس الإنسانية - رباعيات ورباعيات - هيا بنا نلعب يا جدي سويًا مثل أمس - تبادل الأئنة - أصداء الأصداء

الانتماء إلى الجمعيات النفسية

- عضو الجمعية المصرية للصحّة النفسية
- عضو مؤسس للكلية الملكية للأطباء النفسيين
- رئيس التحرير المشارك المجلة المصرية للطب النفسي.
- رئيس تحرير مجلة الإنسان والتطور -مستشار النشر بالهيئة العامة للكتاب
- مسئول التحرير المشارك للمجلة العربية للطب النفسي

إصدارات شبكة العلوم النفسية العربية

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف 2008

